وسائل الثبات على الدين في زمن الفتن

أعدها

أبو إسلام

صالح بن طه عبد الواحد

إمام وخطيب مسجد إبراهيم الحاج حسن

الأردن – عمان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأَشهد أن لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب].

أما بعدُ فإن أصدقَ الحديث كتاب الله، وخير الهدي هديُ محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار.

فهذه مجموعة من الدروس ألقيتُها في مسجد إبراهيم الحاج حسن الكائن في ضاحية الحاج حسن بعمان الأردن، في يوم الجمعة من كل أسبوع بين المغرب والعشاء، ونفعَ اللهُ بها مسموعةً ومرئيّةً فأحببت أن أنشرها مقروءة

لينتفع بها من يقرؤها، عسى أن تصيبنا منهم دعوة صالحة بظهر الغيب، وأن يثقِّل الله تعالى بها موازيننا يوم القيامة، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وقد ضمنتها كثيراً من كتاب «الفتن وسبل النجاة منها» لأخينا فضيلة الشيخ حسين بن عودة العويشة -حفظه الله- وكتاب: «حكم المظاهرات» لأخينا فضيلة الشيخ عبد المالك رمضاني -حفظه الله-

والله أسألُ أن يجعل ذلك في ميزان حسناتها، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

٢٣ من شوال /١٤٣٢هـ

٢١ من أيلول/ ٢٠١١م

كتبه

صالح بن طه عبد الواحد

أبو إسلام

إمام وخطيب مسجد إبراهيم الحاج حسن

عمان - الأردن

الفصل الأول

أنواع الفتن وخطورتها

لقد كثرت الفتن في هذا الزمان وسقط فيها ضِعاف الإيمان ومرضى القلوب والمنافقون، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾ [الحج]، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾[العنكبوت:١٠].

وليس هذا فحسب، بل إن الفتن تشتد يوماً بعد يوم، مما يدلُّ على أنه قد أزفت الآزفة، واقترب الوعد الحق.

فإن رسو ل الله ﷺ يقول: «**إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم**»[1].

إنها فتن تجعل الإنسان يخرجُ عن دينه، قال ﷺ: «**تكون بين يدي الساعة فتنٌ كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً، ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً، ويصبح كافراً، يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا**»[2].

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابو داود (٤٢٥٩)، وابن ماجه (٣٩٦١)، وأحمد (٤/ ٤١٦) [«صحيح الجامع» (٢٠٤٩)].

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢١٩٧)، والحاكم (٤/ ٤٨٥)، [«صحيح الجامع» (٢٩٩٣)].

إنها فتن تجعلُ الإنسان يتمنى الموت، قال ﷺ: «**والذي نفسي بيده! لا تذهبُ الدنيا حتى يمرَّ الرجلُ على القبر؛ فيتمرغ عليه، ويقول: يا ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر! وليس به الدِّين إلا البلاء**»[١].

ومن هذه الفتن التي انتشرت في هذا الزمان:

١- فتنة التكفير، أي: أن يكفرَ المسلم أخاه المسلم.

والنبي ﷺ يقول: «**أيما رجل قال لأخيه: يا كافر! فقد باء بها أحدهما**»[٢].

٢- فتنة الهرج -أي: القتل-.

قال ﷺ: «**إن بين يدي الساعة الهرج**»، قالوا: وما الهرج؟ قال: «**القتل؛ إنه ليس بقتلكم المشركين، ولكن قتل بعضكم بعضاً، حتى يقتل الرجل جاره، ويقتل أخاه، ويقتل عمه، ويقتل ابن عمه**»[٣].

وقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده؛ ليأتين على الناس زمان لا يدري القاتل في أي شيء قَتل، ولا يدري المقتول على أي شيء قُتِل**»[٤].

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٥٧).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (٦٠).

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ٣٩١)، وابن ماجه (٣٩٥٩)، وابن حبان (٦٦٧٥)، [«السلسلة الصحيحة» (١٦٨٢)].

(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٠٨).

٣- فتنة انقلاب الموازين.

قال ﷺ: «**سيأتي على الناس سنواتٌ خداعات، يُصدَّق فيها الكاذب، ويُكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة**» قيل: وما الرويبضة؟ قال: «**الرجل التافهُ يتكلم في أمر العامة**»(١).

٤- فتنة دعاة الضلالة.

يقول حذيفة رضي الله عنه: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله! إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «**نعم**». قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «**نعم وفيه دخَن**». قلت: وما دَخنُه؟ قال: «**قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر**». قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟

قال: «**نعم؛ دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها**» قلت: يا رسول الله! صفهم لنا؟ قال: «**هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا**» قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٤٠٣٦)، وأحمد (٢/ ٢٩١)، والحاكم (٤/ ٥١٢)، [«صحيح الجامع» (٣٦٥٠)].

قال: «**تلزم جماعةَ المسلمين وإمامهم**»، قلت: فإن لم يكن لهم جماعةٌ ولا إمامٌ؟ قال: «**فاعتزل تلك الفرق كلّها؛ ولو أن تعض بأصلِ شجرةٍ حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**»(١).

إن الفتن تشتدُّ يوماً بعد يوم، فما تذهبُ فتنةٌ إلا والتي تأتي بعدها أشدّ منها، ومرضى القلوب وضعاف الإيمان والمنافقون لا زالوا يتساقطون في هذه الفتن.

قال تعالى: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ [التوبة:٤٩].

ويقول ﷺ ناصحاً أمته ومحذراً من الفتن: «**إنه لم يكن نبيٌّ قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدُلَّ أمته على خير ما يعلمه لهم، ويُنذرهم شرّ ما يعلمه لهم. وإن أمتكم هذه جُعِل عافيتها في أولها. وسيصيبُ آخرها بلاءً وأمورٌ تنكرونها. وتجيءُ فتنةٌ فيرقِّقُ بعضها بعضاً**» -أي: يصير بعضها رقيقاً خفيفاً لعظم ما بعده- «**وتجيءُ الفتنة فيقول المؤمن: هذه مُهلكتي. ثم تنكشف، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه هذه، فمن أحبّ أن يُزحزَح عن النار ويُدخَل الجنة، فلتأته منيتُهُ وهو يؤمن بالله واليوم الآخر**»(٢).

ويقول ﷺ: «**ستكون فتنٌ: القاعد فيها خيرٌ من القائم، والقائمُ فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي، من تشرّف لها تستشرفهُ، فمن وجد فيها ملجأً أو معاذاً فليَعُذْ به**»(٣).

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٠٨٤)، ومسلم (١٨٤٧).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٨٤٤).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٠٨١)، ومسلم (٢٨٨٦).

أنواع الفتن التي افتُتن بها كثيرٌ من الناس وهم لا يعرفون أنها فتنةٌ إلا بعد أن يسقطوا فيها.

١- فتنة المال:

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٥ ﴾ [التغابن].

وقال ﷺ: «**إن لكل أمةٍ فتنة، وفتنة أمتي المال**»(١).

ومن الأمثلة التي توضح أن المال فتنةٌ، ما يلي:

أ- قال تعالى: ﴿ وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٧٥ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ٧٦ ﴾ [التوبة].

ب- قال ﷺ: «**إنَّ ثلاثةً في بني إسرائيل: أبرصَ وأقرعَ، وأعمى، فأرادَ الله أن يبتليهم، فبعثَ إليهم ملَكاً، فأتى الأبرصَ فقال: أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: لونٌ حسنٌ، وجلدٌ حسنٌ، ويذهب عني الذي قد قذرني الناسُ، قال: فمسحه فذهبَ عنه قذَرُهُ، وأُعطي لوناً حسناً وجلداً**

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٣٣٦)، وأحمد (٤/ ١٦٠)، وابن حبان (٣٢١٢)، والحاكم (٤/ ٣٥٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٢٥٣)].

حسناً، فقال: فأيُّ المالِ أحبُّ إليك؟ قال: الإبلُ أو قـال: البقـرُ- شـك الراوي- إلا أن الأبرص أو الأقرع قال أحدهما: الإبـل: وقـال الآخـر: البقر. قال: فأُعطيَ ناقةً عُشَراءَ[١]، فقال: بارك اللهُ لك فيها.

قال: فأتى الأقـرعَ فقـال: أيُّ شيءٍ أحـبُّ إليـك؟ قـال: شـعرٌ حـسنٌ، ويذهب عني هذا الذي قذرني النـاسُ، قـال: فمـسحهُ فـذهب عنـه، قـال: وأُعطِي شعراً حسناً، قال: فأيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: البقرُ، فـأُعطيَ بقـرةً حاملاً، قالَ: بارك اللهُ تعالى لك فيها.

قال: فأتى الأعمى فقـال: أيُّ شيءٍ أحـبُّ إليـك؟ قـال: أن يَـرُدَّ الله إليّ بصري فأُبصرُ به الناس، قال: فمسحهُ فردّ اللهُ إليه بـصره، قـال: فـأيُّ المـالِ أحبُّ إليك؟ قال: الغنمُ، فأُعطيَ شاةً والداً، فأُنتجَ هذان وولّـد هـذا، قـال: فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقرِ، ولهذا وادٍ من الغنم.

قال: ثم إنه أتى الأبرص في صـورته وهيئتـه، فقـال: رجـلٌ مـسكينٌ! قـد انقطعتْ بي الحبالُ في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسـألك بالـذي أعطاك اللون الحسنِ والجلد الحسنِ والمالَ، بعيراً أتبلغُ عليه في سفري،

فقال: الحقوقُ كثيرةٌ، فقال له: كأني أعرفُـك، ألم تكـن أبـرصَ يقـذرُكَ الناسُ؟ فقيراً فأعطاك الله!؟

---

(١) ناقة عشراء: هي الحامل القريبة الولادة.

فقال: إنما وُرِّثتُ هذا المالَ كابراً عن كابر، فقال: إن كنتَ كاذباً، فصيَّركَ الله إلى ما كنتَ.

قال: وأتى الأقرعَ في صورتهِ، فقال له مثل ما قال لهذا، وردَّ عليه ما ردّ على هذا. فقال: إن كنت كاذباً فصيّركَ الله إلى ما كنتَ.

قال: وأتى الأعمى في صورته وهيئته فقال: رجلٌ مسكينٌ وابنُ سبيلٍ! انقطعت بي الحبالُ في سفري، فلا بلاغَ لي اليوم إلا بالله ثم بكَ، أسألك بالذي ردّ عليك بصرَك، شاةً أتبلغ بها في سفري؟

فقال: قد كنتُ أعمى فردَّ الله إليّ بصري، فخُذ ما شئت، ودع ما شئت، فوالله! لا أجهدكَ اليوم شيئاً أخذتَهُ لله عز وجل.

فقال: أمسِكْ مالَكَ، فإنما ابتُليتُم، فقد رُضي عنك وسُخِطَ على صاحبَيكَ»[1].

ج- قارون الذي افتتن بالمال: قال تعالى: ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤) واللفظ له.

عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٧٩﴾﴾ [القصص].

٢- فتنة الأولاد.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿١٥﴾﴾ [التغابن]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡ﴾ [التغابن:١٤].

وقال ﷺ: «**إن في مال الرجل فتنة، وفي زوجته فتنة، وولده**»(١) أي: في ولده فتنة.

وقال ﷺ: «**إن الولدَ مبخلةٌ، مجبنةٌ، مجهلةٌ، محزنةٌ**»(٢).

---

(١) **صحيح**: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣/ ١٦٩)، [«صحيح الجامع» (٢١٣٧)].

(٢) **صحيح**: أخرجه الحاكم (٣/ ٣٣٥)، والطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٢٤١)، [«صحيح الجامع» (١٩٩٠)].

ومعنى الحديث والله أعلم: أن الولد يجعل أباه يجبن في كثير من الأحيان، فيجبن في الجهاد مثلاً خوفاً من الموت ونزول اليتم بأبنائه بما فيه من متاعب وآلام، وأحياناً قد يخون الأب أو يرتشي أو يأكل الحرام بسبب أولاده، فيقع تحت طائلة العقوبة والفضيحة والعار في الدنيا والآخرة، والولد قد يكون سبباً في جعل أبيه بخيلاً، فلا ينفق الأب مما أعطاه الله عز وجل من الأموال إيثاراً لولده بالمال، وخشية الفقر والحاجة، ثم إذا أصاب الولَد مكروهٌ أو سوء أو مرضٌ حزن الوالد واغتم لمصاب ولده، وحمل همه صباحاً ومساءً.

فنسأل الله العفو والعافية، ونسأله أن يبارك في أولادنا، وألا يجعلهم فتنة لنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

ومن الأمثلة التي تُظهر فتنة الأولاد:

أ- كان رسول الله ﷺ يخطبنا إذ جاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال: «**صدق الله: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾ نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران، فلم أصبرْ حتى قطعتُ حديثي ورفعتُهما**»[1].

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابو داود (١١٠٩)، والترمذي (٣٧٧٤)، والنسائي (١٤١٣)، وابن ماجه (٣٦٠٠)، وأحمد (٥/ ٣٥٤)، [«المشكاة» (٦١٦٨)].

ب- قال ﷺ: «**كانت امرأتان معهما ابناهُما، جاء الذئبُ فذهب بابن إحداهما، فقالت لصاحبتها: إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتحاكمتا إلى داود** عليه السلام **فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود** عليهما السلام **فأخبرتاه، فقال: ائتوني بالسكين أشقه بينهما، فقالت الصغرى: لا تفعل، رحمك الله هو ابنها، فقضى به للصغرى**»(١).

ج- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مرّ النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر فقال: «**اتقي الله واصبري**». قالت: إليك عني فإنك لم تُصب بمصيبتي، ولم تعرفه. فقيل لها: إنه النبي ﷺ، فأتت النبي ﷺ فلم تجد عنده بوَّابين، فقالت: لم أعرفك، فقال ﷺ: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**»(٢).

د- يعقوب عليه السلام عندما فقد يوسف وأخاه.

قال تعالى في وصف الحالة التي كان عليها يعقوب عليه السلام عندما فقد يوسف وأخاه: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِىَّ

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٧٦٩)، ومسلم (١٧٢٠).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٢٨٣)، ومسلم (٩٢٦).

ﭐذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ [يوسف].

هـ- وهذا أبو طلحة رضي الله عنه عندما تزوج أمّ سُليم ولدت له ولداً، وكان أبو طلحة يحبه حباً شديداً، ومرض الصبي مرضاً شديداً، وتواضع أبو طلحة لمرضه أو تضعضع له[1].

٣- فتنة النساء.

قال صلى الله عليه وسلم: «**ما تركت بعدي فتنة أضرَّ على الرجال من النساء**»[2].

وقال صلى الله عليه وسلم: «**إن الدنيا حلوة خَضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**»[3].

فالمرأة فتنة عظميةٌ للرجال، ولذلك عدها الله عز وجل في كتابه في مقدمة الشهوات الدنيوية التي يُفتن بها الناس، فقال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾[آل عمران].

---

(١) **صحيح**: أخرجه الطيالسي (٢١٦٨)، والبخاري (٥٤٧٠)، ومسلم (٢١٤٤).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٧٤٢).

وقال ﷺ: «**المرأة عورةٌ، فإذا خرجت استشرفها الشيطان**»(١). أي: زينها في أعين الرجال.

ومن الأمثلة على فتنة النساء.

أ- أن شاباً قروياً خرج ليلاً في صحبة زوجته المتبرجة وهو مفتخر بها أمام الناس! فاستأجر سيارة لنقلها إلى قريته، وفي الطريق لعب الشيطان في عقل السائق بسبب مشهد المرأة المتبرجة، فتظاهر بعُطل في السيارة فنزل لإصلاحه، وأخيراً طلب من الزوج النزول لدفع السيارة قليلاً من الخلف، وأخذ هو يقودها، فطار بالمرأة، وبقي زوجها على الأرض يستغيث ولا مغيث .. فظُن شراً ولا تسأل عن الخبر. ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٣٣﴾[النحل](٢).

ب- وهذا شابٌ يسيرُ في الشارع أمام الناس، فرأى فتاة متبرجةً عارية فافتتن بها، فهجم عليها في الشارع أمام الناس، فجاءت الشرطة فأخذوه من فوقها، ووضع في السجن، فلما وقف هذا الرجل أمام القاضي في المحكمة، قال للقاضي: قبل أن تحكم عليّ بشيء أطلب منك أن تطلب من الفتاة أن تأتي باللباس الذي كانت تلبسه عند وقوع الحادثة، فلما جاءت الفتاة إلى القاضي ورأى لباسها حكم ببراءة المتهم.

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (١١٧٣)، [«صحيح الجامع» (٦٦٩٠)].

(٢) «تحفة العروس» (ص٣٥٢).

ج- وهذه قصة أخرى حدثت لشابٍّ كان على علاقةٍ بفتاة فمّن الله عليه بالتوبة والاستقامة على الطاعة وحضور مجالس العلم وبقي على ذلك فترة من الزمن.

وفي يومٍ من الأيام حضر درساً وكان الشيخ يتكلمُ عن حديث «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**» فعندما ذكر الشيخ «**عن الرجل الذي دعته امرأة ذات منصب وجمال قال إني أخاف الله**» فحدّث الشاب التائب نفسه وقال في نفسه: أنا اليوم لا أُفتنُ بالنساء، ولو جاءتني امرأة ذات منصبٍ وجمال سأقول لها إني أخاف الله.

وبعد خروجه من الدرس وهو يسير في الشارع قابلته الفتاة التي كان على علاقة بها قبل التوبة، فنظر إليها ونظرت إليه، وكلمها وكلّمتهُ واتصلت به واتصل بها وتم اللقاء بينهما بعد الاتصال، فافتتن بها وانتكس على أم رأسه مرة أخرى، فلما سأله صديقه الذي تاب على يديه في المرة الأولى عن سبب انتكاسه إلى المعاصي مرة أخرى ذكر له قصة الفتاة.

د- وهذا مؤذن صعد على سطح المسجد للأذان، فنظر في بيت جار المسجد -وكان صاحب البيت نصرانياً- فوقعت عينه على ابنة صاحب البيت، وكانت على قدرٍ كبير من الجمال، فافتتن بها وتعلق بها، ونزل وذهب إلى البيت فطرق الباب وطلب منها الزواج فقالت له: أنت مسلم وأنا نصرانية. فقال لها: ما المطلوب؟ قالت له: تنصر أتزوجك، فتنصر وارتد عن دينه، وفي الطريق إلى بيته ليتجهز للزواج منها مات، فخسر الدنيا الآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

وصدق رسول الله ﷺ الذي قال: «**ما تركت بعدي فتنة أضرَّ على الرجال من النساء**»[١]. وقال ﷺ: «**فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء**»[٢].

٤- فتنة الكفار لأهل الإسلام.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ [الفرقان].

المسلم في هذه الدنيا يُفتتن في دينه من الكفار والمنافقين وأهل البدع والأهواء، ومن الأمثلة على ذلك:

١- عن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بُردة له في ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟ فقال: «**قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيُجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيُجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمَّن هذا الأمر حتى يسير الراكبُ من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون**»[٣].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٧٤٢).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٩٤٣).

٢- عن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت: (لما نزلنا أرض الحبشة، جاورنا بها خير جارٍ، النجاشي، أَمِنَّا على ديننا، وعبدنا الله لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشاً، ائتمروا أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين جَلْدين وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة ... قالت: فخرجنا، فقدما على النجاشي، ونحن عنده بخير دار، وعند خير جارٍ، فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشي، ثم قالا لكل بطريق منهم: إنه قد صبا إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاؤوا بدين مبتدَع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم لتردوهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم، فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا، ولا يكلمهم، فإن قومهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم، فقالوا لهم: نعم. ثم إنهما قربا هداياهم إلى النجاشي فقبلها منهما، ثم كلّماه، فقالا له: أيها الملك! إنه قد صبا إلى بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك، وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثَنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم، وأعمامهم، وعشائرهم، لتردهم إليهم، فهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم، وعاتبوهم فيه.

قالت: ولم يكن شيء أبغض إلى عبدالله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع النجاشي كلامهم. فقالت بطارقته حوله: صدقا أيها الملك!

قومهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم، فأسلِمهم إليهما، فليردّاهم إلى بلادهم وقومهم.

قالت: فغضب النجاشي، ثم قال: لا هيم الله (أي لا والله) إذاً لا أسلمهم إليهما، ولا أكاد قوماً جاوروني، ونزلوا بلادي، واختاروني على من سواي، حتى أدعوهم فأسألهم ما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولون أسلمتهم إليهما، ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما، وأحسنت جوارهم ما جاوروني.

قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول والله ما علمنا، وما أمرنا به نبينا ﷺ كائن في ذلك ما هو كائن، فلما جاؤوه، وقد دعا النجاشي أساقفته، فنشروا مصاحِفَهم حوله، سألهم. فقال: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا في ديني ولا دين أحد من هذه الأمم؟

قالت: فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب فقال له: أيها الملك! كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف فكنا على ذلك، حيث بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه، وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده، ونعبده، ونخلع ما كنا نحن نعبد وآباؤنا من دونه من الحجارة

والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام.

-قالت: فعدد عليه أمور الإسلام- فصدقناه، وآمنا به واتبعناه على ما جاء به فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا فعدَا علينا قومنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا، وشقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلدك واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نُظلم عندك أيها الملك! ... الحديث)[1].

٣- تقول أم سلمة ﵂: (لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رَحَّلَ لي بعيره، ثم حملني عليه، وحمل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجري، ثم خرج بي يقود بعيره، فلما رأته رجالُ بني المغيرة (وهم أصهاره) قاموا إليه فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتنا هذه! علام نتركك تسير بها في البلاد؟

(١) انظر: «صحيح السيرة النبوية» الألباني (ص١٧٠).

قالت: فنزعوا خطام البعير من يده فأخذوني منه، قالت: وغضب عن ذلك بنو عبد الأسد رهط أبي سلمة. قالوا: لا والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا. قالت: فتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد وحبسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة.

قالت: فَفُرِّق بيني وبين زوجي وبين ابني، قالت: فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح، فما أزال أبكي حتى أُمسي سنة أو قريباً منها، حتى مرّ بي رجل من بني عمي -أحد بني المغيرة- فرأى ما بي فرحمني فقال لبني المغيرة: ألا تُخرجون هذه المسكينة؛ فرّقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها؟

قالت: فقالوا لي: الحقي بزوجك إن شئت. قالت: وردّ بنو عبد الأسد إليّ عند ذلك ابني. قالت: فارتحلت بعيري، ثم أخذت ابني فوضعته في حجري ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة. وما معي أحد من خلق الله. قالت: فقلت: أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجي، حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أخا بني عبد الدار.

فقال لي: إلى أين يا بنت أبي أمية؟ قالت: فقلت: أريد زوجي بالمدينة قال: أوَ ما معك أحد؟ قالت: فقلت: لا والله إلا الله وبُني هذا. قال: والله مالك من مترك، فأخذ بخطام البعير فانطلق معي يهوي بي، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل

أناخ بي، ثم استأخر عني، حتى إذا نزلت عنه استأخر ببعيري فحط عنه، ثم قيَّده في الشجرة، ثم تنحى إلى الشجرة فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فقدمه فرحله، ثم استأخر عني فقال: اركبي، فإذا ركبت فاستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه، فقاد بي حتى ينزل بي، فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة. فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء قال: زوجك في هذه القرية -وكان أبو سلمة بها نازلاً- فادخليها على بركة الله ثم انصرف راجعاً إلى مكة.

فكانت تقول: والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة، وما رأيت صاحباً قط أكرم من عثمان بن طلحة)[1].

٤- وهذا صحابي جليل أخذه الكفار في مكة، وعذبوه وقالوا له: أتحب أن محمداً مكانك، وأنت سليمٌ معافىً في أهلك ومالك؟

فصاح فيهم، وقال لهم: والله ما أحب أني في أهلي وولدي ومالي، معي عافية الدنيا ونعيمها، ويصاب رسول الله ﷺ بشوكة، ولذلك قال فيه القائل:

أسرت قريشٌ مسلماً ... فمضى بلا وجلٍ إلى السياف
سألوه: هل يرضيك أنك سالمٌ ... ولك النبي فدىً مِن الإتلافِ؟
فأجاب: كلا لا سلِمتُ مِنَ الردى ... ويصاب أنفُ محمدٍ برعافِ

(١) انظر: «السيرة النبوية الصحيحة» أكرم ضياء العمري (١/ ٢٠٢-٢٠٤).

٥- عن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**كان ملكٌ فيمن كان قبلكم، وكان له ساحرٌ فلما كبُرَ قال للملك: إني قد كبرتُ فابعث إليّ غلاماً أعلمه السحر؛ فبعث إليه غُلاماً يعلمُهُ، وكان في طريقه إذا سلك راهب، فقعد إليه وسمع كلامهُ فأعجبهُ، فكان إذا أتى الساحر مرّ بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربهُ، فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر.**

فبينما هو كذلك إذ أتى على دابةٍ عظيمةٍ قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم: الساحرُ أفضلُ أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمرُ الراهبِ أحبَّ إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة، حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبرهُ.

فقال له الراهب: أي بُني! أنت اليومَ أفضلُ مني قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستُبتلى، فإن ابتُليت فلا تدُلَّ عليّ؛ وكان الغلامُ يبرئ الأكمه والأبرص، ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليسٌ للملك كان قد عَمِيَ، فأتاه بهدايا كثيرةٍ، فقال: ما ههنا لك أجمع، إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوتُ الله فشفاك، فآمن بالله، فشفاه الله، فأتى الملكَ فجلس إليه كما كان يجلس.

فقال له الملك: مَن رد عليك بصرَك؟ قال: ربي. قال: أولك ربٌّ غيري؟ قال: ربي وربُك الله، فأخذه فلم يزل يُعذبُهُ حتى دل على الغلام،

فجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بُني! قد بلغ من سِحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل! فقال: إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله.

فأخذه فلم يزل يُعذبه حتى دلّ على الراهب، فجيء بالراهب، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدعا بالمئشار، فوُضِعَ المئشار في مفرق رأسه، فشقهُ حتى وقع شِقَّاه، ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك فأبى، فوضع المئشار في مفرق رأسه، فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدفعه إلى نفرٍ من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروتهُ، فإنْ رجع عن دينه، وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟

فقال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوهُ في قرقورٍ، فتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه فذهبوا به.

فقال: اللهم اكفينهم بِمَ شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله.

فقال للملك: إنك لستَ بقاتلي حتى تفعل ما آمُرُك به، قال: وما هو؟ قال: تجمعُ الناس في صعيدٍ واحدٍ، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهماً من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: باسم الله رب الغلام، ثم

ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناسَ في صعيدٍ واحدٍ، وصَلَبهُ على جذعٍ، ثم أخذ سهماً من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال: باسم الله ربِّ الغلام، ثم رماه فوضع السهم في صُدْغِهِ، فوضع يدهُ في صُدغِهِ في موضع السهم فمات، فقال الناسُ: آمنا برب الغلام! آمنا برب الغلام! آمنا برب الغلام! فأُتِي الملكُ فقيل له: أرأيت ما كنت تحذرُ؟ قد والله نزل بك حذرُكَ، قد آمن الناس، فأمر بالأخدود بأفواهِ السكك فخُدَّت وأضرم فيها النيران.

وقال: من لم يرجع عن دينه فأَحموهُ[1] فيها، أو قيل له: اقتحم، ففعلوا حتى جاءت امرأةٌ ومعها صبيٌّ لها، فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أُمَّه! اصبري، فإنكِ على الحق»[2].

وقد أخبرنا الله -عز وجل- عن هؤلاء في كتابه، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾[البروج].

(١) فأحموه: وفي رواية «فأَقْحِموهُ».

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٣٠٠٥).

الفصل الثاني

أسباب الفتن

السبب الأول: إتباع الهوى، وفسادُ القصد.

إن الهوى يمنعُ صاحبَهُ من الاستجابة للحق، قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص].

إن الهوى إلهٌ يُعبدُ من دون الله، فالهوى عند كثير من الناس هو الذي يأمر وهو الذي ينهى، وهو الذي يحلل لهم وهو الذي يحرم، فأصحاب الهوى يحبون ويوالون لهواهم، ويبغضون ويمنعون لهواهم.

قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية].

وقال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان].

انظروا إلى جميع فرقِ الضلالِ والحزبيين الذين أوقعوا الأمة في فتنة التفرق والتحزب والتعصب؛ تروا أن سبب ما هم فيه أنهم يتبعون

أهواءهم ولا يستجيبون لله ولا لرسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾﴾[المؤمنون].

ولذلك أمر الله رسله وأنبياءه أن يتبعوا الوحي الذي جاءهم من الله ولا يتبعوا الهوى، قال تعالى لنبيه داود عليه السلام: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص].

وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾[المائدة:٤٩].

وقال تعالى له أيضاً: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [الشورى:١٥].

الهوى يُوقعُ صاحبه في الفتنةِ -فتنة الشهوات وفتنة الشبهات- فيهلك، ولذلك قال ﷺ: «**ثلاثٌ مهلكاتٌ وثلاثٌ منجياتُ ..**» وذكر ﷺ المهلكات فقال: «**فأما المهلكات: فشح مطاع، وهوى مُتبع وإعجاب المرء بنفسه**»(١).

(١) **حسن**: أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٧٥٤)، [«صحيح الجامع» (٣٠٤٥)].

السبب الثاني: الغلو في الدين بالإفراط أو التفريط.

الغلو في الدين سببٌ للوقوع في الفتن، ولذلك جاء الإسلام يحذرُ من الغلو في الدين، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ [المائدة:٧٧].

وقال ﷺ: «**يا أيها الناس! إياكم والغلوَّ في الدين؛ فإنه أهلك من كان قبلكم الغلوُّ في الدين**»(١).

ومن خلال مُجمل النصوص المشتملة على النهي عن الغلو، يتبين أن الغلو نوعان:

الأول: الغلوّ الكلي الاعتقاديّ.

الثاني: الغلوُّ الجزئيُّ العمليُّ.

والمراد بالغلو الكليِّ الاعتقادي: الغلو المتعلق بكليات الشريعة، وبمسائل الاعتقاد، مثل: الغلو في الولاء والبراء، كالغلو في الأئمة وادعاء العصمة لهم، أو الغلو في البراءة من المجتمع العاصي.

ومثل: الغلو في التكفير؛ كالتكفير بالمعصية.

وهذا الغلو الكلي الاعتقادي أشدُّ خطراً من الغلو الجزئيِّ العملي؛ ذلك أن الفِرَق إنما تصيرُ فِرقاً بخلافها للفرقة الناجية في معنى كلِّي للدين، وفي

(١) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٣٠٢٩)، والنسائي (٣٠٥٧)، وابن حبان (٣٨٦٠)، [«صحيح ابن ماجه» (٢٤٧٣)].

قاعدة من قواعد الشريعة، لا في جزئيّ من الجزئيات؛ إذ الجزئيُّ أو الفرع الشاذُّ لا ينشأ عنه مخالفة يقعُ بسببها التفرق شيعاً، وإنما ينشأ التفرقُ عند وقوع المخالفة في الأمور الكلية.

فمن أسباب نشوء الفِرق: غُلُوها غلواً كلياً اعتقادياً، ولذلك فإن ثمة أوصافاً وخصائص تجمعُ بين الفرق الغالية على مرّ التاريخ، ذكر أهل العلم بعضاً منها. ومما يطَّرد كثيراً في فرق الغلاة وصفان يجمعهما حديث رسول الله ﷺ الذي رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه في حديث قصة الرجل الذي اعترض على قسمة النبي ﷺ .. وفيه: فسألَ رجلٌ النبيَّ ﷺ أن يقتُلَه ... فمنعه، فلما ولَّى قال: «**إن من ضئضيء هذا -أو في عقب هذا- قوماً يقرءون القرآن لا يُجاوزُ حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية يقتلون أهل الإسلام، ويَدَعون أهل الأوثان، لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**»[(١)].

وإليكم تفصيل هذين الوصفين:

الأول: عدم فهم القرآن، فهم يقرءونه دون فقهٍ، وعدم فهمهم للقرآن بشكلٍ سليم؛ جعلهم يأخذون آياتٍ نزلت في الكفار، فيحملونها على المسلمين، فقد قال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما في الخوارج: (إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين)[(٢)].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري تعليقاً (١٢/ ٣٥٣-فتح)، [«مختصر صحيح البخاري» (٤/ ٢٣٩)].

ثانياً: التكفيرُ، ويضم بعضهم إلى التكفير استحلال الدماءِ، وهذا يكاد يكون مشتركاً بين أكثر أهل البدع.

قال أبو قلابة: (ما ابتدع رجلٌ بدعةً إلا استحل السيف) (١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (طريقةُ أهل البدع يجمعون بين الجهل والظلم، فيبتدعون بدعةً مخالفة للكتاب والسنة وإجماع الصحابة، ويُكفِّرون من خالفهم في بدعهم) (٢).

السبب الثالث: غياب المنهج الصحيح واتباع المتشابه.

١- قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧ ﴾[آل عمران].

٢- يقول أبو موسى الأشعري رضي الله عنه لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه: يا أبا عبدالرحمن! إني رأيت في المسجد آنفاً أمراً أنكرته، ولم أرَ والحمد لله إلا خيراً، قال: فما هو؟ فقال: إن عشتَ فستراه، قال: رأيت في المسجد قوماً حِلقاً جلوساً، ينتظرون الصلاة: في كل حلقة رجلٌ، وفي أيديهم

(١) **إسناده صحيح**: أخرجه الدارمي (١٠٠)، والآجري في «الشريعة» (١٤٥)، وأبو نعيم (٢/ ٣٢٦)، [«سنن الدارمي» (١/ ٢٣١) تحقيق: حسين سليم الداراني].

(٢) «الرد على البكري» (٢/ ٢٥٥)

حصاً، فيقول: كبروا مئة، فيكبرون مئة، فيقول: هللوا مئة، فيهللون مئة، ويقول: سبحوا مئة، فيسبحون مئة، قال: فماذا قلت لهم؟

قال: ما قلت لهم شيئاً انتظارَ رأيك أو انتظار أمرك.

قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم، وضمنت لهم أن لا يضيعَ من حسناتهم؟ ثم مضى ومضينا معه، حتى أتى حلقة من تلك الحِلق، فوقف عليهم.

فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟

قالوا: يا أبا عبدالرحمن! حصاً نعدّ به التكبير والتهليل والتسبيح. قال: فعدّوا سيئاتكم، فأنا ضامنٌ أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد! ما أسرع هلَكتكم!

هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابهُ لم تبلَ، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده! إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد ﷺ أو مفتتحوا باب ضلالة؟ قالوا: والله يا أبا عبدالرحمن! ما أردنا إلا الخير. قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه.

إن رسول الله ﷺ حدثنا: «**أن قوماً يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم**» وأيم الله! ما أدري لعل أكثرهم منكم، ثم تولى عنهم.

فقال عمرو بن سلمة: (رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنوننا يوم النهروان مع الخوارج)[1].

---

(١) **إسناده صحيح**: أخرجه الدارمي (٢١٠) والسياق له، وبحشل في «تاريخ واسط» (ص١٩٨، =

يقول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لما خرجت الحرورية -وهم الخوارج- اعتزلوا في دارهم وكانوا ستة آلاف. فقلت لعليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا أمير المؤمنين! أبردْ بالظهر لعلي آتي هؤلاء القوم فأكلمهم. قال: إني أخاف عليك، قلت: كلا.

قال: فقمتُ وخرجتُ ودخلت عليهم في نصف النهار، وهم قائلون فسلمت عليهم، فقالوا: مرحباً بك يا ابن عباسٍ! فما جاء بك؟

قلت لهم: أتيتكم من عند أصحاب النبي ﷺ وصهره، وعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بتأويله منكم، وليس فيكم منهم أحدٌ؛ لأبلغكم ما يقولون وتخبروني بما تقولون.

قلت: أخبروني ماذا نقمتم على أصحاب رسول الله ﷺ وابن عمه؟ قالوا: ثلاث. قلتُ: ما هنَّ؟

قالوا: **أما إحداهنّ** فإنه حكَّم الرجال في أمر الله، وقال الله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[الأنعام:٥٧]. ما شأن الرجال والحكم؟ فقلتُ هذه واحدة.

قالوا: **وأما الثانية** فإنه قاتل ولم يسبِ ولم يغنم، فإن كانوا كفاراً سلبهم وإن كانوا مؤمنين ما أحل قتالهم، قلت: هذه اثنتان فما الثالثة؟

قالوا: إنه محى نفسه عن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين.

---

١٩٩)، [«الصحيحة» (٢٠٠٥)].

قلت: هل عندكم شيء غير هذا؟ قالوا: حسبنا هذا. قلت: أرأيتم إن قرأتُ عليكم من كتاب الله، ومن سنة نبيه ﷺ ما يردُّ قولكم أترضون؟ قالوا: نعم.

قلت: أما قولكم حكَّم الرجال في أمر الله، فأنا أقرأ عليكم في كتاب الله؛ أن قد صير الله حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم، فأمر الله الرجال أن يحكموا فيه، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ ﴾ [المائدة:٩٥]، فأنشدتكم بالله تعالى أحكم الرجال في أرنب ونحوها من الصيد أفضل، أم حكمهم في دمائهم وصلاح ذات بينهم، وأنتم تعلمون أن الله تعالى لو شاء لحكم ولم يُصير ذلك إلى الرجال؟ قالوا: بل هذا أفضل.

وفي المرأة وزوجها قال الله -عز وجل-: ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا ٣٥ ﴾ [النساء:٣٥] فأنشدتكم بالله، حُكم الرجال في صلاح ذات بينهم، وحقن دمائهم أفضل من حكمهم في امرأة؟ أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم.

قلت: وأما قولكم قاتل ولم يسب ولم يغنم، أفتسبون أمكم عائشة وتستحلون منها ما تستحلون من غيرها وهي أمكم؟! فإن قلتم إنا نستحل

منها ما نستحل من غيرها؛ فقد كفرتم، ولئن قلتم ليست بأمنا؛ فقد كفرتم؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾ [الأحزاب:٦] فأنتم تدورون بين ضلالتين، فأتوا منها بمخرج. قلت: أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم.

وأما قولكم محى اسمه من أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بمن ترضون، وأراكم قد سمعتم أن النبي ﷺ يوم الحديبية صالح المشركين فقال لعليٍّ رضي الله عنه: «اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ» فقال المشركون: لا، والله ما نعلم أنك رسول الله، لو نعلم أنك رسول الله لأطعناك، فاكتب: محمد بن عبدالله.

فقال رسول الله ﷺ: «**امح يا علي! رسول الله، اللهم إنك تعلم أني رسولك، امح يا عليّ واكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله**»، فوالله لرسول الله ﷺ خيرٌ من عليّ، وقد محا نفسه ولم يكن محوه ذلك يمحوه من النبوة.

خرجت من هذه؟ قالوا: نعم فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم -أي: على عليّ بن أبي طالب- فقُتلوا على ضلالتهم، فقتلهم المهاجرون والأنصار(١).

---

(١) **حسن**: أخرجه النسائي في «الكبرى» (٥/ ١٦٥-١٦٧)، والبيهقي في «السنن» (٨/ ١٧٩)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٦٤، ١٦٥)، [«الصحيح المسند من فضائل الصحابة» مصطفى العدوي (ص١٤٢، ١٤٣)].

روى ابن جرير في «تفسيره»:

عن قتادة أنه كان قرأ هذه الآية: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ﴾ [آل عمران:٧].

قال: إن لم يكونوا الحرورية والسبائية فلا أدري من هم!! ولعمري لقد كان في أهل بدر والحديبية الذين شهدوا مع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان من المهاجرين والأنصار خبرٌ لمن استخبر، وعبرةٌ من استعبر، لمن كان يعقل أو يبصر ...

إن الخوارج خرجوا وأصحاب رسول الله ﷺ يومئذ كثيرٌ بالمدينة والشام والعراق، وأزواجه يومئذ أحياء، والله ما خرج منهم ذكرٌ ولا أنثى حرورياً قط، ولا رضوا الذي هم عليه، ولا مالؤوهم فيه، بل كانوا يُحدّثون بعيب رسول الله ﷺ إياهم، ونعته الذي نعتهم به وكانوا يبغضونهم بقلوبهم، ويعادونهم بألسنتهم، وتشتدّ -والله- عليهم أيديهم إذا لقوهم.

ولعمري لو كان أمر الخوارج هُدىً لاجتمع، ولكنه كان ضلالاً فتفرق، وكذلك الأمر إذا كان من عند غير الله وجدت فيه اختلافاً كثيراً فقد ألاصوا -أي: أداروا- هذا الأمر منذ زمان طويل فهل أفلحوا فيه يوماً أو أنجحوا؟ يا سبحان الله!! كيف لا يعتبر آخر هؤلاء القوم بأولهم؟

لو كانوا على هدىً فقط أظهره الله وأفلجه ونصره، ولكنهم كانوا على باطل أكذبه الله وأدحضه، فهم كما رأيتهم، كلما خرج لهم قرن أدحض الله حجتهم وأكذب أحدوثتهم، وأهرق دماءهم ...

إن كتموه كان قرحاً في قلوبهم وغماً عليهم، وإن أظهروه أهرق الله دماءهم .. ذاكم -والله- دين سوءٍ فاجتنبوه، والله إن اليهودية لبدعة، وإن النصرانية لبدعة، وإن الحرورية لبدعة، وإن السبائية لبدعة، ما نزل بهن كتاب ولا سنهن نبي» ا.هـ.

وفي الآية الكريمة المشار إليها سابقاً: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ... ﴾ [آل عمران:٧] الآية يبين الله -عز وجل- أنه عند حلول الفتن والمشتبهات، فإن أعظم من يبينها بياناً صحيحاً على وجهها الصحيح هم الراسخون في العلم، ولذلك ينبغي أن يُعلم أن أهل العلم ليسوا على درجة واحدة في العلم.

وها هنا أثر مهم جداً أورده حتى يتبين لطالب الحق معنى إتباع المتشابه ومعنى الرسوخ في العلم.

عن يزيد الفقير قال: (كنت قد شغفني رأيٌ من رأي الخوارج فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد أن نحج، ثم نخرج على الناس، قال: فمَرَرْنا على المدينة فإذا جابر بن عبدالله يحدث القوم -جالس إلى سارية- عن رسول الله ﷺ، قال: فإذا هو قد ذكر الجهنميين.

قال: فقلت له: يا صاحب رسول الله ﷺ! ما هذا الذي تحدثون؟! والله يقول: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ﴾[آل عمران:١٩٢]. و﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا ﴾ [السجدة:٢٠]. فما هذا الذي تقولون؟

قال: فقال: أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم. قال: فهل سمعت بمقام محمد ﷺ -يعني الذي يبعثه الله فيه-؟ قلت: نعم. قال: فإنه مقام محمد ﷺ المحمود الذي يُخرج الله به من يخرج، قال: ثم نعت وضع الصراط ومرّ الناس عليه، قال: وأخاف ألا أكون أحفظ ذاك، قال: غير أنه قد زعم أن قوماً يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها!

قال: يعني فيخرجون كأنهم عيدان السماسم. قال: فيدخلون نهراً من أنهار الجنة، فيَغتسلون فيه، فيخرجون كأنهم، القراطيس فرجعنا فقلنا: ويحكم أترون الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ؟ فرجعنا، فلا والله ما خرج منا غير رجل واحد)[1].... فهذا الأثر يدل على فوائد؛ منها:

أولاً: ضرورة لزوم منهج السلف في الفهم والاستدلال، فهؤلاء فهموا أن الإنسان إذا أدخل النار فإنه لا يخرج منها، وهذه شبهة، وهذه الشبهة تورث الفتنة، فإنهم لما حصلت في قلوبهم هذه الشبهة ورأوا الناس على غير ما هم عليه أرادوا أن يقاتلوا الناس وأن يخرجوا عليهم.

ثانياً: أنه لا يكفي حسن النية بغير منهج صحيح، فهؤلاء كانت نيتهم -في أنفسهم- حسنةً إلا أن ذلك لا يكفي؛ فالعبادة لها شرطان لا بدّ من اجتماعهما معاً؛ وهما: الإخلاص لله، والمتابعة للنبي ﷺ.

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٩١).

ثالثاً: أنّ الرجوع إلى الحق من موانع الفتنة، فهؤلاء لما رجعوا إلى الحق صار هذا مانعاً لهم من الوقوع في الفتنة.

رابعاً: بيان فضل العلماء في توجيه الناس إلى المنهج الصحيح والرأي السديد المبني على الكتاب والسنة.

السبب الرابع: الاستعجال وعدم الصبر.

قال تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡ .. ﴾ [الأحقاف:٣٥]، وقال تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠ ﴾ [الروم].

قال الإمام البغوي في «معالم التنزيل» (٦/ ٢٧٩): (لا يستخفنَّك، معناه: لا يحملنك الذين لا يوقنون على الجهل، واتباعهم في الغيّ).

وعن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردةً له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصرُ لنا، ألا تدعو لنا؟ فقال: «**قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيُجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيُجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكبُ من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون**»(١).

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٩٤٣).

قال ابن القيّم رحمه الله في «إعلام الموقعين» (٣/ ٤): (ومن تأمل ما جرى على الإسلام من الفتن، صغارها وكبارها رآها من إضاعة هذا الأصل، وعدم الصبر على المنكر، فطلب إزالته يتولَّدُ منه ما هو أكبر منه) ا.هـ.

وذكر الشيخ حسين بن عودة العوايشة –حفظه الله– في كتابه «الفتن وسبيل النجاة منها» أسباباً أخرى منها:

السبب الخامس: عدم التعاون والنُّصرَة بين المسلمين:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنفال].

فسبيل درْء الفتن تَحقُّق الوَلاية بين أهل الإسلام –وما يتضمن ذلك مِن التّعاون والنُّصْرَة–؛ لا التَّفرُّق والتّحزُّب والخلاف.

وقد أمَر الله –سبحانه– أهل الإِسلام أنْ يَتأمَّلوا حال الكُفّار وما هُم عليه مِن التّعاون والنُّصرَة بينهم، وحَذَّرَنا مِن عدم تحقيق (الوَلاية)، وبيَّن سبحانه أنَّ هذا يؤدِّي إلى فتنة وبلاء في الأرض وفسادٍ كبير، ولَم يقل في عَمّان، أو القاهرة أو جدَّة.. بل في الأرض.

وممّا يُؤَجِّج الفِتَن ويزيد الفساد، أنَّ الكُفّار يأخذون بأَسباب القُوَّة والغَلَبَة، وأهل الإِسلام يأخذون بأسباب الضَّعف والهزيمة بتغييب هذه الوَلاية.

قال ابن كثير رحمه الله[1]: (ومعنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنفال]، أي: إنْ لَمْ تُجانِبوا المشركين، وتُوالوا المؤمنين، وإلّا وقعَت الفِتْنَة في النّاس، وهو الْتِباس الأمر، واختلاط المؤمن بالكافر، فيَقع بين النّاس فساد منتشر طويل عريض).

السبب السادس: غياب المُصْلِحين:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [هود].

وهناك فرق بين المُصْلِح والصّالح، فيمكن أنْ يكون الهلاك مع وجود الصّالح ولا يمكن أن يكون مع وجود المُصلِح.

عن زينب بنت جحش رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنَّ النبي ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعاً يَقُولُ: «**لا إِلَهَ إِلّا الله، وَيْلٌ لِلعَرَبِ مِن شَرٍّ قَدْ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليَومَ مِن رَدمِ يَأجوجَ ومَأجوجَ مِثلُ هَذِهِ**، وَحَلَّقَ بِإِصبَعِهِ الإِبْهامِ وَالَّتِي تَلِيهَا، قالت: زينبُ بنتُ جحش: فقُلتُ: يَا رَسُولَ الله أَنَهلِكُ وَفينا الصَّالحون؟ قَالَ: **نَعَم إِذَا كَثُرَ الخَبَث**»[2].

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٩٨).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٣٤٦)، ومسلم (٢٨٨٠).

وفسَّر الجمهور الخَبَث بالفسوق والفجور، وقال النووي: رحمه الله: (والظاهر أنَّه المعاصي مطلقاً).

وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إذا ظَهَرَ السُّوءُ في الأَرضِ أنزَلَ الله -عز وجل- بأسَهُ بِأهلِ الأَرض، وإنْ كانَ فيهِم صالِحُون، يُصيبُهُم ما أصابَ النّاسَ، ثُمَّ يَرجِعُونَ إلى رَحمة الله**»[1].

السبب السابع: عدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال الله عز وجل: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة].

عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: لَـمّا رَجَعَت إِلَى رَسُولِ الله ﷺ مُهَاجِرَةُ البَحرِ قالَ: «**أَلا تُحَدِّثُونِي بِأَعَاجِيب مَا رأَيتم بأرضِ الحَبشةِ؟** قالَ فِتيةٌ مِنهُم: بلى يا رسول الله، بينا نحنُ جلوسٌ، مَرت علينا عجوزٌ من عجائز رهابينهم تحملُ على رأسِهَا قُلّة من ماءٍ، فمرّت بفتىً منهم، فجعل إحدى يديه بين كتفيها، ثـمَّ دفعَها، فخرَّت على رُكبَتيها، فانكسرت قُلتها، فلـمّا ارتفعت التفتت إليه،

---

(١) **صحيح**: أخرجه البيهقي في «الشعب» (٧٥٩٩)، وأحمد (٦/ ٤١)، والحاكم (٤/ ٥٦٨)، والطبراني في «الأوسط» (٢٠٨٩)، والحميدي (٢٦٤)، وإسحاق بن راهويه (١١٠٨)، [«الصحيحة» (١٣٧٢)].

فقالت: سوفَ تعلمُ يا غُدَرُ(١)، إذا وضعَ الله الكرسي، وجَمَعَ الأولِينَ والآخِرين، وتكلمتِ الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غداً قال: يقول رسول الله ﷺ: **صَدَقَت صَدَقَت، كيفَ يُقَدِّسُ(٢) الله أمَّةً لا يُؤخَذُ لضعيفهم من شديدهم؟»(٣).**

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: (يا أيُّها الناس! إنّكم تقرؤون هذه الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ [المائدة:١٠٥]، وإنّي سمِعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ النّاسَ إذا رأوا الظّالِمَ فَلَم يأخذوا على يديه؛ أوشَك أن يعُمّهم الله بعقاب من عنده**»(٤).

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما مِن رجلٍ يكونُ في قومٍ يعملُ فيهم بالمعاصي؛ يقدِرونَ على أن يغَيّرُوا عليه ولا يغيرون؛ إلّا أصابَهُمُ الله منه بعقابٍ قبل أن يموتوا**»(٥).

وفي لفظ: «**ما من قوم؛ يعمل فيهم بالمعاصي؛ هم أعز منهم وأمنع، لا يغيِّرون؛ إلا عمهم الله بعقاب**»(٦).

---

(١) أي: يا غادر.

(٢) أي: كيف يُطهِّرُها من دنس الذنوب، انظر: «شرح ابن ماجه» للسندي (٢/ ٨٠).

(٣) **حسن**: أخرجه ابن ماجه (٤٠١٠)، وأبو يعلى (٢٠٠٣)، [«صحيح ابن ماجه» (٣٢٥٥)].

(٤) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٣٣٨)، والترمذي (٢١٦٨)، وابن ماجه (٤٠٠٥)، وأحمد (١/ ٧)، وابن حبان (٣٠٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٣١٧)].

(٥) **حسن لغيره**: أخرجه أبو داود (٤٣٣٩)، وابن ماجه (٤٠٠٩)، وأحمد (٤/ ٣٦٤)، وابن حبان (٣٠٠)، والبيهقي في «السنن» (١٠/ ٩١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٣١٦)].

(٦) **حسن**: أخرجه ابن ماجه (٤٠٠٩)، وأحمد (٤/ ٣٦١)، والطبراني في «الكبير» (٢/ ٣٣١)، [«صحيح ابن ماجه» (٣٢٥٤)].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**أُمر بعبد من عباد الله أن يُضرب في قبره مائة جلدة، فلم يزل يسأل ويدعو حتى صارت جلدةً واحدةً، فجلد جلدة واحدة، فامتلأ قبره عليه ناراً، فلما ارتفع عنه وأفاق قال: علام جلدتموني؟ قالوا: إنك صليت صلاة واحدة بغير طهور، ومررت على مظلوم فلم تنصره**»(١).

ولا يجوز أن تمتنع عن قول الحق خوفاً من الناس، قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًاۚ﴾ [المائدة: ٤٤].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ خطيباً فقال: «**ألا لا يمنعن رجلاً هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه**»(٢)، قال: فبكى أبو سعيد وقال قد والله رأينا أشياء فهبنا(٣).

وفي رواية: (قال أبو سعيد: فحملني ذلك على أني ركبت إلى معاوية، فملأت أُذُنيه)(٤).

---

(١) **إسناده جيد**: أخرجه الطحاوي في «مشكل الآثار» (٣١٨٥)، [«الصحيحة» (٢٧٧٤)].

(٢) وفي رواية: «فإنه لا يُقرِّب من أجل، ولا يباعد من الرزق»، أخرجه أحمد وغيره، وانظر: «الصحيحة» (١/ ٣٢٤).

(٣) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٤٠٠٧)، والترمذي (٢١٩١)، وأحمد (٣/ ٥٠)، والطبراني في «الأوسط» (٢٨٠٤)، [«الصحيحة» (١٦٨)].

(٤) انظر «الصحيحة» (١/ ٣٢٤).

ولتعلم -سددني الله وإيّاك- أنّ الأمرَ بالمعروف والنهي عن المنكر بضوابطه؛ أمر مشروع، وهو من أركان سعادة الفرد، والأسرة، والأُمّة، وسبب النجاة في الآخرة بإذن الله تعالى.

أمّا الخروج على الحاكم فهو غير مشروع، وعدم الخروج عليه إنّما هو بأمرِ رسول الله ﷺ.

وأمّا البقاء على حالٍ غير مُرضٍ، فإنّما هو عقوبة من الله -سبحانه- لعدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقصاء التناصح.

نعم؛ إنّه بما كسبت أيدي الناس من الآثام والذنوب، وعدم التواصي بالحقّ، والتواصي بالصبر، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشورى].

وهذا الحال الذي لا يُرضي يتناسب مع ضعف الإيمان، وعدم طاعة الرحمن، لا أنّ الشرع يُقرُّ بهذا الحال الذي عليه الناس.

السبب الثامن: الفسوق والمعاصي والظُّلم:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴿١٦﴾ ﴾ [الإسراء].

فهذه هي إرادة الله سبحانه في الإهلاك، فهل هناك إرادة تردّها، أو قوةٌ تصدُّها؟!

فحقّ عليها القول: أي الوعيد، فدمَّرناها تدميراً، يعني: فخرَّبناها عند ذلك تخريباً، وأهلكنا من كان فيها من أهلها إهلاكاً[١].

فهل في تنحية الحاكم تُمنَع إرادة الله؟!!

وهل في تنحية السُّلطان يمنع التدمير الذي ذكرهُ الله سبحانه؟!!

وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنفال].

قال ابن كثير رحمه الله: (يحذِّر تعالى عباده المؤمنين فتنة: أي اختباراً ومحنة يعمُّ بها المسيء وغيره، ولا يخصّ بها أهل المعاصي، ولا مَن باشر الذنب، بل يعمّها حيث لم تُدفع وتُرفع). انتهى.

وقال الزبير بن العوّام رضي الله عنه: (لقد نزلت وما نرى أحداً منّا يَقع بها، ثمَ خصَّتنا في إصابتنا خاصّة).

وفي رواية: (نزلت هذه الآية ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنفال]، وما نظننا أهلها، ونحن عُنينا بها)[٢].

---

(١) انظر: «تفسير ابن جرير».

(٢) انظر: «تفسير ابن جرير».

وفي الحديث: «**يا معشر المهاجرين، خمسٌ إذا ابتليتم بهنّ، وأعوذُ بـالله أن تُدرِكُوهُنّ: لم تظهر الفاحشة في قـوم قـطُّ حتـى يُعلنـوا بهـا؛ إلا فـشا فـيهم الطاعون والأوجـاع التـي لم تكـن مـضت في أسـلافهم الـذين مـضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان**[١] **إلّا أُخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجـور الـسلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاةَ أموالهم، إلّا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسولهِ؛ إلّا سلّط الله علـيهم عـدوّاً مـن غيرهم؛ فأخـذوا بعـض مـا في أيـديهم، ومـا لم تحكـم أئمـتهم بكتـاب الله، ويتخيروا مما أنزل الله -عز وجل-؛ إلّا جعل الله بأسهم بينهم**»[٢].

فتأمَّل كيف يجلـب نقـص المكيـال والميـزان جـورَ الـسلطان والجـدب والغلاء، فمهما كانت هناك إضرابات ومظاهرات، واعتصامات، تشكو قلّة المال وكثرة العيال، وشدّة الجوع والفقر؛ فإنها لن تفلح.

ومهما كانت من محاولات لتنحية الحـاكم فـلا فائـدة؛ لأنَّ مـنهج الله لا يتغير ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٦٢﴾ [الأحزاب].

فلنُنَحِّ نقص المكيال والميزان يتنح الجور والفقر.

---

(١) ويدخل فيه إنقاص الجودة عند الصنّاع والمهنيين والحرفيين، وتحرِّي الغش في ذلك وأن يُباع لك شيء يختلف عن الصفات المتفق عليها.

(٢) حسن: أخرجه ابن ماجه (٤٠١٩)، والبيهقي في «الشعب» (٣٣١٤)، وفي «الحاكم» (٤/ ٥٨٢)، [«الصحيحة» (١٠٦)].

عن قتادة قال: (قالت بنو إسرائيل: يا رب أنت في السماء ونحن في الأرض، فكيف لنا أن نعرف رضاك من غضبك؟ قال: إذا رضيت عنكم استعملت عليكم خياركم، وإذا غضبت استعملت عليكم شراركم)(١).

وكذلك نقضُ عهد الله وعهد رسوله ﷺ سبب في الاحتلال، وأيضاً؛ إذا لم يحكم الحاكم بالكتاب والسُّنَّة؛ كان ذلك سبباً في النزاع الداخلي ورفع الرايات الكثيرة التي تتآمر ضد البلاد والعباد.

وفي رواية: «**ما نقضَ قومٌ العهد قطُّ؛ إلا كان القتل بينهم، وما ظهرت فاحشة في قوم قَطُّ؛ إلّا سلط الله -عز وجل- عليهم الموت، ولا منع قومٌ الزكاة، إلّا حبس الله عنهُمُ القطر**»(٢).

السبب التاسع: الكفر بأنعم الله -سبحانه- وعدم شكره:

قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل].

---

(١) أخرجه الدارمي وإسناده حسن، وانظر: «مختصر العلو» (ص١٣٠).

(٢) **صحيح**: أخرجه الحاكم (٢/ ١٣٦، ١٣٧)، والبيهقي في «الشعب» (٣٣١٢)، وفي «السنن» (٣/ ٣٤٦)، [«الصحيحة» (١٠٧)].

السبب العاشر: ذهاب النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال]

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان فيهم أمانان نبي الله ﷺ والاستغفار، قال: فذهب نبي الله ﷺ وبقي الاستغفار)(١).

قلت: فكيف إذا ذَهب الاستغفار؟!

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**النُّجُومُ(٢) أَمَنَةٌ(٣) للسماء، فإذا ذهبت(٤) النجوم؛ أتى السماء ما توعد(٥)، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت؛ أتى أصحابي ما يوعدون(٦)، وأصحابي أمنةٌ لأمّتي، فإذا ذهبَ أصحابي؛ أتى أُمّتي ما يوعدون(٧)**»(٨).

---

(١) وقد ورد مرفوعاً إلى النبي ﷺ لكنّه ضعيف، انظر: «الضعيفة» (١٦٩٠).

(٢) النجوم أي: الكواكب.

(٣) بمعنى الأمن، يعني: أنّها سبب أمن السماء، فما دامت النُّجوم باقية؛ لا تنفطر ولا تتشقق، ولا يموت أهلها.

(٤) أي: تناثرت.

(٥) أي: من الانفطار، والطي كالسجل.

(٦) من الفتن والحروب، واختلاف القلوب.

(٧) من ظهور البدع، وغلبة الأهواء، واختلاف العقائد، وظهور الروم، وانتهاك الحرمين، وقلت الأنوار، وقويت الظلمات، «فيض القدير» (بتصرف).

(٨) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٥٣١).

فمن أعظم أسباب الفتن موت النبي ﷺ[(١)] وموت الصحابة رضي الله عنهم كما في قوله ﷺ المتقدم: «**وأصحابي أمنةٌ لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون**».

عن شقيق قال: سمعتُ حذيفة رضي الله عنه يقول: بينا نحن جلوس عند عمر رضي الله عنه إذ قال: أيُّكم يحفظ قول النبي ﷺ في الفتنة؟ قال: فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تُكفِّرُها الصلاة والصدقة، والأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر، قال: ليس عن هذا أسألك ولكن التي تموج كموج البحر. فقال: ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها باباً مغلقاً، قال عمر: أيُكسرَ الباب أم يفتح؟ قال: لا؛ بل يكسر، قال عمر: إذاً لا يغلق أبداً. قلتُ: أجل. قلنا لحذيفة: أكان عمرُ يعلم الباب، قال: نعم، كما يعلم أن دون غدٍ ليلةً، وذلك أنِّي حدثتُهُ حديثاً ليس بالأغاليط[(٢)]، فَهِبنا أن نسأله من الباب، فأمرنا مسروقاً فسأله، فقال: من الباب؟ قال: عمر[(٣)].

ومع ذهاب النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم وذهاب منهجهم اشتد الخلاف، فها نحن نعيش الاختلاف الذي أعلمناه رسول الله ﷺ إذ قال: «**...وإنَّه من يعش منكم فيسرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء**

---

(١) فكيف إذا غيَّبَ الناس منهجه ﷺ ومنهج أصحابه رضي الله عنهم؟!

(٢) الأغاليط: جمع أغلوطة، وهي التي يُغالط بها، فمعناه: حدثته حديثاً صدقاً محقَّقاً ليس هو من صحف الكتابيين، ولا من اجتهاد ذي رأي؛ بل من حديث النبي ﷺ، «شرح النووي» (٢/ ١٧٥).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٠٩٦)، ومسلم (١٤٤).

الراشدين المهديين، عضُّوا عليها بالنواجذ وإياكم ومُحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة»(١).

فها هو الخلاف يعظُم ويشتد في بيان أسباب المحن والمخرج منها.

فيا ليت قومي يتأمّلون قوله ﷺ: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين**»؛ ففي سنته ﷺ وسنة الخلفاء الخلاص والمخرج.

ويا ليت أبناء أمّتنا يتأمّلون قوله ﷺ: «**وإيّاكم ومحدثات الأمور**»، فيجتنبوا الابتداع في بيان الحلول والنجاة والعلاج؛ إذ البدعة هي الدّاء نفسه.

وقد عظُمت المصيبة بضعف الاقتداء بالنبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم وعدم تلقي العلم والتوجيهات عن الأكابر، بل والتركيز على الصغار، وأقول:

إنّه لمن المؤسف حقاً أن تكون الآن توجيهات سلبية مقصودة؛ للتمييز بين طبقة الصّغار والكبار، والشّباب والشّيوخ...

ونحن مع بذر الثقة عند الصغار وتنمية قدراتهم بالضوابط الشرعية، والقواعد المرعية، لكنا لسنا مع زرع الغرور فيهم أبداً.

وهؤلاء الصغار هم الذين يحتاجون إلى توجيه الموجِّهين وإرشاد المرشدين؛ ليكونوا على درايةٍ تؤهلهم للمراحل المقبلة، فغداً هم الكبار، قال الشاعر:

---

(١) **صحيح**: أخرجه البيهقي في «السنن» (١٠/ ١٤٤)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧)].

لا تــزدرنَّ صِــغاراً في ملاعــبهم فلــربَّما صــاروا ســادات أقــوام

فكيف إذا سلّمناهم زمام أمور الأمّة مع نقص الخبرة والمعرفة والثقافة!
ثُمّ ما هو موقف هؤلاء الشباب حينما يكبرون، ويصبحون كهولاً وشيوخاً أيقال لهم: لقد انتهى دوركم وجاء دور الشباب!

وهناك من يخطط لتهييج عواطف الشباب في الاحتجاجات والمظاهرات، لا سيّما من كان في سنّ «المراهقة»، وهم يعلمون أبعاد هذا التخطيط وما يجرُّه من الدّمار.

ولْنَعلَم أن الذين يشيعون هذا؛ لا يريدون مصلحة الصغير ولا الكبير، إنهم يريدونها أن تكون فتنة ويكون الدين لغير الله.

السبب الحادي عشر: التحايل والتّلاعب في المال والتِّجارة وغيرهما:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذُلاً؛ لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**»(١).

وجاء في التعليق:

(العينة): أن يبيع شيئاً لغيره بثمن مؤجَّل، ويسلِّمه إلى المشتري، ثم يشتريه قبل قبض الثمن بثمن أقل من ذلك القدر يدفعه نقداً، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فهذا مع التواطؤ يُبطل البيعين، لأنّه حيلة).

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٣٤٦٢)، والبيهقي في «السنن» (٥/ ٣١٦)، والبزار في «البحر الزخار» (٥٨٨٧)، وأبو نعيم (٥/ ٢٣٧)، [«الصحيحة» (١١)].

فإذا أردنا نزع هذا الذل فلنطع نبينا ﷺ، فإنه قد تبين أنه لا ينزع إلّا بالرجوع إلى الدين.

وفيه إشارة إلى فساد محاولة نزع الذل بالسبل الأخرى -وهو واقع أمتنا الآن، ولا حول ولا قوة إلا بالله- وإنه لا ينزع إلا من خلال سبيلٍ واحدة وهي الرجوع إلى الدين.

السبب الثاني عشر: ذهاب العلم:

عن زياد بن لبيد رضي الله عنه قال: «ذكر النبي ﷺ شيئاً، فقال: ذاك عند أوان ذهاب العلم، قلت: يا رسول الله! وكيف يذهب العلم ونحنُ نقرأُ القرآن، ونُقرئُه أبناءنا، ويُقرئُهُ أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة؟!

قال: **ثكلتك أمُّك زيادُ! إن كنتُ لأراك من أفقه رجلٍ بالمدينة، أوَ ليس هذه اليهود والنّصارى يقرؤون التوراة والإنجيل؟ لا يعملون بشيءٍ مما فيهما!**»(١).

وعن شقيق قال: جلس عبد الله وأبو موسى، فتحدّثا، فقال أبو موسى: قال النبي ﷺ: «**إن بين يدي الساعة أياماً يرفع فيها العلم، وينزل فيها الجهل، ويكثر فيها الهرج -والهرج: القتل-**»(٢).

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٤٠٤٨)، والترمذي (٢٦٥٣)، وأحمد (٤/ ١٦٠)، والطيالسي (١٢٩٢)، والبزار في «كشف الأستار» (٢٣٥)، والحاكم (١/ ١٨٠)، [«صحيح ابن ماجه» (٣٢٨٨)].

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٠٦٤)، ومسلم (٢٦٧٢)، واللفظ له.

ما الذي جعلنا نصل إلى هذا الحال؟

إنّ الذي جعلنا نصل إلى هذا الحال الأليم؛ هو تقصير العلماء[(١)] والحكام[(٢)] والشعوب[(٣)].

إنه تقصير العلماء وطلّاب العلم في تربية الناس ومتابعتهم.

إنه لتقصيرهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إنه لتقصيرهم في مناصحة الحكام بالحكمة والموعظة الحسنة.

وإنه لتقصير الحكام لعدم الحكم بما أنزل الله عز وجل.

إنه لتقصيرهم لعدم مراقبة من تحتهم ممن يلون أمور الناس؛ لمنع الفساد.

إنه لتقصيرهم لعدم تفعيل دور ديوان المظالم، والاستماع إلى ما لا بُد منه.

وإنه لتقصير الشعب في العمل بطاعة الله سبحانه والعمل بما يرضيه.

وإنه لتقصيرهم في التفقه في الدين والتخلق بمحاسن الأخلاق.

---

(١) هذا مع معرفة قدر العلماء الربانيين العاملين وما يبذلونه ويقدمونه.

(٢) مع عدم إغفال ما يبذله من يبذل منهم من خير وبر.

(٣) وهؤلاء متفاوتون في الخير والشر، ولا يمكن أن ننسى وجود العاملين المخلصين الصادقين منهم.

إنه لتقصيرهم في عدم تعظيم قدر العلماء.

إنه لتقصير الضعيف في صلاته ودعائه، وقد قال ﷺ: «**إنما ينصرُ الله هذه الأمة بضعيفها بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم**»(١).

إنّه لتقصير الغني ببذل المال وإخراج الزكاة الواجبة.

إنّه لتقصير صاحب القرار بقراره.

إنّه لتقصير صاحب القلم بقلمه.

إنّه لتقصير صاحب الكلمة بكلمته.

إنّه تلقِّي العلم والثقافة والمعرفة من مصادر غير إسلاميّة وهذا ما يُسمى بـ«الغزو العقدي»، و«الغزو الفكري»، و«الغزو السِّياسي»، و«الغزو الاجتماعي»، و«الغزو التربوي».

إنّه نقص التّقوى أو خللها، وعدم الحِرص على حُسن الختام.

إنّه تغليب العاطفة على الأحكام الشرعية، بل قد تُرد الأحكام الشرعية بالعواطف، حتّى يقول القائل تحت عنفوان العاطفة: ليس هذا والله من الدّين!!

إنّه استخدام العقل المجرّد، وعدم إخضاعه للشرع(٢).

---

(١) **صحيح**: أخرجه النسائي (٣١٧٨)، وفي «الكبرى» (٣/ ٣٠)، والبيهقي في «السنن» (٦/ ٣٣١)، وأبو نعيم (٥/ ٢٩)، [«صحيح الجامع» (٢٣٨٨)].

(٢) وليس معنى: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ ۝٦٨﴾ [يس]، وما في معنى هذه الآية؛ أن تستقل العقول في التفكير =

إنّه في محاولة التوفيق بين مرضاة الله تعالى وتحقيق الأهواء!!

إنّه في البحث عن سبيلٍ للعمل بالدين؛ من غير تأصيل علمي، وتقعيد منهجي ... من غير تصفية ولا تربية .. من غير مرجعية صحيحة][1] .

=عن خالقها سبحانه، بل أن تخضع لقوله تعالى وقول رسوله ﷺ.

أمّا الاستقلالية الصحيحة فينبغي أن تكون في عدم الخضوع لشياطين الإنس والجن -على اختلاف لغاتهم وتنوّع انتماءاتهم-.

(١) «الفتن وسبيل النجاة منها» (١٢-٢٥).

الفصل الثالث

وسائل الثبات على الدين في زمن الفتن

الوسيلة الأولى: الإيمانُ الصادق.

الإيمانُ الصادقُ هو أقوى الوسائل لتثبيت المسلم على دينه عند اشتداد الفتن.

والإيمان هو: نطقٌ باللسان واعتقادٌ في القلب وعمل بالجوارح، يزيدُ بالطاعة وينقصُ بالمعصية.

وأركانه ستةٌ، هي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

وشُعَبُهُ بضع وستون أو بضعٌ وسبعون شعبة، قال ﷺ: «**الإيمان بضعٌ وسبعون -أو بضع وستون- شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»(١).

ثم إن الإيمانَ الصادق له ثمراتٌ عاجلةٌ -أي: في الدنيا- وآجلةٌ -أي: في الآخرة- منها:

١- الأمن والأمان، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[الأنعام].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥) واللفظ له.

٢- الحياة الطيبة وطمأنينة القلوب، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل:٩٧].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد].

ولذلك قال بعض الصالحين: (لو علمَ الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور، لجالدونا عليه بالسيوف).

٣- أن الله -عز وجل- يدافعُ عن المؤمنين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ [الحج:٣٨].

وقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس].

وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى: «**من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب**»(١).

٤- الأجر العظيم والبشرى تكون يوم القيامة لأهل الإيمان، قال تعالى: ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ [النساء].

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

وقال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾[الأحزاب].

٥- الأخوةُ الصادقة والاتحاد والاعتصام لا تكون أبداً إلا في ظل الإيمان، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات:١٠].

وقال ﷺ: «**المسلم أخو المسلم**»(١).

وقال ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً**» وشبَّك بين أصابعه(٢).

وقال ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»(٣).

٦- الثبات على الدين، قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ [إبراهيم:٢٧].

٧- الثبات في أرض المعركة، قال تعالى في وصف المؤمنين يوم الأحزاب: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأحزاب].

أما أصحاب القلوب المريضة الخالية من الإيمان فقد قال الله تعالى في وصفهم: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠).
(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٤٤٦)، ومسلم (٢٥٨٥).
(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) واللفظ له.

غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾ [الأحزاب].

فالإيمان الصادقُ يَثْبتُ أصحابُهُ عند اشتداد الفتن، ومن الأمثلة على ذلك:

١ – السحرةُ الذين جاء بهم فرعون فآمنوا مع موسى عليه السلام.

جاء فرعون بالسحرة ليبرهن للناس أن موسى عليه السلام ليس إلا ساحراً.

فما هي حال أولئك السحرة قبل أن يدخل الإيمان في قلوبهم؟ تأملوا فلن تجدوهم إلا طلاب دنيا، همتُهم دنيئةٌ، نظرتُهم قاصرة، يحبون الشهوات، لا يعرفون إلا الدنيا الزائلة، لذلك فإنهم قبل أن يلتقوا بموسى عليه السلام قالوا لفرعون: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾﴾ [الشعراء].

فقال لهم فرعون مطَمئناً ومبشراً: ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الشعراء].

لقد كان أولئك السحرة لا يريدون إلا الدنيا التي عند فرعون، حتى أنهم لمّا التقوا بموسى عليه السلام وقال لهم: ألقوا ما أنتم ملقون: ﴿فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الشعراء].

هذه هي صورتهم وحالهم قبل الإيمان، لا يعرفون إلا الدنيا، لكن لنتأمل حالهم بعد الإيمان.

قال تعالى: ﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الشعراء].

والآن هاهم السحرةُ، وبعد أن دخل الإيمان في قلوبهم يتعرضون لفتنة التهديد بالقتل والصلب، فهل ثبتوا على دينهم؟

تعالوا بنا لنستمع إلى كلام ربنا جل وعلا وهو يصف لنا ثباتهم على دينهم بعد إيمانهم.

قال تعالى عنهم: ﴿ قَالُواْ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ﴾[الشعراء].

وقال تعالى عنهم: ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ ﴾ [طه].

٢- قصة أصحاب الأخدود.

قال ﷺ: «كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كَبُرَ قال للملك: إني قد كبرت؛ فابعث إلي غلاماً أُعلمه السحر، فبعث إليه غلاماً يعلمه، فكان في طريقه إذا سلك راهب، فقعد إليه، وسمع كلامه فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مرَّ بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وَإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب؟ فأخذ حجراً فقال: اللهم! إن كان أمر الراهب أحبَّ إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة، حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها، ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بني! أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدلّ علي، وكان الغلام يُبرئ الأكمه والأبرص، ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليسٌ للملك كان قد عمي، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما ههنا لك أجمع، إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوتُ الله فشفاك، فآمن بالله، فشفاه الله، فأتى الملك، فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: مَن ردّ عليك بصرك؟ قال: ربي! قال: أولك ربٌ غيري؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الغلام،

فجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل، فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الراهب، فجيء بالراهب، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى فدعا بالمئشار، فوضع المئشار في مفرق رأسه، فشقّه به حتى وقع شقاه، ثم جيء بجليس الملك، فقيل له: ارجع عن دينك فأبى، فوضع المئشار في مفرق رأسه، فشقّه به حتى وقع شقاه، ثم جيء بالغلام، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته، فإنْ رجع عن دينه، وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور[1] فتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه، فذهبوا به، فقال: اللهم اكفنيهم بِمَ شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال كفانيهم الله، فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهماً من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: باسم الله رب الغلام! ثم ارمني،

(١) القرقور: السفينة الصغيرة، وقيل: الكبيرة.

فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهماً من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال: باسم الله رب الغلام! ثم رماه فوضع السهم في صُدغه، فوضع يده في صُدغه في موضع السهم فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام! آمنا برب الغلام! آمنا برب الغلام! فأُتي الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حذرك، قد آمن الناس. فأمر بالأخدود بأفواه السكك[1] فخُدَّت وأضرم النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها، أو قيل له: اقتحم، ففعلوا حتى جاءت امرأةٌ ومعها صبي لها، فتقاعست[2] أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمه! اصبري، فإنك على الحق»[3].

قال تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾ [البروج].

---

(١) أفواه السكك: أي أبواب الطرق.

(٢) تقاعست: أي توقفت ولزمت موضعها وكرهت الدخول في النار.

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٣٠٠٥).

٣- بلال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: (كان أولَ من أظهر إسلامه سبعةٌ: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمار وأمه سُمية، وصهيبٌ، وبلال، والمقداد رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه. وأما سائرهم فأخذهم المشركون وألبسوهم أدراع الحديد وصهروهم في الشمس، فما منهم من أحدٍ إلا وقد وَاتاهم على ما أرادوا إلا بلالاً، فإنه هانتْ عليه نفسهُ في الله، وهان على قومه، فأخذوه، فأعطوه الولدان، فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة، وهو يقول: أحدٌ أحدٌ)[1].

فكان من مناقبه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنْ كان مؤذن رسول الله ﷺ، قال ﷺ: «**يا بلال! قُم فنادِ بالصلاة**»[2].

وقال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (أبو بكر سيّدُنا أعتق سيِّدَنا) -يعني: بلالاً-[3].

٤- عبدالله بن حذافة السهمي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

إن هذا الصحابي الجليل الذي كان أحد السابقين إلى الإسلام، ومن مهاجري الحبشة الأُول، ضرب أروع الأمثلة في الثبات على الحق، جابهته

(١) **حسن**: أخرجه ابن ماجه (١٥٠)، وأحمد (١/ ٤٠٤)، وابن حبان (٧٠٤١)، والحاكم (٣/ ٣٢٠)، والبيهقي في «السنن» (٨/ ٢٠٩)، [«صحيح ابن ماجه» (١٢٢)].

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٠٤)، ومسلم (٣٧٧).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٧٥٤).

الفتن في أعتى صورها فلم تزعزعه عن دينه، وواجهته في أسوأ أشكالها فلم تردّه عن يقينه بهذا الإسلام، خبره من أعجب ما يروى وأغرب ما يذكر.

إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجَّه جيشاً إلى الروم فيه عبدالله بن حذافة رضي الله عنه، فقدّر الله عز وجل له أن يقع أسيراً في أيديهم، فذهبوا به إلى ملكهم وأخبروه أنه من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، فدعاه الملك إلى دين النصرانية، وساومه بأن يعطيه نصف ملكه، ويزوّجه ابنته.

فقال بصدق وثبات: (لو أعطيتني جميع ما تملك، وجميع ما تملكه العرب على أن أرجع عن دين محمد صلى الله عليه وسلم طَرفة عين ما فعلت).

فقال: إذاً أقتلك، فقال: (أنت وذاك). فأمر به فصُلب، ثم أمر الرماة أن يرموه قريباً من يديه ورجليه، وهو يعرض عليه دين النصرانية فيأبى، ثم دعا بقِدر صُب فيها ماء، وأحمي عليه حتى احترق، ثم دعا بأسير أو أسيرين من المسلمين فأُلقيا فيها فإذا هما عظام تلوح.

وعبدالله ينظر إلى ذلك، فعرض عليه النصرانية مرة أخرى وهو يأبى، فأمر به أن يلقى في القدر فبكى، فظن الملك أنه قد جزع، وطمع فيه، فقال: ردّوه، ثم سأله عن سبب بكائه.

فقال: (إني إنما بكيت لأن نفسي إنما هي نفس واحدة، تُلقى في هذه القدر الساعة في الله فتذهب، فأحببت أن يكون لي بعدد كل شعرة في جسدي نفس تعذَّب هذا العذاب في الله).

وفي بعض الروايات إن الملك سجنه في بيت، ومعه خمر ولحم خنزير ثلاثاً، وهو لا يأكل حتى كاد أن يهلك.

فلما أُخرج سأله الملك: ما منعك أن تأكل وتشرب؟ قال: (أما إن الضرورة كانت قد أحلّتها لي، ولكن كرهت أن أشمتك بالإسلام).

فقال الملك: قبّل رأسي وأنا أطلقك. قال: (وتطلق معي جميع أسارى المسلمين)، قال: نعم، فقبّل رأسه فأطلقه، وأطلق معه جميع أسارى المسلمين. فلما رجع إلى عمر رضي الله عنه وعلم الخبر قال: (حقٌّ على كل مسلم أن يقبل رأس عبدالله بن حذافة، وأنا أبدأ) فقام فقبّل رأسه[1].

٥- سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أحد السابقين الأولين إلى الإسلام، وكان باراً بأمه، قالت له أمه عندما أسلم: ما هذا الدين الذي أحدثتَ؟ والله لا آكل ولا أشربُ حتى ترجع إلى ما كنتَ عليه أو أموتُ؛ فتُعيَّرُ بذلك أبد الدهر، يُقال: يا قاتل أمه!

وقالت له أيضاً: أليس الله يأمرك بصلة الرحم، وبرّ الوالدين؟ والله لا آكلُ طعاماً، ولا أشربُ شراباً، حتى تكفر بمحمد. وقالت له أيضاً: زعمت أن الله وصّاك، بوالديك، وأنا أمُّك وأنا آمُرُك بهذا.

(١) انظر: «أُسد الغابة في معرفة الصحابة»، «سير أعلام النبلاء» (٢/ ١٤-١٥)، «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٩١٢)، «الإصابة» (٤/ ٥٨).

ومكثَت أمه بدون طعام ولا شراب ثلاثاً حتى غُشيَ عليها من الجَهد، فقام ابن لها يُقال له عُمارة فسقاها، فجعلت تدعو على سعدٍ، وسعدٌ ثابتٌ على دينه لا يستجيب لها، ولا يطيع لها. فأنزل الله قرآناً يتلى إلى يوم القيامة، يؤيد موقف سعد في عدم طاعته لأمه في الكفر بالله، ويأمر الولدَ أن يصاحب والديه في الدنيا بالمعروف، مع عدم الطاعة لهم في الكفر أو الشرك أو المعصية، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [لقمان].

الوسيلة الثانية: إتباع المنهج الصحيح (منهج الصحابة رضي الله عنهم).

المنهج في اللغة: هو الطريق المستقيم الواضح البيِّن.

والمنهج في الشرع: هو الطريق المستقيم الواضح الذي يسلكه المسلم في عقيدته وعبادته ومعاملته وأخلاقه، وفي جميع شؤونه فيما يتعلقُ بأمر الشرع.

والمنهج الذي يجب على المسلم أن يسير عليه هو ذاك المنهج الذي سار عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام من بعده، والتابعون له بإحسان ومن تبعهم من الأئمة الذين علا قدرهم، وعظم شأنهم، فهذا هو المنهج القويم

الذي ارتضاه الله لهذه الأمة لتسير عليه، قال سبحانه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء]، أي: من يباين الرسول ﷺ فيفارق طريقه -وهو طريق الحق والصراط المستقيم- بعدما وضح وبان له، ويفارق طريق المؤمنين الصادقين، ومنهاجهم الواضح المبين الذي يوصله إلى مرضاة رب العالمين نوله ما تولاه، ونتركه إلى ما اختاره، وهو الضلال والخذلان الذي تكون عاقبته العذاب العظيم، والمآل الوخيم في يوم القيامة[١].

وقد بين ذلك رسول الله ﷺ بقوله: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة وسبعين في النار، وافترقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة وإحدى وسبعين في النار، والذي نفسي بيده، لتفترقنَّ أمتى على ثلاث وسبعين فرقة: فواحدة في الجنة وثنتين وسبعين في النار**» قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: «**هم الجماعة**»[٢] وفي أخرى: «**ما أنا عليه وأصحابي**»[٣].

(١) انظر: «جامع البيان»: (٥/ ٢٧٧)، و«تيسير الكريم الرحمن» (ص١٦٥).

(٢) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٢)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٧٠)، وفي «مسند الشاميين» (٩٨٨)، وابن ابي عاصم في «السنة» (٦٣)، [«الصحيحة» (١٤٩٢)].

(٣) **حسن**: أخرجه الترمذي (٢٦٤١)، والحاكم (١/ ٢١٨، ٢١٩)، والمروزي في «السنة» (٦٠)، [«هداية الرواة» (١٦٩)].

فأشار النبي ﷺ لصحابته رضي الله عنهم لأنهم هم الصفوة المختارة من هذه الأمة التي أثنى عليها الله في كتابه حيث قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة]، ولأنهم خير القرون وأفضل الأمة بعد نبيها كما قال ﷺ: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته**»[1].

إن أصحاب النبي ﷺ هم أعرف الناس بدين الله ومراد الله ورسوله ﷺ، وهم أكثر الناس اقتداءً بهديه ﷺ وتمسكاً بسنته والتزاماً بأمره، وهم أهل الفصاحة والبيان، وأهل الفطرة والإيمان، جاء القرآن بلسانهم وعاصروا نزوله على نبيهم، وصفت أذهانهم لفهمه، والرسول ﷺ بينهم يبين لهم ما أشكل عليهم، ويوضح لهم ما خفي عنهم.

يقول جابر رضي الله عنه وهو يصف لنا حَجة النبي ﷺ: (ثم ركب ﷺ القصواء، حتى إذا استوت به ناقته على البيداء، نظرت إلى مدِّ بصري بين يديه من راكبٍ وماشٍ، وعن يمينه مثل ذلك، وعن يساره مثل ذلك، ومن خلفه مثل ذلك، ورسول الله ﷺ بين أظهرنا وعليه ينزل القرآن، وهو يعرف تأويله، وما عَمِلَ من شيء عَمِلنا به)[2].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٢١٨).

ثم لقد مات ﷺ وهو راضٍ عنهم، ولم تظهر فيهم البدع ولا الأهـواء ولا المحدثات، فمسلكهم هو المسلك السليم، ومنهجهم هو المنهج المستقيم، وطريقهم هو الطريق القويم، وما دونه ضلال عظيم، وانحراف وخيم.

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: (إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، وابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رأوه سيئاً فهو عند الله سيء)[(١)].

وقال ابن مسعود أيضا: (من كان مستناً؛ فليستن بمن قد مات، فإن الحيّ لا تؤمَن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ. كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلّها تكلفاً، اختارهم الله لصحبة نبيه، ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم على آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسِيرهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم)[(٢)].

---

(١) **حسن موقوف**: أخرجه أحمد (١/ ٣٧٩)، والطبراني في «الكبير» (٩/ ١١٢)، وفي «الأوسط» (٣٦٠٢)، [«الطحاوية» (ص٣٦١)].

(٢) «هداية الرواة في تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة» (١٩١).

خصائص منهج الصحابة رضي الله عنهم.

إن منهج الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين له خصائص يختص بها وسماتٌ يتسم بها، منها:

أولاً: أن مصدر تلقيه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

نعم، إن منهج الصحابة رضي الله عنهم كان مصدر تلقيه هو الكتاب والسنة، وهذان الأصلان هما اللذان تركنا عليهما رسول الله ﷺ، وأمرنا أن نتمسك بهما، فلا نضلُّ أبداً.

قال ﷺ: «**تركت فيكم شيئين، لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض**»(١).

قال تعالى في وصف كلامه الذي أنزله على نبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت].

وقال الله -عز وجل- في وصف رسوله ﷺ الذي أمرنا باتباع سننه قولاً وفعلاً وتقريراً: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم].

---

(١) **صحيح**: أخرجه الحاكم (١/ ١٧٢)، والدارقطني في «السنن» (٤/ ٢٤٥)، [«صحيح الجامع» (٢٩٣٧)].

وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِيَ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ [يونس].

فالكتاب والسنة هما الوحيان اللذان أمرنا الله بالتمسك بهما، والسير على هديهما، وإتباع أمرهما، واجتناب نهيهما.

فقال تعالى في شأن القرآن: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩].

وقال تعالى فيه: ﴿الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾ [إبراهيم].

وقال تعالى أيضاً فيه: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه].

* وقال تعالى في شأن السنة: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر].

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور].

ثانياً: طريق هذا المنهج طريقٌ واحدٌ لا يتعدد، وصراطٌ مستقيمٌ ليس بأعوج.

إن منهجَ الصحابة رضي الله عنهم -وهو منهج السلف- سبيلٌ واحدٌ وصراطٌ مستقيم، إنه المنهج الذي بعث الله به رسوله وأنزل به كتابه، وأمر الخلقَ كلهم باتباعه، فقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام].

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: (خط لنا رسول الله ﷺ خطاً، ثم قال: «**هذا سبيل الله**»، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله، وقال: «**هذه سبل؛ على كلِّ سبيل منها شيطان يدعو إليه**»، وقرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾[1] [الأنعام:١٥٣].

قال ابن جرير رحمه الله:

(﴿مُسْتَقِيمًا﴾ يعني: قويماً لا اعوجاج به عن الحق.

﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾ يقول: فاعملوا به، واجعلوه لأنفسكم منهاجاً تسلكونه.

(١) حسن: أخرجه أحمد (١/ ٤٣٥)، والدارمي (٢٠٧)، والحاكم (٢/ ٣٤٨)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ٣٤٣)، [«مشكاة المصابيح» (١٦٦)].

﴿فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ يقول: ولا تسلكوا طريقاً سواه، ولا تركبوا منهجاً غيره)[١].

ثالثاً: منهجٌ كاملٌ تامٌّ لا زيادةَ عليه، ولا نقصَ يعتريه.

قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾[المائدة:٣].

عن طارق بن شهاب رحمه الله قال: قال رجل من اليهود لعمر رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين! لو أنّ علينا نزلت هذه الآية: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾[المائدة:٣] لاتخذنا ذلك اليوم عيداً. فقال عمر: (إني لأعلم أي يوم نزلت هذه الآية؛ نزلت يوم عرفة في يوم جمعة)[٢].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الإيمان، فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً، وقد أتمه الله عز ذكره فلا ينقصه أبداً، وقد رضيه الله فلا يسخطه أبداً)[٣].

إن من أكبر نعم الله على هذه الأمة المحمدية أنْ أكمل لها دينها فلا تحتاج إلى دين غيره، ولا إلى نبيّ سوى نبيّها، ولذا جعله خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن.

---

(١) «جامع البيان» (٨/ ٨٧-٨٨).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٢٦٨).

(٣) «جامع البيان» (٦/ ٧٩).

فالحلال ما أحلّه والحرام ما حرمه، والدين ما شرعه، وكل ما أخبر به فهو صدق وحق، وكل ما حكم به فهو عدل وقسط، وقد رضي الله لها ذلك وأحبّه فلترض بما رضيه لها[١].

وقال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨]. أي: ما غفلنا عنه، ولا ضيعنا فيه من شيء.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: (قد بيّن لنا في هذا القرآن كلّ علم وكل شيء). وقال مجاهد رحمه الله: (كل حلال وكلّ حرام).

وقول ابن مسعود رضي الله عنه أعمّ وأشمل؛ فإن القرآن اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق وعلم ما سيأتي، وكل حلال وحرام، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم ومعاشهم ومعادهم[٢].

وعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**مثلي ومثل الأنبياء، كمثل رجل بنى داراً فأتمّها وأكملها إلا موضع لبنة، فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها، ويقولون: لولا موضع اللبنة**» قال رسول الله ﷺ: «**فأنا موضع اللبنة، جئت فختمت الأنبياء عليهم السلام**»[٣].

---

(١) «جامع البيان» (٦/ ٧٩-٨٢)، «تيسير الكريم الرحمن» (ص١٨٣).

(٢) «جامع البيان» (٦/ ٧٩-٨٢)، و«تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٩٠٣)، وانظر: «فتح القدير» (٣/ ١٨٧).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٥٣٤)، ومسلم (٢٢٨٧) واللفظ له.

هكذا فإن المنهج الذي سار عليه رسول الله ﷺ وصحبه من بعده كامل كافٍ لا نقص فيه بحال من الأحوال ولا تقصير، وإنما يقع التقصير من المنتسبين إليه، إما لجهلهم بما جاء به الرسول ﷺ، أو لنسبتهم إليه ما لم يأت به، أو لضلالهم وتفريطهم وانحرافهم فيقدّمون ويؤخرون، ويزيدون وينقصون، وذلك أصل البدع التي حذر منها رسول الله ﷺ بقوله: «**وإيّاكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»(١).

رابعاً: منهج ظاهرٌ واضحٌ جلي لا لُبس فيه ولا غموض، باقٍ إلى قيام الساعة.

لقد تولى رسول الله ﷺ إيضاح هذا المنهج وبيانه إلى الخلق كافة؛ لأن ربّه أمره بذلك، فقال تعالى له: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل].

فلعلمه بما أنزل عليه، وحرصه على بيانه، واتباعه له، فصّل للأمة ما أجمل، وبيّن لها ما أشكل، وأوضح لها ما غمض، لأنه أنصح الناس للناس، وأفصحهم لساناً، وأصدقهم لهجة، وأقواهم حجة، وأبلغهم بياناً، حتى تهتدي الأمة فتفوز بالنجاة في الدارين(٢).

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، [«صحيح الجامع» (٢٥٤٩)].

(٢) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٨٨٥).

قال ابن القيم رحمه الله: (والله تعالى قد بيّن في كتابه سبيل المؤمنين مفصّلة، وسبيل المجرمين مفصلة، وعاقبة هؤلاء مفصّلة، وعاقبة هؤلاء مفصلة، وأعمال هؤلاء وأعمال هؤلاء، وأولياء هؤلاء وأولياء هؤلاء، وخذلانه لهؤلاء وتوفيقه لهؤلاء، والأسباب التي وفق بها هؤلاء، والأسباب التي خذل بها هؤلاء، وجلا سبحانه الأمرين في كتابه، وكشفهما وأوضحهما وبيّنهما غاية البيان، حتى شاهدتها البصائر كمشاهدة الأبصار للضياء والظلام)(١).

وما مات رسول الله ﷺ إلا وقد ترك الأمة على بيّنة من أمر دينها، لا خفاء فيه ولا غموض، كالشمس في رابعة النهار، وهكذا قال لنا في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه: «**قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**»(٢).

وقد أمره ربّه سبحانه وتعالى أن يبلغ دينه كله، ولا يكتم منه شيئاً فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧﴾ [المائدة].

قال الزهري رحمه الله: (مِن الله الرسالة، وعلى رسول الله ﷺ البلاغ، وعلينا التسليم)(٣).

---

(١) «الفوائد» (ص١٠٨).

(٢) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٤٣)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، والحاكم (١/ ١٧٥، ١٧٦)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٢٤٧)، [«الصحيحة» (٩٣٧)].

(٣) **إسناده صحيح**: أخرجه البخاري تعليقاً (١٣/ ٦٢٦-فتح)، [«مختصر صحيح البخاري» (٤/ ٣٦٣)].

وشهدت له ﷺ أمته بإبلاغ الرسالة وأداء الأمانة، واستنطقهم بذلك في أعظم المحافل، في خطبته يوم عرفة في حجة الوداع، كما ثبت عن جابر ابن عبدالله رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال في خطبته يومئذ: («**وأنتم تُسألون عني فما أنتم قائلون**»؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فقال: بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: «**اللهم اشهد، اللهم اشهد**» ثلاث مرات)(١).

وقالت عائشة رضي الله عنها: (ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله الفِرية، والله يقول: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ**﴾(٢) [المائدة:٦٧].

وزادت في رواية: (ولو كان محمد ﷺ كاتماً شيئاً مما أُنزل عليه لكتم هذه الآية: ﴿ **وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُ** ﴾)(٣) [الأحزاب:٣٧].

وقال أبو ذر رضي الله عنه: (لقد تركنا محمد ﷺ وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علماً)(٤).

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٢١٨).

(٢) **صحيح**: مسلم (١٧٧).

(٣) **صحيح**: مسلم (١٧٧).

(٤) **حسن**: أخرجه أحمد (٥/ ١٥٣)، [«الموسوعة الحديثية»].

فهذا كله يبين أن الرسول ﷺ بيّن المنهج الحق، وأظهره للأمة كاملاً موفوراً، وبلغه البلاغ المبين، ولم يكتم منه شيئاً أبداً.

وسلك الصحابة مسلكه في البيان والإيضاح، وبذلوا جهوداً عظيمة في إبلاغ ذلك المنهج إلى كل أحد يمكنهم الوصول إليه، في أيّ بقعة من أرض الله، وفي أيّ مكان يوجد فيه عباد الله، وهكذا فعل من حمل الراية من بعدهم ممن وفقهم الله لمعرفة المنهج القويم، وقد جعل الله في كل زمان منهم من يقوم بنصرة هذا المنهج وإظهاره للناس، وإبلاغه لهم غير آبهٍ بما يناله في سبيل ذلك من شدة أو ضنك.

وفي ذلك يقول ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس**»[1].

قال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: (إذا رأيت قوماً يتناجون في دينهم بشيء دون العامة فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة)[2]، كيف لا؟ والله -عز وجل- يقول لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[يوسف].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٦٤١)، ومسلم (١٠٣٧) واللفظ له.

(٢) أخرجه الدارمي (٣١٥)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٧٧٤).

خامساً: منهج عام لكل زمان ومكان، ولكل أمة وجيل، بل للخلق كافة من الجن والإنس في كل عصر ومصر ووقت، وهو منهج سهل ميسر.

قال سبحانه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف].

وهذا خطاب للأحمر والأسود والعربي والعجمي بأن محمداً ﷺ رسول الله إليهم جميعاً، وهذا يقتضي عموم رسالته إلى الناس كافة، بل إلى الثقلين، فإنه ﷺ ليس كغيره من الرسل الذين كانوا يبعثون إلى أقوامهم خاصة.

قال -عز وجل- لنبيه ﷺ: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام:١٩].

وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان].

وفي حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أعطيت خمساً لم يُعطهُن أحد قبلي: نصرت بالرّعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطَهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأُحلت لي الغنائم ولم تحلّ لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة**»(١).

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٣٥).

وقد حذّر النبي ﷺ من سمع به ولم يؤمن بـه فقـال في حـديث أبي هريـرة رضي الله عنه: «**والذي نفس محمد بيده! لا يسمع بي أحد مـن هـذه الأمـة يهـودي ولا نصراني ثم يموت، ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**»[١].

ولنتأمل هذه الأمثلـة التاليـة، التـي يظهـر فيهـا الحـرصُ عـلى المـنهج الصحيح والثبات عليه والدعوة إليه.

أولاً: حُذيفة بنُ اليمان رضي الله عنه:

قال رضي الله عنه: (كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسـألـه عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله! إنـا كنـا في جاهليـة وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «**نعم**». قلت: وهـل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «**نعم! وفيه دَخَن**». قلت: ومـا دخنـه؟ قـال: «**قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر**». قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟

قال: «**نعم! دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها**» قلـت: يا رسول الله! صفهم لنا؟ قال: «**هم من جلدتنا ويتكلمون بألـسنتنا**» قلـت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٥٣).

قال: «**تلزم جماعةَ المسلمين وإمامهم**» قلت: فإن لم يكن لهم جماعةٌ ولا إمامٌ. قال: «**فاعتزل تلك الفرق كلّها؛ ولو تعضَّ بأصلِ شجرةٍ حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**»[1].

إن السموم الفتاكة التي أنهكت قوة المسلمين، وشلّت حركتهم، ونزعت بركتهم ليست سيوف الكفر التي اجتمعت على الكيد للإسلام وأهله ودولته، وإنما هي الجراثيم الخبيثة التي تسللت إلى داخل جسم العملاق الإسلامي على فترات بطيئة، لكنها متوالية وأكيدة المفعول.

وهذا يؤكد أن الوصف الصليبي اليهودي لدولة الإسلام بـ «الرجل المريض» كان دقيقاً، فهم الذين غرسوا بكتيريا الشهوات، وفيروسات الشبهات في كيان دولة الإسلام، وأنها نمت وترعرعت في أحضانهم ومحاضنِهم، وشربت لبانهم حتى الثُمالة.

وقد تنوعت عبارات شارحي الحديث حول مفهوم **الدّخن**. ولكنها تتفق في مُحصلةٍ واحدةٍ:

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١٣/ ٣٦): (وهو الحقدُ، وقيل: الدغلُ، فساد القلب، ومعنى الثلاثة متقارب).

يُشيرُ إلى أن الخير الذي يجيءُ بعد الشرّ لا يكونُ خالصاً بل فيه كدرٌ.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٠٨٤)، ومسلم (١٨٤٧).

وقيل: المراد بالدخن الدخان، ويشير بذلك إلى كدر الحال.

وقيل: الدخنُ: كل أمرٍ مكروه.

وقال أبو عبيدٍ: يفسر المراد بهذا الحديث، الحديث الآخر: «لا ترجع القلوب على ما كانت عليه».

وأصله: أن يكون في لون الدابة كدورةٌ؛ فكأنّ المعنى أن قلوبهم لا يصفو بعضها إلى بعض).

ونقل النووي في «شرح صحيح مسلم» (١٢/ ٢٣٦-٢٣٧) قول أبي عُبيد.

قال البغوي في «شرح السنة» (١٥/ ١٥): (وقوله: «فيه دخن»، أي: لا يكون الخير محضاً، بل فيه كدرٌ وظلمةٌ، وأصل الدخن أن يكون في لون الدابة كدورة إلى السواد) ا.هـ.

ونقل العظيم أبادي في: «عون المعبود» (١١/ ٣١٦) عن القاري قوله: (وأصل الدخن هو الكدورة واللون الذي يضرب إلى السواد، فيكون فيه إشعارٌ إلى أنه صلاحٌ مشوبٌ بالفساد). ا.هـ.

قلت: تتمخض هذه الشروحات عن أمرين:

أولها: أن هذه مرحلة ليست خيراً خالصاً، وإنما مشوبةٌ بكدرٍ يعكّر صفو الخير، ويجعل مذاقه ملحاً أُجاجاً.

الآخرُ: أنّ هذا الكدر يفسد القلوب، ويجعلها ضعيفة حيث دبّ إليها داء الأمم، وتتخطفها الشبهات.

ولسنا بحاجة للوقوف طويلاً عند كل شرح نبين صحيحه من قبيحه، وسليمه من سقيمه، لأنّ رسول الله ﷺ قرر أموراً ذات دلالات:

الأولى: البدع.

إن هذا الدخن انحراف يعتري المنهج النبوي الحق الذي كان يسود مرحلة الخير الخالص، فيؤدي إلى تشويه المحجة البيضاء التي ليلها كنهارها، ألم يقل ﷺ في تفسير **الدخن** كما جاء في حديث حذيفة عندما سأله رضي الله عنه: «**قوم يستنون بغير سنتي، ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكرُ**». هذا هو أصل الداء وجذر البلاء، إنه انحراف عن السنة في المنهج، وانصراف عن السمت النبوي في السلوك والعمل.

وبهذا يتضح أن الدخن الذي شاب الخير فكدَّر معينه وغير رواءه هو **البدع** التي أطلّت برؤوسها من أوكار المعتزلة والصوفية، والجهمية، والخوارج والأشعرية، وَالمرجئة، والروافض، منذ قرون ابتغاء الفتنة، فأمعنت في الإسلام تحريفاً، وانتحالاً، وتأويلاً.

فلم يبق من القرآن إلا رسمه، ومن الإسلام إلا اسمه، ومن التعبّد إلا جسمه.

ومنه يتضح أن أمر البدع خطيرٌ؛ لأنها تفسد القلوب والأبدان بينما الأعداء يفسدون الأبدان.

ولذلك فقد اتفقت كلمات السلف الصالح على وجوب مجاهدة أهل البدع وهجرهم.

قال مؤرخ الإسلام الذهبي في كتابه المستطاب: «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٢٦١) بعد أن نقل قول سفيان الثوري: (من أصغى بسمعه إلى صاحب بدعة وهو يعلم، خرج من عصمة الله، ووُكل إلى نفسه).

وعنه: (من سمع ببدعةٍ فلا يحكها لجلسائه، لا يلقها في قلوبهم).

قال الذهبي: (أكثر السلف على هذا التحذير، يرون أن القلوب ضعيفة والشُّبه خطافةٌ).

قلت: صدق رحمه الله وبرّ ونصح.

وبذلك أصبحت الأمة الإسلامية في ذيل القافلة البشرية مرتعاً لكل ناعقٍ، واستنسر بأرضها الباطل وهو زاهقٌ، وتكلّم في أمرها كل منافقٍ مارق.

ونبتت خلوفٌ اتبعوا الشهوات، واجتالتهم الشبهات؛ فغزا الوهن قلوبهم، وظهرت في الأمة سكرتا الجهل وحب العيش، فلم تعد آمرة بالمعروف، ناهية عن المنكر، مجاهدةً في سبيل الله، ففقدت خيريّتها؛ لأنها لم تؤد شرط الله فيها(١).

---

(١) انظر لزاماً: «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (١/ ٣٩٩-٤٠٥).

الثانية: حصوننا مهددة من الداخل.

لكيلا تستيقظ الأمة الإسلامية على وخز الإبر السامة المحقونة بالجراثيم الفاتكة التي تغرز في جسمها، وإمعاناً في تضليلها وتعتيم الأمور عليها، وحجب الحقائق عن بصرها، فقد قام أئمة الكفر بإقامة مصانع داخلية[1]؛ لإفراز سمومهم من الداخل فلا تظهر أعراض المرض الخبيث إلا بعد مدة طويلةٍ، وحينئذ يستعصي على الطبيب، ويُحيّر اللّبيب.

هذه المصانع التي تُردد ما يلقى في سمعها من أعداء الله، وتفرز ما يحقنه بها أئمةٌ يهدون إلى النار هي من جلدتنا، وتتكلم بلغتنا، وتزعم الحرص على أمتنا، والعمل على بعث حضارتنا.

ولذلك؛ فإنّ الذين غرسوا هذه الجراثيم في جسم الأمة الإسلامية هم من أبنائها.

ولكنّ الرحمة المهداة ﷺ لم يترك في الأمر لبساً، فقد بيّنه بوحي من الله ولم يكن حدساً.

ففي حديث حذيفة وصفٌ لهؤلاء النفر الذين صنعهم أئمة الكفر على أعينهم، وغذّوهم بلبانهم.

---

(١) تم ذلك لأعداء الله بطريقتين:

الأولى: الابتعاث، والذي سنه محمد علي ودرج عليه من أتى بعده، وهناك يتمُّ غسيل الدماغِ لأبناء المسلمين ومن ثم يرجعون إلى ديارهم ينفذون ما سمعوه ورأوه.

الثانية: الاستشراق، ومنه تسلل الماكرون من أعداء الله تحت شعار الدراسة والبحث العلمي، وقد أثبتت الدراسات المحايدة أن هؤلاء المستشرقين عملاء لأجهزة المخابرات الصليبية اليهودية.

قال رسول الله ﷺ: «**نعم؛ دعاةٌ على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها**».

قلت: يا رسول الله! صفهم لنا. قال: «**هم من جلدتنا ويتكلمونَ بألسنتنا**».

فهذه الصفة الأولى التي يُعرفون بها، فهم من العرب نسباً ولغةً.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري» (١٣/ ٣٦): (أي: من قومنا ومن أهل لسانا وملّتنا، وفيه إشارةٌ إلى أنهم من العرب.

وقال الداودي: أي من بني آدم.

وقال القابسي: معناه في الظاهر على ملّتنا، وفي الباطن مخالفون، وجلدة الشيء ظاهره، وهي في الأصل غشاء البدن.

قيل: ويؤيد إرادة العرب أن السُّمرة غالبةٌ عليهم، واللون إنما يظهر في الجلد) ا.هـ.

وفي رواية: «**وسيقوم فيهم رجالٌ قلوب الشياطين في جثمان الإنس**»[1].

وهذه الصفة الثانية التي يعرفون بها، فهم يُظهرون الحرص على الأمة ومصالحها وسيادتها واستقلالها وتميُّزها .. يُرضون الأمة بألسنتهم، وتأبى قلوبهم إلا تنفيذ ما تعلموه وتربوا عليه في محاضن أسيادهم من الصليبيين واليهود.

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٨٤٧).

قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[البقرة:١٢٠].

هذا ما يخطط له الأسياد من الفرنجة واليهود، وينفذه العبيد من الرويبضات الذين استنسروا في أرضنا؛ لأنهم ترعرعوا عليها، وأكلوا من خيراتها، ولكنهم عُمّدوا في محاضن حزب الشيطان، وجنود إبليس الذين درّبوهم على المبدأ الصليبي القاتل، إنه بطيءٌ ولكنه أكيد المفعول.

وهو ما حذّر منه المولى -عز وجل- في قوله: ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾[التوبة].

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[البقرة].

هكذا يستخِفون بالشعوب والأمم فأطاعتهم، وأسلمت قيادها لهم، لأنها فسقت عن منهج الله، وهم يجرونها إلى النار، ويريدونها أن تتبوأ دار البوار.

وهؤلاء لا يفتُرون في الدعوة إلى ضلالاتهم ومنكرهم ويقيمون لذلك التجمعات والأحزاب والمؤتمرات والصالونات، ولذلك ورد وصفهم بأنهم دعاةٌ.

والدُّعاة بضم الدال: جمع داعٍ وهي جماعةٌ قائمةٌ بأمرها، وداعيةٌ للناس إلى قبولها(١).

---

(١) انظر: «عون المعبود» للعظيم أبادي (١١/ ٣١٧).

هذه التحذيرات النبوية والومضات السُنّية إشارة أصبع للذين أُصيبوا بعمى الألوان؛ فأصبحوا مجرد أبواق يرددون ما يلقى إليهم من وراء البحار وخلف الحدود!

إنها تنبيهاتٌ للأمة الإسلامية لعلها تحذر كيد الكافرين، وتستفيق فلا تتبع سبيل المجرمين.

إننا وجدنا آثارها في تاريخ المسلمين، ورأينا شرورها في دنيا الناس أجمعين. والأمة كثيرةٌ تفوق الحصر، وهي متوارَثةٌ في كل عصرٍ ومصرٍ.

ولم تزل جُموع دعاة الضلالة ترفع عقيرتها إلى يومنا هذا تدعو إلى جهنم -عياذاً بالله-.

فهاهم دعاة الحزبية الديمقراطية ينبحون، وها هم أرباب الاشتراكية ينهقون، وها هم أولياء القومية ينحبون .. والناس وراءهم يلهثون.

وبهذا يكون مثيرو الدخن هم سلف دعاة الضلالة، وبهذا يتضح أن سلسلة التآمر على الإسلام وأهله، ودولته لها جذورٌ عميقةٌ في التاريخ الإسلامي.

الثالثة: سنوات خدَّاعات.

إن ظاهر هذه المرحلة خيرٌ لكنّ باطنها من قِبله الهلاك، ألم يقل رسول الله ﷺ في حديث حذيفة رضي الله عنه عند مسلم: «**وسيقوم فيها رجالٌ قلوبُ الشياطين في جُثمان إنس**».

وهذا قد يخدع كثيراً من الناس الذين ينظرون إلى ظواهر الأشياء لكن أبصارهم عن بواطن الأمور محجوبة، وبذلك لا يُلقون بالاً لإصلاح الخلل من بدايته حتى لا يستفحل، ويتسع الخرق على الراقعِ.

إن هذا الدخن ينمو فاتكاً بالخير حتى يسيطر؛ فتكون مرحلة الشر الخالص، وبداية دعاة الضلالة، وفرق الغواية.

إن رؤوس الفتنة يعملون بنشاطٍ، بينما أهل الحق غافلون نائمون، بدليل أن هذا الدخن كبر حتى سيطر، ووثب على الحق وأهله، وثلّ عرش دولته.

ولذلك ألقت الأمور أزمتها إلى الرويبضات في هذه السنوات الخدّاعات، ووسِّد الأمر إلى غير أهله، ووضع الحق في غير محله.

عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**سيأتي سنواتٌ خدَّاعاتٌ، يُصدقُ فيهن الكاذب، ويكذّب فيهنّ الصادق، ويؤتمنُ الخائنُ، ويُخوّن الأمين، وينطق فيها الرُويبضة**». قيل: ما الرُّويبضة؟ قال: «**الرجل التافه يتكلم في أمر العامة**»[(١)](٢).

---

(١) حسن: أخرجه ابن ماجه (٤٠٣٦)، وأحمد (٢/ ٢٩١)، والحاكم (٤/ ٥١٢)، [«الصحيحة» (١٨٨٧)].

(٢) انظر كتاب «لماذا اخترت المنهج السلفي» (ص١٣-٢٠).

ثانياً: عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(عن عمرو بن سلمة: كنا جُلوساً على باب عبدالله بن مسعود قبل الغداة، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري، فقال: أخرج إليكم أبو عبد الرحمن؟ قلنا: لا، بعد. فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعاً، فقال له أبو موسى: يا أبا عبدالرحمن! إني رأيت في المسجد آنفاً أمراً أنكرته، ولم أرَ -والحمد لله- إلا خيراً. قال: فما هو؟ قال: إن عشتَ فستراه، رأيت في المسجد قوماً حِلقاً جلوساً ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجلٌ، وفي أيديهم حصى، فيقول: كبروا مئة، فيكبرون مئة، فيقول: هللوا مئة، فيهللون مئة، ويقول: سبحوا مئة، فيسبحون مئة، قال: فماذا قلت لهم؟

قال: ما قلت لهم شيئاً انتظار أمرك.

قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم[1]، وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم؟! ثم مضى ومضينا معه، حتى أتى حلقة من تلك الحِلق فوقف عليهم، فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟!

قالوا: يا أبا عبدالرحمن! حصى نعدّ به التكبير والتهليل والتسبيح. قال: فعدوا سيئاتكم، فأنا ضامنٌ أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد! ما أسرع هلكتكم! هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابهُ

---

(١) ليستغفروا منها؛ فمن أحصى سيئاته كان ذلك داعياً له لأن يتوب إلى الله.

لم تبلَ، وآنيته لم تكسر والذي نفسي بيده، إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد أو مفتتحوا باب ضلالة؟

قالوا: والله يا أبا عبدالرحمن، ما أردنا إلى الخير. قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه؛ إن رسول الله ﷺ حدثنا: «**إن قوماً يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم**» وأيم الله ما أدري، لعل أكثرهم منكم، ثم تولى عنهم.

فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنوننا يوم النهروان مع الخوارج[(١)].

فقد احتج عبدالله بن مسعود رضي الله عنه على أفراخ الخوارج بوجود أصحاب رسول الله ﷺ بينهم، وبأنهم لم يفعلوا فعلتهم، فلو كانت خيراً كما يزعمون لسبقهم أصحاب محمد ﷺ إليه، ولما لم يفعلوا ذلك فهو ضلالةٌ.

فلو لم يكن منهج الصحابة رضي الله عنهم حجةً على من بعدهم، لقالوا لعبدالله ابن مسعود: أنتم رجالٌ ونحن رجال.

ثالثاً: عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

لما خرجت الحرورية[(٢)] -وهم الخوارج- اعتزلوا في دارهم وكانوا ستة آلاف. وأجمعوا على أن يخرجوا على عليّ، فكان لا يزال يجيءُ إنسان، فيقول: يا أمير المؤمنين إن القوم خارجون عليك.

---

(١) **إسناده جيد**: أخرجه الدارمي (٢١٠)، [«سنن الدارمي» (١/ ٢٨٧)، تحقيق: حسين أسد الداراني].

(٢) نسبة إلى حروراء -بفتحتين وسكون الواو وراء أخرى وألف ممدودة-، وهي قرية على بعد ميلين من الكوفة، كان أول اجتماع الخوارج الذين خالفوا علي بن أبي طالب بها؛ فنسبوا إليها. انظر: «معجم البلدان» (٣/ ٣٤٥)، و«اللُّباب في تهذيب الأنساب» (١/ ٣٥٩).

فيقول: دعوهم؛ فإني لا أقاتلهم حتى يُقاتلوني، وسوف يفعلون[١].

فلما كان ذات يوم؛ أتيته قبل صلاة الظهر، فقلت: يا أمير المؤمنين أبرد بالصلاة؛ لعلي أُكلّم هؤلاء القوم. قال: إني أخافهم عليك، قلت: كلا، وكنتُ رجلاً حسن الخُلُق؛ لا أُؤذي أحداً.

فأذن لي، فلبست حُلّة من أحسن ما يكون من اليمن، وترجّلتُ، ودخلتُ عليهم في دار نصف النهار وهم يأكلون، فدخلت على قوم لم أر قط أشدّ منهم اجتهاداً، جباههم قرحةٌ من السجود، وأياديهم كأنها ثفنُ الإبل، وعليهم قُمُصٌ مرحضة، مشمِّرين، مسهمة وجوههم. فسلمت عليهم، فقالوا: مرحباً بك يا ابن عباسٍ وما هذه الحلّة عليك؟!

قلت: ما تعيبون مني؟ فقد رأيت رسول الله ﷺ أحسنَ ما يكونُ في ثياب اليمنية، ثم قرأت هذه الآية: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾ [الأعراف:٣٢].

فقالوا: ما جاء بك؟ قلت لهم: أتيتكم من عند أصحاب النبي ﷺ المهاجرين والأنصار، ومن عند ابن عم النبي ﷺ وصهره، وعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بتأويله منكم، وليس فيكم منهم أحدٌ؛ لأبلغكم ما يقولون وأبلّغهم ما تقولون.

---

(١) تصديقاً بما أخبر به رسول الله ﷺ من شأنهم.

فقالت طائفة منهم: لا تُخاصموا قريشاً؛ فإن الله عز وجل يقول: ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨﴾ [الزخرف].

فانتحى لي نفرٌ منهم، فقال: اثنان أو ثلاثة: لنكلّمنّه. قلت: هاتوا؛ ما نقمتم على أصحاب رسول الله ﷺ وابن عمه؟ قالوا: ثلاث. قلتُ: ما هنَّ؟

قالوا: **أما إحداهنّ** فإنه حكَّم الرجال في أمر الله، وقال تعالى: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[الأنعام:٥٧، يوسف:٤٠ و٦٠]. قلتُ هذه واحدة.

قالوا: **وأما الثانية** فإنه قاتل ولم يسبِ ولم يغنم، إن كانوا كفاراً لقد حلّ سبيهم، ولئن كانوا مؤمنين ما حلّ سبيهم ولا قتالهم[1]. قلت: هذه ثنتان فما الثالثة؟

قالوا: محى نفسه من أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين؛ فهو أمير الكافرين.

قلت: هل عندكم شيء غير هذا؟ قالوا: حسبنا هذا. قلت لهم: أرأيتكم إن قرأتُ عليكم من كتاب الله جلّ ثناؤه، وسنة نبيه ﷺ ما يردُّ قولكم أترجعون؟ قالوا: نعم.

---

(١) هذا هو الحكم في الفئة الباغية: لا تُسبى نساؤهم وذراريهم، ولا يقسمُ فيئهم، ولا يُجهزُ على جريحهم، ولا يُتبع هاربهم، ولا يُبدؤون بقتال ما لم يفعلوا.

قلت: أما قولكم: (حكَّم الرجال في أمر الله)، فإني أقرأ عليكم في كتاب الله؛ أن قد صير الله حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم، فأمر الله تبارك وتعالى أن يُحَكَّموا فيه. أرأيت قول الله تبارك وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ [المائدة:٩٥]، وكان حُكمُ الله أنه صيّره إلى الرجال يحكمون فيه، ولو شاء يحكمُ فيه، فجاز من حكم الرجال.

أنشدكم بالله! أحكم الرجال في إصلاح ذات البين وحقنِ دمائهم أفضل أو في أرنب؟! قالوا: بلى؛ بل هذا أفضل.

وفي المرأة وزوجها: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾[النساء:٣٥] فنشدتكم بالله حُكم الرجال في صلاح ذات بينهم، وحقن دمائهم أفضل من حكمهم في بضع امرأة؟! خرجتُ من هذه؟ قالوا: نعم.

قلت: وأما قولكم: (قاتل ولم يَسبِ ولم يغنم)؛ أفتسبُون أمكم عائشة تستحلون منها ما تستحلون من غيرها وهي أمكم؟! فإن قلتم إنا نستحل منها ما نستحل من غيرها؛ فقد كفرتم، وإن قلتم ليست بأمنا؛ فقد كفرتم: ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾ [الأحزاب:٦] فأنتم بين ضلالتين، فأتوا بمخرج. أفخرجتُ من هذه؟ قالوا: نعم.

وأما محيُ نفسه من أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بمن ترضون: إن نبيّ الله ﷺ يوم الحديبية صالح المشركين فقال لعليٍّ: «**امح يا علي، اللهم إنك تعلم أني رسول الله، واكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله**»، واللهِ لرسول الله ﷺ خيرٌ من عليّ، وقد محا نفسه ولم يكن محوه نفسه ذلك محاه من النبوة.

أخرجتُ من هذه؟ قالوا: نعم، فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم فقُتلوا على ضلالتهم، فقتلهم المهاجرون والأنصار(١).

فقد احتج عبدالله بن عباس رضي الله عنهما بمنهج الصحابة رضي الله عنهم على الخوارج، فإن القرآن نزل فيهم فهم أعلم بتأويله، وهم صحبوا رسول الله ﷺ فهم أتبعُ لسبيله.

وتوجيه عبدالله بن عباس رضي الله عنهما لشُبه الخوارج، وبيان وجه الحق الأبلج من الباطل اللجلج، دليلٌ علمي على ما قدمنا من الاحتجاج بمنهج الصحابة رضي الله عنهم.

قال الأوزاعي رحمه الله:

(اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكفّ عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم) (٢) (٣).

---

(١) **حسن**: أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (٥/ ١٦٥-١٦٧)، والبيهقي في «السنن» (٨/ ١٧٩)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٦، ١٦٥).

(٢) الآجري في «الشريعة» (ص٥٨).

(٣) كتاب «لماذا اخترت المنهج السلفي» (ص٩٩-١٠٤).

رابعاً: جابر بن عبدالله رضي الله عنه.

يقول يزيد الفقير: (كنت قد شغفني رأيٌ من رأي الخوارج فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد أن نحج، ثم نخرج على الناس، قال: فمررنا على المدينة فإذا جابر بن عبدالله يحدث القوم -جالس إلى سارية- عن رسول الله ﷺ، قال: فإذا هو قد ذكر الجهنميين.

قال: فقلت له: يا صاحب رسول الله ﷺ! ما هذا الذي تحدثون؟ والله يقول: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾[آل عمران:١٩٢]. و﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [السجدة:٢٠]. فما هذا الذي تقولون؟

قال: فقال: أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم. قال: فهل سمعت بمقام محمد ﷺ -يعني الذي يبعثه الله فيه-؟ قلت: نعم. قال: فإنه مقام محمد ﷺ المحمود الذي يُخرج الله به من يُخرج.

قال: ثم نعت وضع الصراط ومرّ الناس عليه. قال: وأخاف أن لا أكون أحفظ ذاك، قال: غير أنه قد زعم أن قوماً يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها!

قال: يعني فيخرجون كأنهم عيدان السماسم. قال: فيدخلون نهراً من أنهار الجنة، فيُغتسلون فيه، فيخرجون كأنهم القراطيس فرجعنا، فقلنا: ويحكم! أترون الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ؟ فرجعنا، فلا والله ما خرج منا غير رجل واحد)[1].

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٩١).

خامساً: ابن عمر رضي الله عنه.

يقول ابن عمر رضي الله عنهما: (كل بدعة ضلالة، وإن رآها الناس حسنة)[١].

وسمع ابن عمر رجلاً عطس فقال: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله فقال له: (ما هكذا علمنا رسول الله ﷺ بل قال: «**إذا عطس أحدكم، فليحمد الله**»، ولم يقل: (وليصل على رسول الله)[٢].

سادساً: الإمام مالك رحمه الله.

قال: (من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة لأن الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣] فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً[٣].

(وجاء رجلٌ إلى الإمام مالك فقال له: من أين أُحرم؟ قال له: (من ذي الحليفة، من حيث أحرم رسول الله ﷺ).

فقال الرجل: إني أريد أن أحرم من المسجد -أي: النبوي- من عند القبر.

---

(١) **صحيح موقوف**: أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١/ ٩٢)، [«أحكام الجنائز» (ص٢٥٨)].

(٢) **صحيح موقوف**: أخرجه الترمذي (٢٧٣٨)، والحاكم (٤/ ٢٩٥)، [«الإرواء» (٣/ ٢٤٥)].

(٣) الابتداع: (١٧١)، «السنن والمبتدعات» (٦).

قال له: (لا تفعل، فإني أخشى عليك الفتنة).

فقال الرجل: أي فتنة هذه؟ إنما هي أميال أزيدها.

فقال له: (وأي فتنةٍ أعظمُ من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصَّر عنها رسول الله ﷺ؟). إني سمعت الله -عز وجل- يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور])[1].

سابعاً: سعيد بن المسيب رحمه الله.

رأى رجلاً يصلي بعد طلوع الفجر أكثر من ركعتين، يكثر فيها الركوع والسجود، فنهاه عن ذلك؛ لأن الإنسان إذا طلع الفجر وصلى ركعتي السنة فلا يجوز له أن يتنفل بعد ذلك حتى يصلي الفريضة، وهذا الرجل قام يتنفل بعد أن صلى ركعتي سنة الفجر، فنهاه سعيد بن المسيب عن ذلك فقال الرجل: يا أبا محمد! يعذبني الله على الصلاة؟

قال له: لا، ولكن يعذبك على مخالفة السنة[2].

فإذا أردت يا عبد الله أن تثبتَ على دينك في زمن الفتن فعليك بالتمسك بمنهج الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٢٦)، وابن بطة في «الإبانة» (٩٨).

(٢) انظر: «البدعة» سليم الهلالي (ص٥٧).

الوسيلة الثالثة: الإقبال على القرآن الكريم.

قال الله -عز وجل- في وصف كتابه الكريم: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت]، وقال تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ [هود]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء].

وأخبرنا الله -عز وجل- في كتابه أن الغاية التي من أجلها أُنزل هذا الكتاب منجماً مفصلاً هي التثبيت، فقال تعالى في معرض الرد على شُبَه الكفار: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان].

لماذا كان القرآن مصدراً للتثبيت على الدين؟

أولاً: لأن القرآن يزيدُ الإيمان.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [التوبة].

فالقرآن يزيدُ الإيمان، وزيادةُ الإيمان سببٌ للثبات على الدين في زمن الفتن، فعليكم يا عباد الله! بالقرآن حفظاً وفهماً وتدبراً وقراءةً فإنه تجارة رابحة.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [فاطر].

ثانياً: لأن القرآن يهدي صاحبه إلى أقوم الطرق في كل شيء.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ﴿٩﴾ ﴾ [الإسراء].

وقال تعالى: ﴿ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٤٤﴾ ﴾ [فصلت].

ثالثاً: لأن من تمسك بالقرآن وعمل بمقتضاه لا يضل في الدنيا أبداً ولا يشقى في الآخرة، ومن تركه وأعرض عنه عاش في الدنيا عيشة ضنكا، وحُشرُ يوم القيامة أعمى.

قال تعالى: ﴿ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه].

وقال ﷺ: «**تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله، وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض**»(١).

رابعاً: لأن القرآن نورٌ أنزله الله على البشرية ليخرجهم من الظلمات إلى النور.

قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ [الشورى].

وقال تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾ [إبراهيم].

---

(١) **صحيح**: أخرجه الحاكم (١/ ١٧٢)، [«صحيح الجامع» (٢٩٣٧)].

خامساً: لأن القرآن يجعل صاحبه من أهل الله، ويجعله من خير الناس.

قال ﷺ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»(١).

وقال ﷺ: «**إنّ لله أهلينَ منَ الناسِ**» قالوا: يا رسول الله من هم؟ قال: «**هم أهل القرآن، أهل الله وخاصته**»(٢).

سادساً: لأن القرآن خير العلوم والعلم يرفع صاحبه في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾[العنكبوت:٤٩].

وقال ﷺ: «**إن الله تعالى يرفع بهذا الكتاب أقواماً، ويضع به آخرين**»(٣) والدليل على أن الله يرفع به أقواماً: قوله ﷺ: «**يؤم القومَ أقرؤهم لكتاب الله...**»(٤).

وقال ﷺ: «**يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق ورتل كما كنت تُرتل في دار الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها**»(٥).

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٠٢٧).

(٢) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٢١٥)، وأحمد (٣/ ١٢٧)، والحاكم (١/ ٧٤٣)، والنسائي في «الكبرى» (٥/ ١٧)، [«صحيح ابن ماجه» (١٧٩)].

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٨١٧).

(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (٦٧٣).

(٥) **صحيح**: أخرجه أبو داود (١٤٦٤)، والترمذي (٢٩١٤)، وأحمد (٢/ ١٩٢)، [«صحيح الجامع» (٨١٢٢)].

سابعاً: لأن في القرآن نبأ مَن قبلنا، وخبر من بعدنا، وحكم ما بيننا، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، ونوره المبين، وهو الذكر الحكيم، والصراط المستقيم، من قال بالقرآن صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أُجِرْ، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم.

ومن الأمثلة على تثبيت القرآن لمن قرأه وعمل به ما يلي:

١- إذا تعرض الإنسان لفتنة المال فقرأ القرآن وجد قصة قارون، وقصة صاحب الجنتين، وقصة أصحاب الجنة، وعلم كيف أن هؤلاء كانوا ضحايا لفتنة المال، فاعتبر بحالهم فلم يفتتن بفتنة المال وانتفع بقراءة القرآن.

٢- إذا تعرض المسلم لفتنة النساء فقرأ القرآن وجد فيه قصة يوسف عليه السلام الذي ضرب لنا أروع الأمثلة في الثبات أمام فتنة النساء، قال تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف].

٣- إذا تعرض المسلم لفتنة التعذيب بأيدي المجرمين الكافرين فقرأ القرآن وجد فيه قصة إبراهيم عليه السلام لمّا تعرض للتعذيب والتحريق بالنار فيتأسى به ويثبته ذلك على دينه.

قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾[الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾[العنكبوت].

٤- إذا تعرض المسلمُ أو المسلمة في الدنيا لفتنة كلام الناس عليه فقرأ القرآن وجد ذكر ما جرى لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي صبرت على كلام الناس عليها، واستعانت بالله على ذلك فبرأها اللهُ من فوق سبع سموات، وأنزل قرآناً يتلى إلى يوم القيامة.

روى مسلم في «صحيحه» أن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج سفراً أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه.

قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها، فخرج فيها سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ، وذلك بعدما أُنزل الحجاب، فأنا أُحملُ في هودجي، وأُنزل فيه، مسيرنا، -أي: تدخل في هذا الهودج وهو كالغرفة الصغيرة، فيحمل هذا الهودج على الجمل، وينزل وهي بداخله- حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوه وقفل -أي: رجع- ودنونا من المدينة، آذن ليلة بالرحيل،

فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيتُ من شأني أقبلت إلى الرحل، فلمست صدري فإذا عِقدي من جزْع[١] ظفار قد انقطع، فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه -أي: طلبه والبحث عنه- وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي فحملوا هودجي، فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب، وهم يحسبون أني فيه.

قالت: وكانت النساء إذ ذاك خفافاً لم يُهبَّلن ولم يغشهن اللحم إنما يأكلن العُلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحلوه ورفعوه، وكنت جاريةً حديثة السن، فبعثوا الجمل وساروا، ووجدتُ عقدي بعدما استمر الجيش، فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب، فتيممت منزلي الذي كنت فيه، وظننت أن القوم سيفقدونني فيرجعون إلي. فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت، وكان صفوان بن المعطل السُلمي ثم الذكواني، قد عَرّس من وراء الجيش فادلج -وهو السير آخر الليل- فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني فعرفني حين رآني، وقد كان يراني قبل أن يُضرب الحجاب عليّ، فاستيقظت باسترجاعه -أي: وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون- حين عرفني فخمَّرتُ وجهي بجلبابي، ووالله! ما يكلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه.

---

(١) جَزْع ظَفَار: مبينة على الكسر في الأحوال كلها وهي قرية باليمن، والجزع: خرز يماني.

حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة، حتى أتينا الجيش، بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة، فهلك من هلك في شأني، وكان الذي تولى كبرهُ عبدالله بن أُبي ابن سلول.

فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمنا المدينة شهراً. والناس يفيضون في قول أهل الإفك، ولا أشعر بشيء من ذلك، وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل رسول الله ﷺ فيُسلم ثم يقول: «**كيف تيكم؟**» فذاك يريبني، ولا أشعر بالشر، حتى خرجت بعدما نَقَهتُ وخرجَت معي أم مِسطح قِبَلَ المناصع، وهو متبرَّزنا، ولا نخرج إلا ليلاً إلى ليل.

وذلك قبل أن نتخذ الكُنُف قريباً من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول في التنزه، وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا، فانطلقت أنا وأم مسطح، وهي بنت أبي رُهم بن المطلب بن عبد مناف، وأمها بنت صخر بن عامر، خالة أبي بكر الصديق. وابنها مسطح ابن أُثاثة بن عبّاد بن المطلب، فأقبلت أنا وبنت أبي رُهم قِبَلَ بيتي، حين فرغنا من شأننا.

فعثرت أم مسطح في مرطها، فقالت: تعس مسطح. فقلت لها: بئس ما قلت، أتسبين رجلاً قد شهد بدراً. قالت: أي هَنتاه! أولم تسمعي ما قال؟ قلت: وماذا قال؟ قالت، فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضاً إلى مرضي.

فلما رجعت إلى بيتي، فدخل عليّ رسول الله ﷺ، فسلم ثم قال: «**كيف تيكم؟**» قلت: أتأذن لي أن آتي أبَويَّ؟ قالت: وأنا حينئذ أريد أن أتيقن الخبر من قِبلهما، فأذن لي رسول الله ﷺ، فجئت أبوي فقلت لأمي: يا أمتاه! ما يتحدث الناس؟ فقالت: يا بُنية! هوّني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئةٌ عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا كثَّرنَ عليها.

قالت: قلت: سبحان الله! وقد تحدث الناس بهذا؟.

قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت أبكي. ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، وأسامة ابن زيد رضي الله عنهما حين استلبث الوحي، يستشيرهما في فراق أهله.

قالت: فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود، فقال: يا رسول الله! هم أهلك ولا نعلم إلا خيراً.

وأما علي بن أبي طالب فقال: لم يُضيِّق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك. قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: «**أي بريرة! هل رأيت من شيء يريبك من عائشة؟**».

قالت له بريرة: والذي بعثك بالحق! إن رأيت عليها أمراً قط أغمِصُهُ عليها، أكثر من أنها جارية حديثة السِّن تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن فتأكله.

قالت: فقام رسول الله ﷺ على المنبر، فاستعذر من عبدالله بن أُبي ابن سلول. قالت: فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: «**يا معشر المسلمين! من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه من أهل بيتي. فوالله! ما علمت على أهلي إلا خيراً. ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً. وما كان يدخل على أهلي إلا معي**».

فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: أنا أعذرك منه يا رسول الله! إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك.

قالت: فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج، وكان رجلاً صالحاً، ولكن اجتهلته الحمية فقال لسعد بن معاذ: كذبت، لعمرُ الله! لا تقتله ولا تقدر على قتله. فقام أُسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ، فقال لسعد بن عبادة: كذبت، لعمرُ الله! لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فثار الحيّان الأوس والخزرج، حتى هموا أن يقتتلوا، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر، فلم يزل رسول الله يُخَفِّضُهُم حتى سكتوا وسكت.

قالت: وبكيت يومي ذلك. لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، ثم بكيت ليلتي المقبلة، لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، وأبواي يظنان أن البكاء فالق كبدي، فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي، استأذنت عليّ امرأة من الأنصار فأذنتُ لها فجلست تبكي.

قالت: فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ، فسلّم ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل لي ما قيل، وقد لبث شهراً لا يُوحى إليه في شأني بشيء.

قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال: «**أما بعد يا عائشة! فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبٍ ثم تاب، تاب الله عليه**».

قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته، قلص دمعي حتى ما أُحس منه قطرة -وهذه حالة شبيهة بالحالة التي يمر فيها الإنسان قبل الموت، الدم: يتوقف، والدموع تنقطع؛ إنها لحظة أليمة-.

فقلت لأبي: أجب عني رسول الله ﷺ فيما قال. فقال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله ﷺ، فقالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ.

فقلت: وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن: إني والله لقد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا حتى استقر في أنفسكم وصدَّقتم به. فإن قلت لكم: إني بريئة، والله يعلم أني بريئة، لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر، والله يعلم أني بريئة لَتُصدقونِّي، وإني والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝١٨﴾[يوسف].

قالت: ثم تحولت واضطجعت على فراشي، قالت: أنا والله حينئذ أعلم أني بريئة، وأن الله مُبرئي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحيٌ يُتلى، ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله عز وجل فيّ بأمر يُتلى، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يُبرئني الله بها.

قالت: فوالله! ما رام رسول الله ﷺ مجلسَهُ ولا خرج من أهل البيت أحدٌ، حتى أنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ، فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحاء عند الوحي، حتى إنه ليتحدَّر منه مثل الجُمان من العرق، في اليوم الشاتي، من ثقل القول الذي أنزل عليه.

قالت: فلما سُرِّي عن رسول الله ﷺ وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال: «**أبشري يا عائشة! أمّا الله فقد برَّأكِ**». فقالت لي أمي: قومي إليه.

فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله، هو الذي أنزل براءتي، قالت: فأنزل الله عز وجل: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ**﴾ [النور:١١] عشر آيات، فأنزل الله عز وجل هذه الآيات ببراءتي)[١].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠) واللفظ له.

الوسيلة الرابعة: الإقبال على سيرة الأنبياء عليهم السلام عامةً، وعلى سيرة المصطفى ﷺ خاصة.

في سورة هود مثلاً قصّ الله على رسوله قصص الأنبياء من قبلهُ، وفي نهاية السورة قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾[هود].

تأملوا الآية لتعرفوا أن في قصص الأنبياء فوائد جمة:

١- تُثبت القلب على الإيمان، وإذا ثبت القلب ثبت الجسد كُلهُ.

قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ [هود:١٢٠].

٢- موعظة.

الإقبال على قصص الأنبياء تدبراً وفهماً فيه موعظة وعبرة، قال تعالى: ﴿وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ ﴾.

وقال تعالى في سورة الشعراء بعد كل قصة من قصص الأنبياء: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ﴾ [الشعراء:١٧٤] أي: لعبرة وموعظة.

٣- ذكرى.

والإقبال على قصص الأنبياء تدبراً وفهماً فيه ذكرى للمؤمنين، قال تعالى: ﴿وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هود].

نعم إن الإقبال على قصص الأنبياء تدبراً وفهماً تُثبت المؤمن على دينه؛ وذلك لأن في قصص الأنبياء دروساً وعظاتٍ وعبراً كثيرةً، فتعالوا معنا لنعيش ولو قليلاً مع بعض قصص الأنبياء التي جاءت في سورة الشعراء.

١-قصة موسى عليه السلام مع فرعون.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾ [الشعراء].

فمن الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من قصة موسى عليه السلام مع فرعون ما يلي:

١- ثبات موسى عليه السلام أمام تهديدات فرعون، وإقَامَةُ الحجة بعد الحجة.

٢- ثبات السحرةِ على دينهم رغم تهديدات فرعون، حتى إنهم قالوا له: ﴿لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الشعراء].

٣- ثبات موسى عليه السلام وثقته بنصر الله له عندما وصل وقومه البحر وأدركهم فرعون وجنوده، عندها قال أصحاب موسى: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ فقال موسى بكل ثبات: ﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾.

٤- نجاة موسى والذين آمنوا معه أجمعين، وهلاك فرعون وجنوده، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [هود].

٢- قصة إبراهيم عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ [الشعراء].

قصة إبراهيم عليه السلام فيها دروس وعظات وعبرٌ تُثبِّت المؤمن على دينه عند الفتن، منها:

١- ثبات إبراهيم عليه السلام على الحق وهو يدعو قومه ويبرهن لهم أن آلهتهم لا تضر ولا تنفع، فيقول لهم: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾﴾ [الشعراء].

٢- ثباته على الحق حتى عندما قيدوه وألقوه في النار، وهو يقول: «حسبي الله ونعم الوكيل».

٣- قصة نوح عليه السلام.

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾[الشعراء].

ومن الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من قصة نوح عليه السلام والتي تثبت المؤمن على دينه:

١- ثبات نوح عليه السلام على دعوته لقومه ألف سنة إلا خمسين عاماً.

٢- ثباته عليه السلام على دعوة قومه على الرغم من تعرضه للسخرية والاستهزاء منهم.

٣- ثباته عليه السلام على دعوته رغم تهديداتهم له، فإنهم قالوا له: ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾﴾.

٤- نجاته عليه السلام ومن معه من المؤمنين في الفلك المشحون، وهلاك الكافرين.

٤- قصة هود عليه السلام.

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾﴾ [الشعراء].

وفي قصة هود عليه السلام مع قومه أيضاً دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ تثبت المـؤمن على دينه، منها:

١-ثباته عليه السلام على دعوته أمام قومه الذين قالوا له: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأعراف]، وقالوا له أيضاً: ﴿قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [هود]، وقالوا له: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الشعراء] على الرغم من كل هذا كان يقول لهم: ﴿يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأعراف].

٢- ثباته عليه السلام على دعوته وتوكله على الله وبراءته على الملأ من آلهتهم التي عبدوها من دون الله، فلقد قال لهم: ﴿إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ

مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾[هود].

٣- نجاته عليه السلام والذين آمنوا معه وهلاك الكافرين، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾﴾[هود].

الوسيلة الخامسة: الإقبال على معرفة سِير الصالحين (من الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم)

الإقبال على معرفة سير الصالحين وسيلة من وسائل الثبات على الدين إذا ماجت الفتن، وهذه بعض الأمثلة من سير الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان لعلنا نتأسى بهم ونعتبر بمواقفهم:

١- أبو بكر الصديق رضي الله عنه وثباته عند مصيبة وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، التي هي من أعظم المصائب.

عن عائشة رضي الله عنها: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وأبو بكر بالسّنح -يعني بالعالية- فقام: عمر يقول: والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم. قالت: وقال عمر:

والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وليبعثنه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم. فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ فقبله وقال: بأبي أنت وأمي طبتَ حياً وميتاً، والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبداً، ثم خرج فقال: أيها الحالف! على رِسْلِك، فلمّا تكلم أبو بكر جلس عمر. فحمد الله وأثنى عليه، وقال: ألا من كان يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾[الزمر]، وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ۝١٤٤﴾ [آل عمران]. فنشج الناس يبكون)[1].

ثباته رضي الله عنه في فتنة الردة.

يقول أبو هريرة رضي الله عنه: (لما تُوفي رسول الله ﷺ واستُخلف أبو بكر بعده، وكفر من كفر من العرب، قال عمر بن الخطاب لأبي بكر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله، فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابهُ على الله تعالى**»؟ فقال أبو بكر: والله لأُقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه.

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٤٦٧)، (٣٦٦٨).

فقال عمر بن الخطاب: فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفتُ أنه الحق)(١).

٢- الفاروق عمر رضي الله عنه وثباته أمام فتنة المنصب والجاه والسلطان.

أمضى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الجاهلية شطراً من حياته -ونشأ كأمثاله من أبناء قريش، يحترمون العادات، وامتاز عليهم بأنه كان ممن تعلموا القراءة- وقد حمل المسئولية صغيراً، ونشأ نشأة غليظة شديدة لم يعرف فيها ألوان الترف أو مظاهر الثروة، ودفعه أبوه الخطاب في غلظة وقسوة إلى المراعي يرعى إبله، حتى تركت هذه المعاملة القاسية من أبيه أثراً سيئاً في نفسه رضي الله عنه، فظل يذكرها طيلة حياته، قبل الإسلام وبعد الإسلام.

يقول عبدالرحمن بن حاطب: (كنتُ مع عمر بن الخطاب بضجنان -جبل على مسافة ٢٥ كم من مكة- فقال -أي عمر-: كنت أرعى للخطاب بهذا المكان، فكان فظاً غليظاً، فكنت أرعى أحياناً، وأحتطب أحياناً)(٢).

ويقول سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى: (حجّ عمر، فلما كان بضجنان قال: لا إله إلا الله العليُّ العظيم، المعطي ما شاء لمن يشاء، كنت أرعى إبل الخطاب بهذا الوادي، في مدرعة صوف، وكان فظاً، يُتعبني إذا عملتُ،

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٩٢٤)، ومسلم (٢٠) واللفظ له.

(٢) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (٥٢/ ٢٦٨).

ويضربُني إذا قصرتُ، وقد أمسيتُ أميراً للمؤمنين ليس بيني وبين الله أحدٌ!

ثم تمثل:

لا شيءَ مما ترى تبقى بشاشتُه	يبقى الإله ويفنى المال والولدُ
لم تُغن عن هرمز يوماً خزائنُه	والخلدَ قد حاولت عادٌ فما خلدوا
ولا سليمانَ إذ تجري الرياح له	والإنس والجن فيما بينها تردُ
أين الملوك التي كانت لعزتها	مِن كل أَوب إليها وافدٌ يفدُ
حوض هنالك موروذٌ بلا كذبٍ	لا بد من وِرده يوماً كما وردوا)[1]

٣- أبو طلحة الأنصاري ﵁ والإنفاق في سبيل الله.

لقد ثبت أبو طلحة الأنصاري ﵁ أمام فتنة المال وتقرب بماله إلى رضا الله والجنة.

يقول أنس بن مالك ﵁: (كان أبو طلحة ﵁ أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحبَّ أمواله إليه بريحاءُ، وكانت مستقبلةً المسجد، وكان رسول الله ﷺ يَدخُلُها ويشرب من ماءٍ فيها طيب، قال أنس ﵁: فلما أنزلت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾. قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾وإن أحبَّ أموالي إليَّ بيرحاء، وإنها صدقةٌ لله، أرجو بِرها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله.

(١) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (٥٢/ ٢٦٨).

قال: فقال رسول الله ﷺ: «**بخ! ذلك مالٌ رابح، ذلك مالٌ رابح، وقد سمعتُ ما قلتَ، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين**».

فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربهِ وبني عمه)[1].

٤- بلال بن رباح رضي الله عنه وثباته أمام فتنة التعذيب.

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: (كان أول من أظهر إسلامه سبعةٌ: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمار وأمه سُمية، وصهيبٌ، وبلال، والمقداد رضي الله عنهم.

فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون وألبسوهم أدراع الحديد وصهروهم في الشمس، فما منهم من أحدٍ إلا وقد واتاهم على ما أرادوا إلا بلالاً، فإنه هانتْ عليه نفسهُ في الله، وهان على قومه، فأخذوه فأعطوه الولدان، فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة؛ وهو يقول: أحدٌ أحدٌ)[2].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٤٦١)، ومسلم (٩٩٨).

(٢) **حسن**: أخرجه ابن ماجه (١٥٠)، وأحمد (١/ ٤٠٤)، وابن حبان (٧٠٤١)، والحاكم (٣/ ٣٢٠)، [«صحيح ابن ماجه» (١٢٢)].

الوسيلة السادسة: الاعتزازُ بالإسلام، والاعتقاد بأن المستقبل للإسلام.

المسلم عزيزٌ بإسلامه، ومن اعتز بالإسلام أعزه الله وثبته، قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [إبراهيم].

عندما اعتز الصحابة رضي الله عنهم بالإسلام أعزهم الله في الدنيا وثبتهم على الحق حتى ماتوا، فخرجوا من الدنيا بشهادة عظيمة وهي قوله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [المائدة:١١٩].

وها هو الفاروق عمر يقول: (إنا كنا أذل قوم -أي: قبل الإسلام- فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا به الله أذلنا الله)[١].

ويقول الله -عز وجل- ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ -وبكل عز وافتخار- ﴿وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[فصلت].

ذلك لأن الإسلام هو دين الله الحق، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩].

وهو الدين الذي ارتضاه الله للبشرية، قال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣].

---

(١) **صحيح موقوف**: أخرجه الحاكم (١/ ١٣٠)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٩٣)].

وهو الدين الذي يقبله الله يوم القيامة، ولا يقبل ديناً سواه، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران].

وهو دين الأنبياء جميعاً من نوح عليه السلام إلى محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَـٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَـٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج].

فالمسلمُ في هذه الدنيا إذا علم أنه عزيز بإسلامه لأنه على دين الأنبياء جميعاً ثبته ذلك على دينه، واعتز في كل مكان بانتسابه إلى الإسلام.

فتعالوا بنا نتعلم الصدق والإخلاص في الانتساب إلى الإسلام، ونتعلم الاعتزاز بالانتساب إلى الإسلام، يقول أبي بن كعب رضي الله عنه: (انتسب رجلٌ على عهد رسول الله ﷺ -أي: كل منهم ذكر نسبه- فقال أحدهما: أنا فلان ابن فلانٍ فمن أنت لا أمّ لك؟

-فانتسب إلى عشيرته، إلى وطنيته، إلى حزبيته، إلى الجاهلية المنتنة-، فقال رسول الله ﷺ: «**انتسب رجلان على عهد موسى عليه السلام فقال**

أحدهما: أنا فلان بن فلان حتى عدّ تسعة، فمن أنت لا أمّ لك؟ قال: أنا فلان ابن فلان ابن الإسلام، قال: فأوحى الله إلى موسى عليه السلام أن قُلْ لهذين المنتسبين: أما أنت أيها المنتمي أو المنتسب إلى تسعة في النار فأنت عاشرهم، وأما أنت يا هذا المنتسب إلى اثنين في الجنة فأنت ثالثهما في الجنة»[1].

أبي الإسلام لا أبَ لي سِواهُ   إذا اعتزوا بقيس أو تميم

إن الاعتزاز بالإسلام والانتساب إلى الكتاب والسنة هو طريق الجنة وطريق النصر والعزة، كما أن الانتماء إلى الجاهلية، طريق الذل والهوان، وطريق النار.

أيها المسلم! أُثبت على دينك، ولا تنسَ أن المستقبل لهذا الدين بوعدٍ من رب العالمين وبشارةٍ من رسوله الأمين ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾[الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾[غافر].

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [النور].

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٥/ ١٢٨)، والبيهقي في «الشعب» (٥١٣٤)، وعبد بن حُميد (١٧٩)، [«الصحيحة» (١٢٧٠)].

وقال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم].

يقول خباب بن الأرت رضي الله عنه: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟ فقال ﷺ: «**قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيُجعل فيها، فيُجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمنَّ هذا الأمر** -أي: هذا الدين- **حتى يسير الراكبُ من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون**»(١).

ولم يكتف ﷺ بذلك، بل بشر أصحابه وهم مستضعفون في مكة أنهم سيفتحون مصر، واليمن، والشام، والعراق، والقسطنطينية، والبيت الأبيض بيت كسرى.

وقال ﷺ: «**بشر هذه الأمة بالسناء والدين والرفعة والنصر والتمكين في الأرض**»(٢).

وقال ﷺ: «**إن الله زوى لي الأرض** -أي: ضم لي الأرض- **فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها**»(٣).

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٩٤٣).

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (٥/ ١٣٤)، والحاكم (٤/ ٤٣٦)، والبيهقي في «الشعب» (٦٨٣٣)، [«صحيح الجامع» (٢٨٢٥)].

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٨٨٩).

وقال ﷺ: «**ليبلغن هذا الأمر** -أي: هذا الدين- **ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام وذلاً يذل به الكفر**»(١).

وقال ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر أو الشجر** -وفي هذا دليل على جبنهم- **فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم! يا عبدالله! هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله إلا الغرقد، فإنه من شجر اليهود**»(٢).

وقال ﷺ: «**تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضّاً، فيكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت**»(٣).

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ١٠٣)، والحاكم (٤/ ٤٧٧)، والطبراني في «الكبير» (٢/ ٥٨)، [«الصحيحة» (٣)].

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٩٢٦)، ومسلم (٢٩٢٢) واللفظ له.

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ٢٧٣)، والبزار «كشف الأستار» (٥٨٨)، [«الصحيحة» (٥)].

الوسيلة السابعة: قبول النصيحة من الناصحين الصادقين.

إنَّ أنصحَ الناس للناس هم الأنبياء عليهم السلام، فهذا صالح عليه السلام - لما أهلك الله قومه تولى عنهم وقال: ﴿يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾[الأعراف].

وهذا شعيب عليه السلام لما أهلك الله قومه تولى عنهم وقال: ﴿يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأعراف].

وهذا نوح عليه السلام كان يقول لقومه: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾[الأعراف].

وهود عليه السلام قال لقومه: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾[الأعراف].

وورثة الأنبياء هم العلماء، فهم أنصح الناس للناس بعد الأنبياء؛ فإنهم إذا أقبلت الفتنة عرفوها وحذَّروا منها، في حين أن غيرهم من الناس لا يميز الفتن، بل حتى لا يستمع لنصائح العلماء وتحذيراتهم، فيقع في الفتنة بكل بساطة، فإذا ما أدبرت الفتنة عرفها الجاهل الذي اغتر بها فندم حين لا ينفعه الندم، وفيما يلي أمثلة وأدلة على ما ذكرنا:

- فهذا موسى عليه السلام جاءه رجل مؤمن من قوم فرعون يقول له: إن فرعون وملأه يريدون أن يقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين،

فخرج موسى فوراً من بلاد مصر إلى بلاد مدين آخذاً بنصيحة ذلك الرجل، حتى وصل إلى الشيخ الكبير فقص عليه القصص فقال له هذا الشيخ: ﴿لَا تَخَفْۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٥﴾ [القصص]، فنجا موسى عليه السلام عندما أخذ بنصيحة الرجل المؤمن.

• أما قارون الذي صار معه مال فتكبر وطغا وفرح بماله فقال له أهل العلم من قومه ناصحين له: ﴿لَا تَفْرَحْۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ۝٧٦ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَاۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص]. أي: ادخر لنفسك عند الله عملاً صالحاً مقابل هذا المال وهذه النعمة وهذا الإحسان من الله إليك وقالوا له: ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٧٧﴾ [القصص] لكن قارون رفض هذه النصيحة وردها ولم يقبلها فماذا كانت النتيجة؟ قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص:٨١].

• ذكر ابن العربي المالكي في كتابه «أحكام القرآن» أن محمد بن القاسم العثماني أخبره قال: وصلت الفسطاط مرة، فجئت فجلست إلى الشيخ أبي الفضل الجوهري وحضرت كلامه على الناس، فكان مما قال -في أول مجلس جلستُ إليه-: إن النبي ﷺ طلق وظاهر وآلى.

(والإيلاء: هو أن يحلف الرجل أن لا يطأ زوجته مدة من الزمن.

والطلاق: تعرفونه هو أن يطلق الرجل زوجته.

والظهار: أن يقول الرجل لزوجته: أنت عليّ كظهر أمي) -فلما خرج تبعته، حتى بلغت معه إلى منزله -في جماعة- فجلس معنا في الدهليز، وعرّفهم أمري، فإنه رأى إشارة الغربة ولم يعرفه قبل ذلك في الواردين عليه. فلما انفض عنه أكثرهم، قال لي: أراك غريباً! هل لك من كلام؟ قلت: نعم، قال لجلسائه: أفرجوا له عن كلامه، فقاموا وبقيت وحدي معه، فقلت له: حضرت المجلس اليوم متبركاً بك -أي: التبرك الشرعي بالعلم وبمجالس العلم، والبركة من الله ولا تطلب إلا منه وحده-.

وسمعتك تقول: آلى رسول الله ﷺ وصَدَقت، وطلق رسول الله ﷺ وصدقت، وقلت: وظاهر رسول الله ﷺ وهذا لم يكن، ولا يصح أن يكون لأن الظهار منكر من القول وزور وذلك لا يجوز أن يقع من النبي ﷺ.

فضمني إلى نفسه، وقبّل رأسي، وقال لي: أنا تائب من ذلك، جزاك الله عني من معلمٍ خيراً.

ثم انقلبت عنه، وبكرتُ إلى مجلسه في اليوم الثاني، فألفيته قد سبقني إلى الجامع، وجلس على المنبر. فلما دخلت من باب الجامع ورآني، نادى بأعلى صوته، مرحباً بمعلمي، إِفسحوا لمعلمي، فتطاولت الأعناق إلي، وحدقت الأبصار نحوي، وتبادر الناس إليّ يرفعونني على الأيدي، ويتدافعونني، حتى بلغت المنبر وأنا لعظم الحياء لا أعرف في أي بقعة أنا من الأرض، والجامع غاصٌ بأهله، وأسال الحياءُ بدني عرقاً.

وأقبل الشيخ على الخلق فقال لهم: أنا معلِّمكم، وهذا معلمي، لمّا كان بالأمس قلت لكم: آلى رسول الله ﷺ وطلق، وظاهر، فما كان أحد منكم فقه عني ولا ردّ لي، فاتبعني إلى منزلي وقال لي كذا وكذا -وأعاد ما جرى بيني وبينه-.

وأنا تائب عن قولي بالأمس، وراجع عنه إلى الحق، فمن سمعه ممن حضر فلا يعوّل عليه، ومن غاب فليبلغه من حضر، فجزاه الله خيراً وجعل يحفلُ في الدعاء والخلق يؤمنون.

-قال ابن العربي- معلقاً:

فانظروا -رحمكم الله- إلى هذا الدين المتين، والاعتراف بالعلم لأهله على رؤوس الملأ، من رجل ظهرت رياسته واشتهرت نفاسته، لغريب مجهول العين لا يُعرف من هو ولا من أين، فاقتدوا به ترشدوا[1].

الوسيلة الثامنة: الدعاء.

الدعاءُ سلاح نافع في وجه كل الفتن، فعليك أن تدعو الله -عز وجل- أن يثبتك إذا تعرضت لفتنة النساء أو المال أو الأولاد أَوغير ذلك من الفتن، وكل منا يستطيع أن يدعو، لكن ومع الأسف الشديد فقليل منا من يستخدم هذا السلاح.

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي المالكي (١/ ٢٤٨، ٢٤٩) طبعة دار الكتب العلمية.

حتى إن الفتنة إذا ما نزلت بالرجل رأيته يتخبط هنا وهناك، ولا يأتي في باله أن يلتجيءَ إلى الله بالدعاء، والله عز وجل يقول في كتابه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر:٦٠]، فهذا أمر بالدعاء ووعْد بالإجابة، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ﴾[البقرة:١٨٦]، وقال تعالى: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ﴾[النساء:٣٢].

فَمَن منا جلس يدعو الله ويرجوه من خيري الدنيا والآخرة؟ ولقد كان عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: (أنا لا أحمِلُ همَّ الإجابة ولكن أحملُ همّ الدعاء). نعم، فإن الإنسان إذا وفق، للدعاء أتتهُ الإجابة.

في كل يوم بين كل أذان وإقامة وقت استجابة للدعاء، فمن منّا يدعو في ذلك الوقت؟

وفي كل ليلة ينزل ربنا في الثلث الأخير فيقول: «**هل من سائل يُعطى! هل من داع يُستجاب له! هل من مستغفرٍ يُغفر له**»(١)، فمن منا قام واجتهد في ذلك الوقت بالدعاء؟

وقال الله -عز وجل- في الحديث القدسي: «**يا عبادي لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم قاموا في صعيدٍ واحد فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نَقَصَ ذلك مما عندي إلا كما يَنقصُ المخيطُ إذا أُدخل البحر**»(٢).

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٧٥٨).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

وقال النبي ﷺ: «**أعجز الناس من عجز عن الدعاء**»[١]. ويقول ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**»[٢]، ويقول ﷺ: «**أفضل العبادة الدعاء**»[٣].

ويقول النبي ﷺ: «**إن الله حييّ كريم، يستحيي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردّهما صفراً خائبتين**»[٤].

ويقول ﷺ: «**من لم يسأل الله غضب الله عليه**»[٥].

قال أحدهم:

لا تسألن بُني آدم حاجة وسل الذي أبوابه لا تُحجبُ
الله يغضب إن تركت سؤاله وبُنيُّ آدم حين يُسأل يغضب

فاعلم بعدما سبق أن الدعاء هو سلاحك في وجه كل الفتن، وإليك بيان ذلك بشيء من التفصيل:

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن حبان (٤٤٨١)، وأبو يعلى (٦٦٤٩)، والبيهقي في «الشعب» (٨٧٦٩)، [«الصحيحة» (٦٠١)].

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٢٤٧)، وأبو داود (١٤٧٩)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، وأحمد (٤/ ٢٦٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٢٧)].

(٣) **حسن**: أخرجه الحاكم (١/ ٦٦٧)، [«الصحيحة» (١٥٧٩)].

(٤) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٥٥٦)، وأبو داود (١٤٨٨)، وابن ماجه (٣٨٦٥)، وأحمد (٥/ ٤٣٨)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٣٥)].

(٥) **حسن**: أخرجه الترمذي (٣٣٧٣)، وأحمد (٢/ ٤٤٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٥٨)، [«صحيح الأدب المفرد» (٥١٢)].

١-الدعاء وفتنة القلوب.

إنَّ القلوب تفتن وإذا افتتن القلب افتتن الإنسان، وإذا سلم القلب من الفتنة سلم الجسد كله كما قال ﷺ: «**ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**»(١).

وأصل فتن القلوب: في الشهوات والشبهات.

فتن الشهوات هي مما ابتلي به كثير من الناس، ومثالها في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾[الأحزاب:٣٢]. وهذا المرض هو مرض الشهوة.

فتن الشبهات: قال تعالى عن المنافقين: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾[البقرة:١٠]. وهذا هو مرض الشبهة، لذا فلا يجوز لك أن تسمع وتجالس أهل البدع.

يقول النبي ﷺ: «**تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأي قلب أُشربها نُكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نُكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مرباداً كالكوز مُجَخِّياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه**»(٢).

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٤٤).

ولذلك كان النبي ﷺ دائماً يقول: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**»(١).

لأن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يصرفها كيفما شاء.

وكان النبي ﷺ يقول: «**اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك ماضٍ فيّ حكمك، عدل فيّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي**»(٢).

والقلوب على ثلاثة أقسام:

قلب سليم، قلب مريض، قلب ميت.

القلب السليم: وهو القلب الذي يعرف المعروف وينكر المنكر، فهذا صاحبه حي، إذا قرأ القرآن خشع وانتفع، وهذا القلب ينجي صاحبه يوم القيامة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء].

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢١٤٠)، وأحمد (٣/ ١١٢)، والحاكم (١/ ٧٠٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٨٣)، [«صحيح الجامع» (٧٩٨٧)].

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٢٩١)، وابن حبان (٩٦٨)، والحاكم (١/ ٦٩٠)، [«الكلم الطيب» (١٢٣)].

القلب الميت: وهو القلب الذي لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، فهذا القلب إلهه هواه، قال الله -عز وجل-: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الجاثية].

القلب المريض: وهذا القلب فيه مادة حياة ومادة مرض، فإذا اقترب من الحق وجالس أهل الحق زادت هذه المادة المغذية للحياة فاقترب هذا القلب المريض من القلب السليم، وإذا كان صاحب هذا القلب مصاحباً للطالحين والفاسقين، ولا يستمع لكلام رب العالمين زاد سوءاً حتى يصل إلى القلب الميت.

٢- الدعاء وفتنة الظلم.

إذا تعرض الإنسان لفتنة الظلم فعليه بالدعاء، لأنه يثبت بالدعاء أمام من ظلمه، ويُرفع عنه الظلم كذلك بالدعاء، وفيما يلي أمثلة لمن ظُلم وانتصر بدعائه على من ظلمه:

١- عن عبد الله ابن مسعود ﵁: (أن النبي ﷺ كان يصلي عند البيت؛ وأبو جهل وأصحاب له جلوس، إذ قال بعضهم لبعض: أيكم يجيء بسلى جزور بني فلان، فيضعه على ظهر محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم، فجاء به، فنظر حتى سجد النبي ﷺ وضعه على ظهره بين كتفيه، وأنا أنظر، لا أُغني شيئاً، لو كانت لي منعة!

قال: فجعلوا يضحكون، ويميلُ بعضهم على بعض، ورسول الله ﷺ ساجد، لا يرفع رأسه، حتى جاءته فاطمة فطرحته عن ظهره، فرفع رأسه، ثم قال: «**اللهم عليك بقريش**» ثلاث مرات، فشق عليهم إذ دعا عليهم، قال: وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة. ثم سَمّى: «**اللهم عليك بأبي جهل، وعليك بعُتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عُتبة، وأُمية بن خلف وعُقبة بن أبي مُعَيط**» وعد السابع فلم نحفظه.

قال: فوالذي نفسي بيده؛ لقد رأيت الذين عدّ رسول الله ﷺ صرعى في القَليب: -قَليب بدر-)[1].

٢- سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، دعا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ربه فاستجاب له، وهو الذي قال النبي ﷺ فيه: «**اللهم! استجب لسعدٍ إذا دعاك**»[2].

(شكا أهل الكوفة سعداً إلى عمر رضي الله عنه فعزله، واستعمل عليهم عماراً، فشكوا، حتى ذكروا أنه لا يحسن يُصلي، فأرسل إليه، فقال: يا أبا إسحاق! إن هؤلاء يزعمون أنك لا تُحسن تُصلي! قال أبو إسحاق: أما أنا والله فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ ما أخرِمُ عنها، أُصلي صلاة العشاء، فأركد في الأولين -أي: أطيل- وأخِفُّ في الأُخريين.

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٤٠)، ومسلم (١٧٩٤).

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٧٥١)، والطبراني في «الأوسط» (٤٠٦٩)، [«المشكاة» (٦١٢٥)].

قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق! فأرسل معه رجلاً -أو رجالاً- إلى الكوفة، فسأل عنه أهل الكوفة، ولم يدع مسجداً إلا سأل عنه، ويثنون معروفاً، حتى دخل مسجداً لبني عَبْس، فقام رجل منهم يقال له أسامة بن قتادة يكنى أبا سعدة، قال: أما إذ نشدتنا، فإن سعداً كان لا يسير بالسرية، ولا يقسم بالسوية ولا يعدل في القضية.

قال سعد: أما والله لأدعونَّ بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذباً، قام رياءً وسمعةً، فأطل عمره، وأطل فقره، وعرّضه للفتن! وكان بعد إذا سُئِل يقول: شيخ كبير مفتون، أصابتني دعوة سعد.

قال عبدالملك: فأنا رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وإنه ليتعرض للجواري في الطرق يغمزهن)[١].

٣- سعيد بن زيد رضي الله عنه.

فإن أروى بنت أويس ادّعت على سعيد بن زيد، أنه أخذ شيئاً من أرضها، فخاصمته الى مروان بن الحكم، فقال سعيد: أنا كنت آخذ من أرضها شيئاً بعد الذي سمعت من رسول الله ﷺ؟! قال: وما سمعت من رسول الله ﷺ؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من أخذ شبراً من الأرض ظلماً طُوِّقه إلى سبع أرضين**» فقال له مروان: لا أسألك بينةً بعد

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٥٥).

هذا. فقال: اللهم إن كانت كاذبة فعمِّ بصرها، واقتلها في أرضها، قال: فما ماتت حتى ذهب بصرها، ثم بينا هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرة فماتت»[١] فاستجاب الله دعاءه على من ظلمه.

٤- الغلام والراهب، هذا الغلام الذي جاء ذكر قصته في السنة النبوية كان من أولياء الله، دعا ربه كثيراً فاستجاب الله دعاءه، دعا ربه عندما حبست الدابة الناس فقال: (اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر؛ فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها ومضى الناس).

ودعا ربه عندما أرادوا أن يلقوه من أعلى الجبل، فقال: (اللهم اكفنيهم بما شئت) فرجف بهم الجبل فسقطوا، وكذلك دعا ربه عندما أرادوا أن يلقوه في البحر فقال: (اللهم اكفنيهم بما شئت) فانكفأت بهم السفينة فغرقوا[٢].

٣- الدعاء وفتنة الكربات.

الدعاء يثبت صاحبه على دينه إذا نزلت به فتنة الكربات والشدائد، ومن الأمثلة الشاهدة على ذلك:

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٦١٠).

(٢) يشير الى حديث، **صحيح**: أخرجه مسلم (٣٠٠٥)، انظر القصة كاملة هناك.

١- يونس عليه السلام.

لما خرج من قومه قبل أن يأذن الله له فالتقمه الحوت، فدعا الله -عز وجل- وهو في ذلك المكان وفي تلك الظروف الصعبة دعا الله قال الله -عز وجل-: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّ ﴾ -يونس وحده- ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨ ﴾ [الأنبياء].

٢- الثلاثة الذين دخلوا الغار.

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار؛ فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم.**

فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبقُ قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى بي في طلب شيء يوماً، فلم أُرح عليهما حتى ناما، فحلبتُ لهما غبوقهما فوجدتُهما نائمين، وكرهت أن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا فشربا غبُوقهما. اللهم إن كنت فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج.

قال الآخر: اللهم كانت لي بنتُ عم، كانت أحبّ الناس إليّ فأردتُها عن نفسها فامتنعت مني، حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تُخلِّي بيني وبين نفسها ففعلت، حتى إذا قَدَرتُ عليها قالت: لا أُحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه فتحرجتُ من الوقوع عليها، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إليّ وتركت الذهب الذي أعطيتها. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها.

وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أُجراء فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحدٍ ترك الذي له وذهب، فثمَّرت أجرهُ حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين فقال: يا عبدالله أدِّ إليّ أجري، فقلتُ: كل ما ترى من أجرك: من الإبل والبقر والغنم والرقيق.

فقال: يا عبدالله لا تستهزئ بي! فقلت: لا أستهزئ بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً، اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون»[(١)].

٤ – الدعاء وفتنة عدم إنجاب الأولاد.

قال تعالى: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى].

(١) صحيح: «مختصر صحيح البخاري» (١٠٦٥)، ومسلم (٢٧٤٣).

سبحانه وتعالى! إنه يجعل من يشاء عقيماً، وهذه فتنة لمن ابتلي بها؛ فإنه إما أن يهرول إلى السحرة والدجالين، وإما أن يصبر ويأخذ بالوسائل المشروعة ومنها الدعاء، فيثبت في وجه هذه الفتنة ويدعو الله -عز وجل- أن يرزقه الذرية الصالحة كما فعل زكريا عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ [الأنبياء:٨٩-٩٠].

٥- الدعاء وفتنة النساء.

فهذا يوسف عليه السلام لما تعرض لفتنة امرأة العزيز وفتنة النسوة دعا ربه -عز وجل- وقال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [يوسف] فاستجاب الله له، وصرف عنه كيدهن.

فاحذر أن تفتن بالنساء، فإن النبي ﷺ يقول: «**ما تركت بعدي فتنةً أضرَّ على الرجال من النساء**»(١). وعليك بالدعاء إلى الله أن ينجيك من فتنة النساء، ومن الفتن ما ظهر منها وما بطن.

٦- الدعاء وفتنة ظلم ولاة الأمر.

قال ﷺ: «**إنها ستكون بعدي أَثَرَةٌ وأمورٌ تنكرونها**» -أي من ظلم ولاة الأمر واستئثارهم بالدنيا لأنفسهم- (قالوا: يا رسول الله! كيف تأمر من أدرك منا ذلك؟) قال: «**تؤَدون الحقَّ الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم**»(٢).

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٦٠٣)، ومسلم (١٨٤٣)، واللفظ له.

الوسيلة التاسعة: الاستقامة.

الاستقامة لغة: هي الاعتدالُ، يقال قام الشيء واستقام: أي: اعتدل واستوى. ويُقال استقام له الأمر: أي: اعتدل. وقيل الاستقامة ضدُّ الاعوجاج[١].

الاستقامة اصطلاحاً: هي سلوك الصراط المستقيم، وهو الدين القويم من غير تعويج عنه يمنةً ولا يسرةً، ويشمل ذلك فِعل الطاعات كلها الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات كلها كذلك[٢].

وقال ابن حجر رحمه الله تعالى: (الاستقامة كناية عن التمسك بأمر الله تعالى فعلاً وتركاً)[٣].

قال تعالى لرسوله ﷺ والمؤمنين: ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١٢﴾ ﴾[هود].

يخلص من ذلك أن الاستقامة هي: لزوم العدل بين طرف الغلو والإفراط وطرف التقصير والتفريط، وهي ضدُّ الطغيان الذي هو مجاوزةُ الحدود في كل شيء، كما أنها ضدُّ التفريط والتقصير الذي هو ترك الواجبات وفعل المحرمات.

---

(١) «نضرة النعيم» (ص٢/ ٣٠٣).

(٢) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (١٩٣).

(٣) «الفتح» (١٣/ ٢٥٧).

عن سفيان بن عبد الله الثقفي ﵁ قال: قلت: يا رسول الله! حدثني بأمرٍ أعتصمُ به. قال ﷺ: «**قل ربيَ الله، ثم استقم**»[1]. وفي رواية قال ﷺ: «**قل آمنت بالله ثم استقم**»[2].

فالاستقامة هي سبيلُ النجاة، وهي الوسطية في كل شيءٍ، وهي باختصار: اتباع الكتاب والسنة ومنهج سلف الأمة، وهي سلوك الصراط المستقيم، واتباع سبيل المؤمنين.

• الآيات التي وردت في الاستقامة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الأحقاف].

---

(١) **حسن صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٤١٠)، وابن ماجه (٣٩٧٢)، وابن حبان (٥٦٩٨)، والحاكم (٤/ ٣٤٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٦٢)].

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٣٨).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ﴾[فصلت].

وقال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ ﴾[الجن].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[النساء].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[الأنعام].

وقال تعالى: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الزخرف].

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَـٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الجاثية].

وقال تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾[هود].

وقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩﴾ [النحل].

يعلق الشاطبي رحمه الله تعالى على هذه الآية فيقول: (فالسبيل القصد: هو طريق الحق، وما سواه جائر عن الحق أي: عادل عنه، وهي طرق البدع والضلالات، أعاذنا الله من سلوكها بفضله -وكفى بالجائر أن يحذر منه، فالمساق يدل على التحذير والنهي ...

عن التستري: (قصد السبيل): طريق السنة (ومنها جائر) يعني إلى النار وذلك الملل والبدع.

وعن مجاهد: (قصد السبيل) أي: المقتصد منها بين الغلو والتقصير، وذلك يفيد أن الجائر هو الغالي أو المقصر، وكلاهما من أوصاف البدع)(١).

• الأحاديث الواردة في الاستقامة:

١- عن ثوبان رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**استقيموا ولن تُحصوا، واعلموا أنّ خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظُ على الوضوء إلا مؤمن**»(٢).

---

(١) «الاعتصام» (١/ ٧٨، ٧٩) (باختصار).

(٢) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٢٧٨)، وأحمد (٥/ ٢٧٦)، والدارمي (٦٥٩)، والطبراني في «الكبير» (٢/ ١٠١)، [«صحيح ابن ماجه» (٢٢٦)].

٢- عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أنه قال: إنّ معاذ بن جبل أراد سفراً فقال: يا رسول الله أوصني قال: «**اعبدْ الله لا تُشرك به شيئاً**» قال: يا نبي الله! زدني قال: «**إذا أسأت فأحسِنْ**»، قال: يا رسول الله! زدْني، قال: «**استقم، ولتُحسِنْ خُلُقَكَ**»(١).

٣- عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: (خط لنا رسول الله ﷺ خطاً ثم قال: «**هذا سبيل الله**» ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله وقال: «**هذه سبل على كلِّ سبيل منها شيطان يدعو إليه**»، وقرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ﴾(٢)) [الأنعام:١٥٣].

٤- عن سفيان بن عبدالله الثقفي رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك، قال: «**قُلْ آمنتُ باللهِ ثم استقم**»(٣).

٥- عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون ووجلت منها

---

(١) **حسن**: أخرجه الحاكم (١/ ١٢١)، وابن حبان (٥٢٥)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٣٩، ٤٠)، [«الصحيحة» (١٢٢٨)].

(٢) **حسن**: أخرجه أحمد (١/ ٤٣٥)، والدارمي (٢٠٧)، والحاكم (٢/ ٣٤٨)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ٣٤٣)، [«المشكاة» (١٦٦)].

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٣٨).

القلوب، فقال قائل: يا رسول الله! كأن هذه موعظة مُودِّع، فماذا تعهد إلينا؟ قال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثةٍ بدعة وكل بدعة ضلالة**»(١).

٦- عن مالك بن أنس رحمه الله بلغه أن رسول الله ﷺ قال: «**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة رسوله**»(٢).

٧- عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن مَثَلي وَمَثَلَ ما بعثني الله عز وجل به كمثل رجل أتى قومه، فقال: يا قوم! إني رأيت الجيش بعينيَّ، وإني أنا النذير العُريان فالنجاء؛ فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا، فانطلقوا على مُهلتهم، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا على مكانهم، فصبَّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مَثَلُ من أطاعني واتبع ما جئت به، ومَثَلُ من عصاني وكذَّب ما جئت به من الحق**»(٣).

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٠٦٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وأحمد (١٢٦، ١٢٧)، [«صحيح أبو داود» (٣٨٥١)].

(٢) حسن: أخرجه مالك في «الموطأ-رواية الليثي» (٢/ ٨٩٩)، والحاكم (١/ ١٧٢)، [«الصحيحة» (٤/ ٣٦١/ ١٧٦١)].

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٢٨٣)، ومسلم (٢٢٨٣) واللفظ له.

• الآثار الواردة في الاستقامة:

١- سُئِل صديق الأمة وأعظمُها استقامة أبو بكر الصديق ﵁ عن الاستقامة فقال: (ألا تُشرك بالله شيئاً) يريد الاستقامة على محضِ التوحيد[(١)].

٢- وقال ﵁ أيضاً: (لستُ تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملتُ به، فإني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ)[(٢)].

٣- وقال عمر بن الخطاب ﵁: (الاستقامة: أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغَ روغان الثعالِب)[(٣)].

٤- وقال عثمان بن عفان ﵁: (استقاموا: أخلصوا العمل لله)[(٤)].

٥- وقال عليّ بن أبي طالب ﵁ وابن عباس ﵄: (استقاموا أدّوا الفرائض)[(٥)].

٦- وقال الحسن: (استقاموا على أمر الله فعَمِلوا بطاعته واجتنبوا معصيته)[(٦)].

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ١٠٨).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٠٩٣)، ومسلم (١٧٥٩).

(٣) «مدارج السالكين» (٢/ ١٠٩).

(٤) المرجع السابق نفسه.

(٥) المرجع السابق نفسه.

(٦) المرجع السابق نفسه.

٧- وقال مجاهد: (استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله حتى لَحِقوا بالله)[1].

٨- وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: (من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات، فإن الحيّ لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ. كانوا أفضل هذه الأمة: أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلّها تكلفاً، اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في أثرهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم)[2].

٩- عن أبي بن كعب أنه قال: (عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ما على الأرض من عبد على السبيل والسنة ذَكر الله، ففاضت عيناه من خشية الله، فيعذّبه الله أبداً، وما على الأرض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه، فاقشعرّ جلده من خشية الله؛ إلا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها، فهي كذلك إذا أصابتها ريح شديدة فتحاتَّ عنها ورقها؛ إلا حطّ الله عنه خطاياه كما تحاتُّ عن الشجرة ورقها؛ فإن اقتصاداً في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة، وانظروا أن يكون عملكم إن كان اجتهاداً واقتصاداً أن يكون على منهاج الأنبياء وسنتهم)[3].

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ١٠٩)

(٢) «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبدالبر (٢/ ٩٧).

(٣) المصدر السابق (١/ ١١٠).

١٠- عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: (كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يربو فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير، إذا ترك منها شيء قيل تركت السنة، قال: متى ذلك يا أبا عبدالرحمن؟ قال: ذلك إذا ذهب علماؤكم، وكثرت جهالكم، وكثرت قراؤكم، وقلت فقهاؤكم والتُمست الدنيا بعمل الآخرة وتُفُقه لغير الدين)[١].

الوسائل التي تعين على الاستقامة.

الوسيلة الأولى: إصلاح القلب.

قال ﷺ: «**ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**»[٢].

قال ﷺ: «**تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأي قلب أُشربها نُكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نُكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مُربَادّاً كالكوز مجخِّياً، لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أُشرب من هواه**»[٣].

---

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» للالكائي (١/ ١٠٣).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٤٤).

قال ابن رجب رحمه الله تعالى: (أصل الاستقامة استقامة القلب على التوحيد، وقد فسّر أبو بكر ﵁ الاستقامة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ [الأحقاب]: بأنهم لم يلتفتوا إلى غيره، فمتى استقام القلبُ على معرفة الله وعلى خشيته وإجلاله ومهابته ومحبته وإرادته ورجائه ودعائه والتوكل عليه والإعراض عما سواه، استقامت الجوارح كُلُّها على طاعته، فإن القلب هو مَلِكُ الأعضاءِ وهي جنوده، فإذا استقام الملك استقامت جنوده ورعاياه، وأعظمُ ما يُراعى استقامته بعد القلب من الجوارح: اللسان؛ فإنه تُرجمان القلب والُمعبِّر عنه) [١].

الوسيلة الثانية: إمساك اللسان عن الخوض في الباطل.

• جاء رجلٌ وقال: يا رسول الله! حدثني بأمر أعتصم به. قال: «**قل ربي الله ثم استقم**» قال: قلتُ: يا رسول الله! ما أكثر ما تخاف عليّ؟ فأخذ رسول الله ﷺ بلسان نفسه ثم قال: «**هذا**»[٢].

• وجاء رجل إلى الرسول ﷺ يقول: يا رسول الله! ما النجاة؟ فقال ﷺ: «**أملك عليك لسانك، وَلْيسعك بيتك، وابك على خطيئتك**»[٣].

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (١٩٣-١٩٤).

(٢) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٣٩٧٢)، والترمذي (٢٤١٠)، وأحمد (٣/ ٤١٣)، [«صحيح ابن ماجه» (٣٢٢٣)].

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٤٠٦)، وأحمد (٥/ ٢٥٩)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٢٧٠)، [«صحيح الجامع» (١٣٩٢)].

• وقال ﷺ: «**إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تُكَفِّر اللسان** -أي: تذل له وتخضع- **فتقول: اتق الله فينا، فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا**»(١).

فمن أراد أن يستقيم على طاعة ربه حتى الموت فعليه أن يمسك لسانه عن الخوض في الباطل؛ لأن الخوض في الباطل سبب لدخول النار، قال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥)﴾[المدثر].

وعليه أن يمسك لسانه عن الغيبة؛ لأن الغيبة حرام، قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (١٢)﴾ [الحجرات].

وقال ﷺ: «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه! لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته**»(٢).

وعليه أن يمسك لسانه عن النميمة؛ لأن النميمة حرام، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (١١)﴾[القلم].

---

(١) **حسن**: أخرجه الترمذي (٢٤٠٧)، وأحمد (٣/ ٩٥)، والبيهقي في «الشعب» (٤٩٤٦)، [«صحيح الجامع» (٣٥١)].

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٨٨٠)، وأحمد (٤/ ٤٢٤)، والبيهقي في «الشعب» (٩٦٦٠)، [«صحيح الجامع» (٧٩٨٤)].

وقال ﷺ: «**لا يدخل الجنة نمام**»[(١)].

وعليه أن يمسك لسانه عن الكذب؛ لأن الكذب حرام.

قال ﷺ: «**...وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يُكتب عند الله كذاباً**»[(٢)].

الوسيلة الثالثة: مصاحبة الصالحين ومجالستهم.

قال ﷺ: «**لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي**»[(٣)].

وقال ﷺ: «**الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»[(٤)].

وقال ﷺ: «**إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يُحذيَك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيباً، ونافخ الكير إما أن يُحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة**»[(٥)].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥)، واللفظ له.

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧)، واللفظ له.

(٣) **حسن**: أخرجه أبو داود (٤٨٣٢)، والترمذي (٢٣٩٥)، والدارمي (٢٠٥٧)، وابن حبان (٥٥٤)، والحاكم (٤/ ١٤٣)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٠٣٦)].

(٤) **حسن**: أخرجه أبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨)، وأحمد (٢/ ٣٣٤)، والحاكم (٤/ ١٨٨)، [«صحيح الجامع» (٣٥٤٥)].

(٥) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٥٣٤)، ومسلم (٢٦٢٨) واللفظ له.

الوسيلة الرابعة: الإتباع وعدم الابتداع.

إن اتباع الكتاب والسنة، بفهم سلف الأمة من أقوى وسائل الثبات على الاستقامة في الدين حتى الموت، وقد جاءت الأدلة في الكتاب والسنة وأقوال السلفِ تأمرُ بالإتباع وتنهى عن الابتداع.

الأدلة من كتاب الله.

• قال تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ١١٢﴾[هود] أمر بالإتباع ونهيٌّ عن الابتداع.

• وقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ١٥٧﴾[الأعراف]، أمر بالإتباع ونهي عن الابتداع.

• وقال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٥٨﴾[الأعراف].

• وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٣١﴾[آل عمران].

• وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧].

• وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور].

• وقال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [النساء].

قال الشافعي رحمه الله في قوله: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ -أي: إلى ما قاله الله والرسول[١].

الأدلة من السنة.

• عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: (خط لنا رسول الله ﷺ خطاً ثم قال: «**هذا سبيل الله**» ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله وقال: «**هذه سبل على كلِّ سبيل منها شيطان يدعو إليه**»، وقرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ الآية [الأنعام:١٥٣][٢].

• وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها

(١) انظر: «الرسالة» فقرة رقم (٢٦٤).

(٢) **حسن**: أخرجه أحمد (١/ ٤٣٥)، والدارمي (٢٠٧)، والحاكم (٢/ ٣٤٨)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ٣٤٣)، [«المشكاة» (١٦٦)].

القلوب، فقال قائل: يا رسول الله! كأنها موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ فقال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثةٍ بدعة وكل بدعة ضلالة**»[١].

• وعن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: (جاء ثلاثة رهطٍ إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ، قد غَفَرَ الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

قال أحدهم: أمّا أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصومُ الدهر ولا أُفطر، وقال آخر: وأنا أعتزلُ النساء فلا أتزوج أبداً.

فجاء رسول الله ﷺ فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصومُ وأُفطر، وأُصلي وأرقد، وأتزوج النساء فمن رغبَ عن سنتي فليس مني**»[٢].

•وقال ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[٣].

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٠٦٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وأحمد (٤/ ١٢٦، ١٢٧)، [«صحيح أبو داود» (٣٨٥١)].

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

• وقال ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[1].

الأدلة من أقوال السلف.

١-يقول أبو بكر الصديق رضي الله عنه: (إنما أنا متبعٌ ولستُ بمبتدعٍ فإن استقمتُ فتابعوني، وإن زغتُ فقوموني)[2].

وقال رضي الله عنه أيضاً: (لستُ تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملتُ به، فإني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ)[3].

٢- ويقول ابن عباس رضي الله عنهما: (عليكم بالاستقامة والأثر وإياكم والتبدع)[4].

٣- ويقول ابن عمر رضي الله عنهما: (كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة)[5].

٤- وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (الاقتصاد في السنة خيرٌ من الاجتهاد في البدعة)[6]. وقال رضي الله عنه أيضاً: (اتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كُفيتم)[7].

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٧١٨).

(٢) «البداية والنهاية» (٩/ ٤١٨).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٠٩٣)، ومسلم (١٧٥٩).

(٤) ابن وضاح (١/ ٥٤)

(٥) اللالكائي في «شرح اعتقاد أهل السنة» (١٢٦).

(٦) «جامع بيان العلم» (٢/ ٣٢٠).

(٧) **صحيح موقوف**: أخرجه الدارمي (٢١٠)، والبيهقي في «الشعب» (٢٢١٦)، وأبو خيثمة في «كتاب العلم» (٥٤)، [«كتاب العلم لأبي خيثمة» (ص١٦)].

٥- قال الإمام مالك رحمه الله: (من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة لأن الله يقول: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة:٣] فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً)(١).

٦- وعن عثمان الأزدي قال: (دخلت على ابن عباس رضي الله عنهما فقلت له: أوصني؟ فقال: عليك بتقوى الله والاستقامة، اتبع ولا تبتدع)(٢).

٧- وقال سفيان: (لا يستقيم قول وعمل إلا بموافقة السنة)(٣).

• أمثلة من سيرة السلف الصالح في ذم الابتداع والإنكار على المبتدعة، والحث على الاتباع والتمسك بالسنة.

١- هذا الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه: جاء إلى الحجر الأسود، فقبَّلهُ فقال: (إني أعلم أنك حجرٌ لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي ﷺ يُقبلك ما قبلتك)(٤).

٢- وهذا عثمان بن عفان رضي الله عنه قعد يوماً على المقاعد -يعني مقاعد الوضوء- فدعا بطعام مما مسته النار فأكله، ثم قام إلى الصلاة فصلى، ثم قال عثمان: قعدت مقعد رسول الله ﷺ، وأكلت طعام رسول الله ﷺ، وصليت صلاة رسول الله ﷺ(٥).

---

(١) الابتداع: (١٧١)، «السنن والمبتدعات» (٦).

(٢) ابن وضاح (ص٢٥).

(٣) «تلبيس إبليس» (ص٩)

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٥٩٧)، ومسلم (١٢٧٠).

(٥) **حسن لغيره**: أخرجه أحمد (١/ ٧٠)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٢٤٠١)، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٣٣٩)، [«الموسوعة الحديثية»].

٣- وسمع ابن عمر رضي الله عنهما رجلاً عطس فقال: الحمد لله والسلام على رسول الله. فقال له ابن عمر: (وأنا أقول: الحمد لله والسلام على رسول الله، وليس هكذا علمنا رسول الله ﷺ علمنا نقول: الحمد لله على كل حال)[1].

٤- وجاء رجلٌ إلى الإمام مالك، فقال له: من أين أُحرم؟ قال له: (من ذي الحُليفة، من حيث أحرم رسول الله ﷺ).

فقال الرجل: إني أريد أن أحرم من المسجد -أي: النبوي- من عند القبر.

قال له: (لا تفعل، فإني أخشى عليك الفتنة).

فقال الرجل: أي فتنة هذه؟ إنما هي أميال أزيدها.

فقال له: (وأي فتنةٍ أعظمُ من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصَّر عنها رسول الله ﷺ؟ إني سمعت الله -عز وجل- يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور][2].

٥- وهذا سعيد بن المسيب رحمه الله رأى رجلاً يصلي بعد طلوع الفجر أكثر من ركعتين، يكثر فيها الركوع والسجود، فنهاه عن ذلك -لأن

(١) **صحيح موقوف**: أخرجه الترمذي (٢٧٣٨)، والحاكم (٤/ ٢٩٥)، والبيهقي في «الشعب» (٩٣٢٧)، [«الإرواء» (٣/ ٢٤٥)].

(٢) أبو نعيم في «الحلية»: (٦/ ٣٢٦).

الإنسان إذا طلع الفجر وصلى ركعتي السنة لا يجوز لـه أن يتنفـل بعـد ذلك حتى يصلي الفريضة، فهذا الرجل قام يتنفل بعد أن صـلى ركعتـي سنة الفجر، فنهاه سعيد بن المسيب عـن ذلـك- فقـال الرجـل: يـا أبـا محمد! يعذبني الله على الصلاة؟

قال له: لا، ولكن يعذبك على مخالفة السنة[1].

الوسيلة الخامسة: العلم الشرعي (علم الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة).

إن طلب العلم الشرعي من أفضل الوسائل التي تُعين على الاستقامة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[فاطر:٢٨].

إن العلمَ الشرعي يورث الخشية، والخشية تدفع صاحبها إلى الاستقامة على دين الله، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾[الزمر].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون].

---

(١) انظر: «البدعة» سليم الهلالي (ص٥٧).

ويقول ﷺ: «**من نفّس عن مؤمن كربةً من كُـرب الـدنيا نفـسّ الله عنـه كُربة من كرب يوم القيامة، ومن يـسّر عـلى مُعـسرٍ يـسّر الله عليـه في الـدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد مـا كان العبدُ في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سـهَّل الله لـه بـه طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قومٌ في بيت مـن بيـوت الله، يتلـون كتـاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت علـيهم الـسكينة، وغـشيتهم الرحمـة وحفـتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطَّأ به عمله، لم يُسرع به نسبه**»[1].

فالعلم الشرعي يدفع صاحبه إلى الاستقامة على أمـر الله حتـى المـوت، فلا ينحرف بشهوات ولا شبهات عن استقامته، ويظهر ذلك بيّناً في الأمثلة الآتية:

• أهل العلم أمام فتنة المال.

عندما افتُتن الناس بمال قارون ثبت أهل العلم على ديـنهم ولم يفتتنـوا بـل نصحوا غيرهم، قال تعـالى عـن هـؤلاء: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[القصص].

• أهل العلم وفتنة الشبهات.

الجاهل تُعرضُ له الشبهات فيفتتن بهـا، والعـالمُ تعـرض لـه الـشبهات فيعرضها على الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة فـلا يفتـتن بهـا، وهـذا مـا

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

حدث بين ابن عباس رضي الله عنهما في مناظرته مع الخوارج حيث عرض شبهاتهم على الكتاب والسنة فرجع الكثيرُ منهم عن ضلالهم.

فبالعلم يسيرُ المسلم إلى ربه على نور، وبالجهل يتخبط في الظلمات، ولذلك جعل الله العالم كالبصير، والجاهل كالأعمى، قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾ [الرعد].

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾﴾ [فاطر].

فبالعلم يستقيم المسلم على دينه، وبالجهل ينحرفُ الإنسان عن الاستقامة، فهاهم قوم موسى عليه السلام طلبوا من نبيهم أن يجعل لهم إلهاً بسبب جهلهم، قال تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾[الأعراف].

وأولئك قوم لوط عليه السلام وقعوا بجهلهم في فاحشة اللواط، قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النمل].

ثمرات الاستقامة.

الاستقامة على دين الله لها ثمراتٌ كثيرة في الدنيا والآخرة، منها:

١-الثبات على الدين؛ لأن من استقام ثبت، ومن ثبت نبت، ومن نبت أثمر، ولذلك عندما قال الرجلُ لرسول الله ﷺ يا رسول الله! حدثني بأمر أعتصم به، قال له ﷺ: «**قل ربي الله ثم استقم**»(١).

٢- الحياة الطيبة.

قال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ [الجن].

أي: لو استقاموا على طريقة محمد ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم بالإيمان والعمل الصالح لأحييناهم في هذه الدنيا حياة طيبة.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾[النحل:٩٧].

٣- البُشرى عند الموت.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ -أي: عند الموت- ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾[فصلت]

٤- يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظلهُ.

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٤١٠)، وابن ماجه (٣٩٧٢)، وأحمد (٣/ ٤١٣)، [«صحيح ابن ماجه» (٣٢٢٣)].

قال ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يومَ لا ظلّ إلا ظلـه: الإمـامُ العـادلُ،** -استقام على عدله- **وشاب نشأ بعبادة الله** -استقام على عبادة ربه- **ورجل قلبـه معلق في المساجد** -استقام على المحافظة عـلى الـصلاة- **ورجـلان تحابـا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه** -استقاما على الحب في الله- **ورجل دعته امـرأة ذات منصبٍ وجمال فقال: إني أخـاف الله** -اسـتقام عـلى الخـوف مـن الله- **ورجـلٌ تصدق بصدقة فأخفاها حتـى لا تعلـم شـماله مـا تنفـق يمينـه** -اسـتقام عـلى الإخلاص- **ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه** -استقام على ذكر الله-»[1].

٥- دخول الجنة.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الأحقاف].

موانعُ الاستقامة:

١- فساد القلب.

فإذا فسد القلب فسد الجسد كله، فترى صاحب ذلك القلب لا يعـرفُ معروفاً ولا ينكر منكراً، فينحرف عن الاستقامة.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١)، واللفظ له.

٢- فساد اللسان.

لأنه إذا فسد اللسان اعوجت الأعضاء، فاعوج الإنسان عن الاستقامة.

٣- قرين السوء.

لأن الصاحب ساحب، فإذا صاحب الإنسان قرناء السوء منعوه من الاستقامة، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾[الفرقان].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ ﴾[الزخرف].

٤- الهوى.

الهوى يمنع صاحبه عن الاستقامة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص:٢٦].

وقال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ [القصص].

٥- الشيطان:

الشيطان يصد الإنسان عن الاستقامة، قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف].

٦- دعاة الضلالة.

عن حذيفة بن اليمان قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يُدركني، فقلت: يا رسول الله! إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «**نعم**». قلت: وهل بعد هذا الشر من خير؟ قال: «**نعم وفيه دخن**»، قلت: وما دخنه؟ قال: «**قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر**». قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «**نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها**». قلت: يا رسول الله صفهم لنا. فقال: «**هم من جلدتنا، ويتلكمون بألسنتنا**» قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**» قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «**فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**»[1].

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٦٠٦).

٧- الكفار.

فإنهم ينفقون أموالهم بالليل والنهار؛ ليصدوا الناس، عن سبيل الله قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنفال].

الوسيلة العاشرة: الحذَر:

حذارِ من تحريش الشيطان في الفِتَن

عن جابر، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إن الشيطان قد أَيِسَ أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم**»(١).

فاحذر من تحريش الشيطان، لا سيّما عند الفتن، إنّه التحريش الذي يتبعه إهراق الدماء.

وإنَّ الشيطان ليُشعِر الناس بالسعادة وهم غارقون في الفِتَن.

فيا ليت هؤلاء يعلمون قوله ﷺ: «**إنّ السعيد لَمن جُنِّب الفتن، إن السعيد لمن جُنِّب الفتن، إن السعيد لمن جُنِّب الفتن، ولمن ابتُلِيَ فصبر فَوَاهاً**(٢)»(٣).

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٨١٢).

(٢) فواهاً: معناه التلهُّف أو التوجّع والتحسُّر، يُقال في التوجّع أهاً له، وانظر للمزيد «المرقاة» (٩/ ٢٨٩).

(٣) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٢٦٣)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٢٥٣)، وفي «مسند الشاميين» (٢٠٢١)، والبزار (البحر الزخار) (٢١١٢)، [«صحيح أبو داود» (٣٥٨٥)].

حقّاً؛ إنَّ السعيد لمن جنب الفتن، وإنّ الشقي الذي خاض في الفتن، وهو يُسارع في التأويل، لتسويغ أفعاله وإن لم يكن هو من أهل الفتاوى، وإنّ الشقي الذي يظن أنه يحسن صنعاً بمخالفة هدي النبي ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف].

وإنّ الشقي الذي يحكم أنّه على الهدى ويضلل غيره، أو يُكفّره، ويستحلّ دمه.

وتأمَّل كيف كان رسول الله ﷺ يُكرّر هذه العبارة ثلاثاً، لعلّنا نذّكر.

حذار أن تُكتَب مشاركاً في الفتنة ولو كنت غائباً

عن العُرس بن عَميرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا عُملت الخطيئة في الأرض؛ كان من شهدها فكرهها -وقال مرة: أنكرها- كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها؛ كان كمن شهدها**»[1].

وعن عدي بن عدي رضي الله عنه عن النبي ﷺ نحوه، قال: «**من شهدها فكرهها؛ كان كمن غاب عنها**»[2].

(١) حسن: أخرجه أبو داود (٤٣٤٥)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ١٣٩)، [«صحيح أبو داود» (٣٦٥١)].

(٢) حسن: أخرجه أبو داود (٤٣٤٦)، [«صحيح أبو داود» (٣٦٥٢)].

فإذا شهدت الخطيئة فاكرهها، وإذا حضرت الفتنة فأنكرها، حتى تكون كمن غاب عنها.

وإذا رأيت في (التلفاز) من يقتل من أبناء الإسلام فاكره ولا تفرح، وحذار أن ترضى عن قتل أو تدمير ذُكر عندك، كيلا تكون عند الله سبحانه من الشاهدين المشاركين.

حذار أن يختم على قلبك

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: كنا عند عمر رضي الله عنه فقال: «أيكم سمع رسول الله ﷺ يذكر الفتن؟ فقال قوم: نحن سمعناه. فقال: لعلكم تعنون فتنة الرجل[١] في أهله وجاره؟ قالوا: أجل، قال: تلك تكفرها الصلاة والصيام والصدقة، ولكن أيكم سمع النبي ﷺ يذكر الفتن التي تموج موج البحر؟[٢] قال حذيفة فأسكت القوم[٣]، فقلت: أنا، قال: أنت لله أبوك[٤]،

(١) قال أهل اللغة: أصل الفتنة في كلام العرب الابتلاء والامتحان والاختبار، قال أبو زيد: فتن الرجل يفتن فتونا إذا وقع في الفتنة، وتحوّل من حال حسنة إلى سيئة، وفتنة الرجل في أهله وماله وولده: ضُروب من فرط محبته لهم، وشُحه عليهم، وشُغله بهم عن كثير من الخير؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ﴾ [التغابن:١٥]، أو لتفريطه بما يلزم من القيام بحقوقهم، وتأديبهم وتعليمهم، فإنّه راعٍ لهم، ومسئول عن رعيته، وكذلك فتنة الرجل في جاره من هذا، فهذه كلها فتن تقتضي المحاسبة، ومنها ذنوب يرجى تكفيرها بالحسنات؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود:١١٤] «شرح النووي».

(٢) (التي تموج موج البحر) أي: تضطرب ويدفع بعضها بعضاً، وشبهها بموج البحر، لشدة عظمها وكثرة شيوعها. «المصدر السابق».

(٣) قال جمهور أهل اللغة: سكت وأسكت لغتان بمعنى صمت. «المصدر السابق».

(٤) كلمة مدح تعتاد العرب الثناء بها، فإنّ الإضافة إلى العظيم تشريف، ولهذا يقال بيت الله، وناقة الله، قال صاحب التحرير: فإذا وجد من الولد ما يحمد؛ قيل له: لله أبوك حيث أتى بمثلك. «المصدر السابق».

قال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **تعرض الفتن[١] على القلوب كالحصير عوداً عوداً[٢] فأي قلب أشربها[٣] نُكت فيه نُكتة سوداء، وأي قلب أنكرها[٤] نُكت فيه نُكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا[٥]، فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض. والآخر أسود مرباداً[٦] كالكوز، مُجخياً[٧] لا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه»**[٨].

---

(١) أي: تلصق بعرض القلوب، أي: جانبها كما يلصق الحصير بجنب النائم، ويؤثر فيه شدة التصاقها به. «المصدر السابق».

(٢) أي: كما يُنسج الحصير عوداً عوداً.

(٣) أشربها، أي: دخلت فيه دخولاً تاماً، وألزمها وحلت منه محل الشراب، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [البقرة:٩٣]، أي: حب العجل.

(٤) أنكرها: ردها.

(٥) قال القاضي عياض رحمه الله: ليس تشبيهه بالصفا بياناً لبياضه، لكن صفة أخرى لشدته على عقد الإيمان وسلامته من الخلل، وأن الفتن لم تلصق به ولم تؤثر فيه كالصفا -وهو الحجر الأملس الذي لا يعلق به شيء-.

(٦) قيل: الربدة لون بين السواد والغبرة، قال ابن الأثير رحمه الله: «ويريد إربداد القلب من حيث المعنى لا الصورة، فإنّ لون القلب الى السّواد ما هو».

(٧) مجخياً: معناه مائلاً، هكذا قاله الهروي وغيره، وفسّره في الكتاب بقوله: منكوساً، وهو قريب من المائل، قال القاضي عياض رحمه الله: «شبه القلب الذي لا يعي خيراً بالكوز المنحرف الذي لا يثبت الماء فيه، وقال صاحب التحرير: معنى الحديث أنّ الرجل إذا تبع هواه، وارتكب المعاصي؛ دخل قلبه بكل معصية يتعاطاها ظلمة، وإذا صار كذلك؛ افتتن وزال عنه نور الإسلام، والقلب مثل الكوز، فإذا انكب انصبّ ما فيه، ولم يدخله شيء بعد ذلك.

(٨) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٢٥)، ومسلم (١٤٤) واللفظ له.

وهذا الحديث عمدة في مسائل الفتن، فمن فقه معناه، وعمل بمقتضاه؛ أرضى مولاه سبحانه، ومن جهل معناه، ولم يعمل بمقتضاه؛ اسخط مولاه، واتّبع هواه، وكانت النار مثواه، نعوذ بالله من الخذلان.

فإذا عرضت عليك الفتنة الأولى فرضيتها؛ نكت في قلبك نقطة سوداء، ثم عرضت الفتنة الثانية فرضيتها، جعل في قلبك نقطة أخرى سوداء...، وهكذا حتى يصبح القلب كله أسود كالكوز المنكوس، لا ينتفع من آية قرآنية، ولا يستفيد من حديث شريف، ولا تؤثر فيه موعظة، ولا يُفرِّق بين معروف ومنكر، ولا بين خير وشر؛ إلّا ما وافق هواه وأشبَع رغبته، وإذا عُرضت عليك الفتنة الأولى فأنكرتها، جعل في قلبك نقطة بيضاء، ثم عُرِضَت عليك الفتنة الثانية فأنكرتها جعل في قلبك نقطة أخرى بيضاء...، وهكذا حتى يصبح القلب كله أبيض، كالحجر الأملس الذي لا يعلق عليه شيء، لا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض.

حذار أن تكون من جند الدجال

فمهما اشتدت الفتن، فلتكن أنت أشد منها وأقوى، حتى ولو كانت فتنة الدجال.

عن حذيفة رضي الله عنه، قال: ذكر الدجال عند رسول الله ﷺ، فقال: «**لأنا لفتنة بعضكم أخوف عندي من فتنة الدجال، ولن ينجو أحدٌ مما قبلها إلا**

نجا منها، وما صُنعت فتنة منذ كانت الدنيا -صغيرة ولا كبيرة-، إلا [تَتَّضِعُ] لفتنة الدجال»[1].

إن رسول الله ﷺ حذّر من الفتن، قائلاً: «**لأنا لفتنة بعضكم أخوف عندي من فتنة الدجال**».

وبين ﷺ أن الذي ينجو قبل فتنة الدجال، فهو ناج من فتنة الدجال، وأن أعظم فتنة هي فتنة الدجال؛ إذ ما صُنعت فتنة -صغيرة ولا كبيرة- منذ أن خلق الله سبحانه الدنيا؛ إلّا لفتنة الدجال، فالفتن كلها توطئة وتمهيد لفتنة الدجال.

ذلك الذي *يأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت..، ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً[2]، فيضربه بالسيف، فيقطعه جزلتين[3]، ثم يدعوه، فيقبل ويتهلل وجهه ويضحك*[4].

و«**إنّ الدجال يخرج، وإن معه ماءً وناراً، فأمّا الذي يراه الناس ماءً، فنارٌ تحرق، وأمّا الذي يراه الناس ناراً، فماءٌ باردٌ عذب**»[5].

---

(١) **إسناده صحيح**: أخرجه أحمد (٥/ ٣٨٩)، وابن حبان (٦٧٦٩)، والبزار (كشف الأستار) (٣٣٩١)، [«الموسوعة الحديثية»].

(٢) أي: في عنفوان شبابه.

(٣) أي: قطعتين.

(٤) ما بين نجمتين بعضٌ من حديث أخرجه مسلم (٢٩٣٧).

(٥) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٤٥٠)، ومسلم (٢٩٣٤، ٢٩٣٥) واللفظ له.

إلى غير ذلك من الأمور التي تفتن الناس؛ وتصدُّهم عن الله عز وجـل، وقد قال ﷺ: «**ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمرٌ أكبر من الدجال**»[١].

فليس هناك أمر أكبر من الدجال، منـذ أن خلـق الله سـبحانه آدم عليه السلام إلى قيام الساعة، لأنّه يدّعي أنّه الرّب، وفتنه كثيرة، وشبهاته خطيرة.

مع أنه أعور ومكتوب بين عينيه كافر؛ كـما في الحـديث «**ألا إنـه أعـور، وإن ربكم ليس بأعور ومكتوب بين عينيه ك ف ر**»[٢].

وفي رواية: «**مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه كـل مـؤمن: كاتـب وغـير كاتب**»[٣].

وفي الحديث: «**... فإن أُلبس عليكم؛ فـاعلموا أن ربكـم لـيس بـأعور، وأنكم لن تروا ربكم -تبارك وتعالى- حتى تموتوا**»[٤].

حذار من العجب

ومع ما قيل من المخالفات الشرعية في الثورات؛ ترى ركون النـاس إلى العُجب، وهذا من أشد الفتن.

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٤٦).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧١٣١)، ومسلم (٢٩٣٣) واللفظ له.

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٣٤).

(٤) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٣٢٠)، وأحمد (٥/ ٣٢٤)، وابـن أبي عاصـم في «الـسنة» (٤٢٨)، [«صحيح الجامع» (٢٤٥٩)].

إنه العجب بالإرادة الشعبية!

إنه العجب بالشجاعة!

إنه العجب بالسلاح!

وقد قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [التوبة].

وهذه عقوبة من الله تعالى حينما قالوا: لن نغلب اليوم، من قلة.

وعن صهيب رضي الله عنه قال: «**كان رسول الله ﷺ إذا صلى همس**(١)**، فقال: أفطنتم لذلك؟ إنّي ذكرت نبياً من الأنبياء أعطي جنوداً من قومه، فقال: من يكافئ هؤلاء؟ أو من يقاتل هؤلاء! أو كلمة شبهها، فأوحى الله إليه أن اختر لقومك إحدى ثلاث: أن أُسلط عليهم عدوهم، أو الجوع، أو الموت، فاستشار قومه في ذلك؟ فقالوا: نكل ذلك إليك، أنت نبي الله، فقام فصلى - وكانوا إذا فزعوا، فزعوا إلى الصلاة- فقال: يا رب أمّا الجوع أو العدو؛ فلا، ولكن الموت، فسلط عليهم الموت ثلاثة أيام، فمات منهم سبعون ألفاً، فهمسي الذي ترون أنّي أقول: اللهم بك أقاتل، وبك أصاول**(٢)**، ولا حول ولا قوة إلا بك**»(٣).

(١) الهمس: الكلام الخفي، لا يكاد يفهم. «النهاية».

(٢) أسطو وأقهر.

(٣) صحيح: أخرجه ابن نصر المروزي في في «تعظيم قدر الصلاة» (٢٠٩)، وأحمد (٤/ ٣٣٣)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ١٥٧)، والبيهقي في «الشعب» (٣١٨٤)، [«الصحيحة» (١٠٦١)].

حذار من المنافقين والمتسلِّقين وأهل الأغراض والمصالح الدنيئة

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: «**إن المنافقين اليوم شرٌّ منهم على عهد النبي ﷺ، كانوا يومئذٍ يُسرون واليوم يجهرون**»[١].

وهذا في زمان حذيفة رضي الله عنه، فكيف الأمر في زماننا.

وفي رواية عنه رضي الله عنه قال: «إنما كان النفاق على عهد النبي ﷺ، فأما اليوم: فإنما هو الكفر بعد الإيمان»[٢].

وعن حذيفة رضي الله عنه أيضاً قال: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني»[٣].

حذار من فتنة أجهزة الإعلام

ولا بد من التنبيه على دور الإعلام في الفتنة سواءٌ أكان إيجابياً، أم سلبيّاً.

فالإعلام الصادق يوجّه الى ما فيه مصلحة الأمّة واستقرارها، وتآلفها، وعلاج أدوائها.

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧١١٣).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧١١٤).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٦٠٦، ٧٠٨٤)، ومسلم (١٨٤٧).

وأمّا الإعلام المضلِّل فإنّه يدعو إلى نار الدنيا والآخرة، ويوظف الشياطين في ذلك.

ورصيد هذا الإعلام الكذب والافتراء وإشاعة الشائعات ولا سيّما مع ما يملكه أصحابه من تقنيات، فكذبهم وافتراؤهم يبلغ الآفاق، مع مهارة الخداع الفنّي.

فلنذكر قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحُجُرات:٦].

وقال ﷺ: «**كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع**»(١).

حذار من الأهواء

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص:٢٦].

عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يكون أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء؛ كما يتجارى الكَلَبُ(٢) بصاحبه، فلا يبقى منه مفصل إلا دخله**»(٣).

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه (٥).

(٢) جاء في «النهاية» «الكَلَب -بالتحريك-: داء يعرض للإنسان من عضّ الكَلْب الكَلِب، فيصيبه شبه الجنون، فلا يعضّ أحداً إلّا كَلِب؛ وتعرض له أعراض رديئة، ويمتنع من شرب الماء حتى يموت عطشاً».

(٣) **صحيح**: أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١)، وأبو داود (٤٥٩٧)، وأحمد (٤/ ١٠٢)، والحاكم (١/ ٢١٨)، [«ظلال الجنة» (ص٩)].

وعن معاوية ﵁ قال: «قام فينا رسول الله ﷺ يوماً فذكر أن أهل الكتاب قبلكم تفرقوا على اثنتين وسبعين فرقة في الأهواء، ألا وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة في الأهواء، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة، ألا وإنه يخرج في أمتي قوم يهوون هوى، يتجارى بهم ذلك الهوى؛ كما يتجارى الكَلَبُ بصاحبه، لا يدع منه عرقاً ولا مفصلاً إلا دخله»(١).

وعن معاوية ﵁ أيضاً، قال: «يا معشر العرب والله لئن لم تقوموا بما جاء به نبيكم؛ لغَيرُكم من الناس أحرى أن لا يقوم به، إن رسول الله ﷺ قام فينا يوماً، فذكر أن أهل الكتاب قبلكم، افترقوا على اثنتين وسبعين فرقة في الأهواء، ألا وإن هذه الأمّة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة في الأهواء»(٢).

سبحان ربك كيف يغلبك الهوى سبحانه إن الهوى لغلوب

ومن المؤسف أن يكون في أمتنا من يتبع هوى غيره -لا هوى نفسه وفي كلٍّ شر-.

قال تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة].

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٢)، وأحمد (٤/ ١٠٢)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٣٧٧)، وفي «مسند الشاميين» (١٠٠٥)، [«ظلال الجنة» (ص٩)].

(٢) **صحيح**: أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٦٩)، وأحمد (٤/ ١٠٢)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٣٧٦)، [«ظلال الجنة» (ص٣٤)].

وقال سبحانه: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى ذكره: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الرعد].

فكيف باتباع أهواء أُناس؛ تريد أن تمنع ولاية الله -عز وجل- ونصرته وحفظه، ومن لم يكن الله -عز وجل- وليه ولا نصيره؛ فمن ذا الذي ينصره ويتولى أمره ويحفظه؟!

لا نريد أن نستقلَّ في الهوى! باتباع أهوائنا دون استيراد أهواء من الخارج.

بل إنني أطالب بالاستقلالية وعدم التبعية في المنهج والاعتقاد، والأخلاق والسلوك، وطريقة التغيير، وتحقيق السعادة، والسير نحو سيادة البشرية، وهذا يكون بالرسم القرآني؛ لا بالتصور الشيطاني.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة].

فمن اتبع الهدى ودين الحق ظهر أمام الدنيا؛ لأنّ الله -عز وجل- سخره لإظهار الدين، ولا يظهر هذا الدين الا بظهور هؤلاء الربانيين ... ولو كره المشركون..

حذار من التسرع في الفتاوى

ويتأكد لنا حقاً أننا نعيش في زمان الغربة ونحن نسمَعُ فتاوى عجيبة؛ تؤدي إلى سفك الدماء، وجر المذابح، تعتمد على نصوص عامة، يُنزلها بعضهم على أمورٍ تتعلق بالفتن، وهي تضاد الصواب وتخالف الصحة، وكم هم أولئك الذين يتصدَّرون الفتاوى وليسوا من أهلها -وإن ظنّوا أنهم أهلها وأحق بها-.

إن للفتن فقهاً خاصاً؛ لا بد فيه من معرفة النصوص المتعلقة به، من كتاب الله -عز وجل- كما قال رسول الله ﷺ في شأن الفتن: «**يا حذيفة تعلم كتاب الله واتبع ما فيه، ثلاث مرار**»[1].

ولا بد من معرفة الأحاديث المفصِّلة المبيِّنة...

ولا بد من معرفة الآثار ومواقف السلف، فهي عملٌ بمقتضى الكتاب والسنة، فيها إزالة إبهامات، والمزيد من التوضيحات.

فأنصح لكل مفت إلّا يتصدر فتاوى الفتن -وهذا التصدر من الفتن-؛ إلّا بعد قراءة النصوص والآثار المتعلقة بالفتن، وكذا دراسة ما تيسّر من الكتب التي بحثت هذا الموضوع.

---

(١) **حسن**: أخرجه أبو داود (٤٢٤٦)، وأحمد (٥/ ٣٨٦)، وابن حبان (٥٩٣٢)، والطبراني في «الأوسط» (٧٣٤٣)، [«صحيح أبو داود» (٣٥٧١)].

إذ مسائل الفتن تحتاج الى علم خاص ودراسة عميقة، وتأمّلات دقيقة؛ كل ذلك للتوصل الى الحق والحقيقة.

ولنعلم أنّ هذه الأهوال العظيمة تحتاج الى علماء ربانيين متجردين، لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً، ولا يتطلعون الى دنيا يصيبونها أو مصالح يبتغونها، أو أحزاب ينصرونها.

هذا كله مسبوق بمراعاة آداب المفتي والمستفتي، وأن يكون من أهل العلم حقاً؛ حتى لا تكون فتنة وتكون إراقة الدماء، والضياع، والفرقة، وحتى لا يحمل وزر هذا يوم القيامة.

ومن أعجب ما سمعت؛ ارتجال بعضهم الفتوى بخروج الناس العُزّل من كل قوة في بعض البلاد؛ أَمامَ أسلحة مدمِّرة، بحجة فساد معتَقد حاكمها؟!!

ألم يبلغ هؤلاء حديث النبي ﷺ: «**قتلوه قتلهم الله**»، وذلك فيما يرويه جابر رضي الله عنه قال: «خرجنا في سفر، فأصاب رجلاً منّا حجر، فشَجَّه في رأسه، ثم احتلم، فسأل أصحابه، فقال لأصحابه: هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء، فاغتسل فمات، فلمّا قدمنا على النبي ﷺ أُخبر بذلك فقال: **قتلوه، قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا، فإنما شفاء العي السؤال**»[1].

---

(١) **حسن**: أخرجه أبو داود (٣٣٦)، وابن ماجه (٥٧٢)، وأحمد (١/ ٣٣٠)، والبيهقي في «السنن» (١/ ٢٢٨)، [«صحيح أبو داود» (٣٢٥)].

فتأمّل كيف قال ﷺ: «**قتلوه قتلهم الله**» لمن تعجل في فتوى من فتاوى الطّهارة كانت سبباً في قتل رجل!

فكيف بمن تعجل في فتوى أدّت الى مقتل العشرات، أو المئات، أو الألوف، أو جرّت دماراً وهلاكاً للأمّة الى سنين طويلة؟!

أقول: لا بد أن نتأمل قول رسول الله ﷺ: «**بدأ الإسلام غريباً، وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء**»[(١)].

وعليه؛ فلا محيص من ظهور آثار الغربة، وعدم ركوب أمواج التيارات الشعبية، فإنّ دوام موافقة عامة الناس في أمورهم يدل على عدم الغربة، وعدم الصواب.

ولا بد أن تظهر آثار التوجيهات والتصحيحات.

ولطالما أنّ الإسلام سيعود غريباً، فلا بد أن تظهر غربة الفتاوى الصحيحة المتعلقة بالفتن؛ التي لا يَعْقِلها إلا العالمون والموفَّقون والصادقون، والتي يأباها من استوحش من الغرباء أو كرههم، أو لم يعرفهم، أو أنه لا يعرف إلّا ما يُمليه عليه حزبه، أوْ لم يعلم أن رسول الله ﷺ أثنى على هؤلاء الغرباء وبشرهم -أسأل الله -عز وجل- أن يجعلنا منهم-.

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

حذار من الدعاة الى الفتنة

قال تعالى: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة:١٩١]، وقال سبحانه: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة:٢١٧].

وإنّه مما ينبغي علينا أن نحذر الدعاة الى الفتنة، ولنعلم أن هؤلاء لا يقولون للناس: نريد أن نفتنكم عن دينكم، وأن نوقع بينكم وبين إخوانكم.

إنهم يأتون تحت شعار مكافحة الفساد، وراية الحريّة والمساواة، وتحت عنوان (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)(١).

ومن أكابر مجرمي هذه الفتن: عبد الله بن سبأ.

ويروي لنا الإمام الطبري -رحمه الله- حقيقة هذا الفتّان فيقول: «كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء، أمه سوداء، فأسلم زمان عثمان رضي الله عنه، ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم، فبدأ بالحجاز، ثم البصرة، ثم الكوفة، ثم الشام، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى مصر، فاعتمر(٢) فيها»(٣).

وكان من مخططاته أن قال: «العجب ممن يزعم أن عيسى عليه السلام يرجع ويكذب بأن محمداً صلى الله عليه وسلم يرجع وقد قال الله -عز وجل-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص:٨٥]، فمحمد أحق بالرجوع من

(١) هذا مع وجود شيء من الحق في هذه المطالب.

(٢) أي: سكن فيها.

(٣) انظر «تاريخ الطبري» (٣/ ٣٧٨)، وذكر الدكتور الإدريسي «فقه الفتن» (ص١٦٣).

عيسى، فقُبل ذلك عنه، ووضع لهم الرجعة، فتكلّموا فيها، ثم قال لهم بعد ذلك: إنّه كان ألف نبي، ولكل نبي وصي، وكان علي وصي محمد ﷺ، ثم قال: محمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء، ثم قال بعد ذلك: من أظلم ممن لم يُجز وصية رسول الله ﷺ، ووثب على وصي رسول الله ﷺ، وتناول أمر الأمة، ثم قال لهم بعد ذلك: إنّ عثمان أخذها بغير حق، وبوجود وصي رسول الله ﷺ، فانهضوا في هذا الأمر فحرِّكوه، وابدؤا بالطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ تستميلوا الناس وادعوهم إلى هذا الأمر، فبثّ دعاته وكاتب من كان استفسد في الأمصار، وكاتبوه ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكُتبٍ يضعونها في عيوب ولاتهم، ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون فيقرأه أولئك في أمصارهم، وهؤلاء في أمصارهم؛ حتى تناولوا بذلك المدينة وأوسعوا الأرض إذاعة، وهم يريدون غير ما يظهرون، ويُسرّون غير ما يبدون، فيقول أهل كل مصر: إنّا لفي عافية مما ابتلي به هؤلاء، إلّا أهل المدينة فإنهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار فقالوا: إنّا لفي عافية مما فيه الناس»[1].

احذروا الدعاة إلى الفتنة من إنسها وجنّها، من داخل البلاد وخارجها، من أبناء جلدتنا، وأهل لساننا، ومن غير أولئك.

---

(١) انظر «تاريخ الطبري» (٣/ ٣٧٨-٣٧٩).

التحذير من سوء الختام

احذر من سوء الختام، ومن ذلك أن يختم لك بالقتل.

احذر من سوء الختام، بأن تقتل وأنت حريص على قتل صاحبك.

وقد قال ﷺ: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما؛ فالقاتل والمقتول في النار**»، فقلت: يا رسول الله هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: «**إنه كان حريصاً على قتل صاحبه**»[(١)].

وتأس بعمر بن الخطاب رضي الله عنه في قصة مقتله الشهيرة، حين سأل ابن عباس رضي الله عنهما عمن قتله، فقال: «غلام المغيرة، فقال عمر رضي الله عنه: الحمد لله الذي لم يجعل ميتتي بيد رجل يدّعي الإسلام»[(٢)].

وإن عمر رضي الله عنه ليعلمنا قول رسول الله ﷺ: «**يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة، ناصيته ورأسه بيده، وأوداجه[(٣)] تشخب[(٤)] دماً، فيقول: يا رب سل هذا فيم قتلني؟ حتى يدنيه من العرش**»[(٥)]][(٦)].

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٧٠٠).

(٣) ما أحاط بالعنق من العروق التي يقطعها الذابح، واحدها ودج، وقيل: الودجان: عرقان غليظان عن جانبي ثغرة النحر. «النهاية».

(٤) الشخب: السيلان، وأصل الشخب: ما يخرج من تحت يد الحالب عند كل غمزة وعصرة لضرع الشاة. «النهاية».

(٥) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٠٢٩)، والنسائي (٤٠٠٥)، [«صحيح الجامع» (٨٠٣١)]

(٦) «الفتن وسبيل النجاة منها» (ص٧٧-٩٣) للشيخ حسين بن عودة العوايشة -حفظه الله-.

الفصل الرابع

فتنة المظاهرات والخروج على ولاة الأمر

لا يخفى على كل مسلم ما ابتليت به بلاد المسلمين من فتنة المظاهرات والاعتصامات والخروج على ولاة الأمر المسلمين، وما جرَّ ذلك على المسلمين من ويلات ودمار وهلاك، كالقتل وغياب الأمن والسرقة والاغتصاب ودمار الاقتصاد، وغيرها مما لا يخفى على عاقل.

فما النجاة من هذه الفتن؟

النجاة من هذه الفتن تكون بـ:

أولاً: معرفة المصلح من المفسد.

الإصلاحُ نقيضُ الإفسادِ، والصلاحُ نقيضُ الفسادِ، والصالحُ نقيضُ الفاسدِ، والمصلحُ نقيضُ المفسدِ، والله -عز وجل- يعلمُ المفسدَ من المصلح، والفاسدَ من الصالح؛ قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ﴾ [البقرة:٢٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٤٠﴾ [يونس].

ولذلك عندما ادعى المنافقون أنهم من المصلحين كذّبهم الله -عز وجل- وفضحهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ۝١١ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ۝١٢﴾ [البقرة].

الله -عز وجل- يحبُ المصلحينَ ولا يحبُّ المفسدين، ويُحبُ الإصلاحَ ولا يحبُ الفساد.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾ [القصص].

وقال تعالى: ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ٨٣﴾ [القصص].

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ٢٠٥﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٦٤﴾ [المائدة].

والله -عز وجل- يُنجي المصلحينَ ويهلكُ المفسدينَ، قال تعالى: ﴿فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ ١١٦ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ١١٧﴾ [هود].

ومن الأمثلة على هلاك المفسدين:

١- فرعون كان من المفسدين في الأرض فأهلكَهُ الله ومن معه، قال تعالى:

﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٤﴾ [القصص].

فانظروا كيف أهلكهُ الله -عز وجل-، قال تعالى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [القصص].

٢- قارون كان من المفسدين في الأرض فأهلكه الله تعالى: ﴿۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [القصص].

فانظروا كيف أهلكه الله -عز وجل-: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ [القصص].

٣- قوم عادٍ وثمودَ، أفسدوا في الأرض فأهلكهم الله، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر].

والعاقلُ من اتعظ بغيره؛ ولذلك أمرنا الله -عز وجل- أن نتعظَ بهلاك المفسدين؛ قال تعالى: ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤﴾ [النمل]، وقال تعالى: ﴿وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٨٦﴾ [الأعراف].

ومن رحمة الله بعبادهِ أن أمرهم بالإصلاح وحذّرهم ونهاهم عن الفساد.

قال تعالى: ﴿وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤٢﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ﴾ [الأنفال:١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ﴾ [الحُجُرات:١٠].

ومن رحمته سبحانه بعباده أرسلَ رسلَهُ للإصلاح ويحذرون الناس من الإفساد.

فهذا شعيب عليه السلام يقول لقومه: ﴿فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٨٥﴾ [الأعراف].

ويقول لهم أيضاً: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨﴾ [هود].

وهذا موسى عليه السلام يقول لأخيه هارون: ﴿ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤٢﴾ [الأعراف].

فرسلُ الله جميعاً ومن سلكَ سبيلهم يصلحون ويأمرون بالإصلاح، ويحذرون الناسَ من الفسادِ والإفسادِ.

وهناكَ من الناس في كل زمان ومكان، لا أقولُ: إنهم يصطادون في الماء العكر! وإنما أقولُ: إنهم يعكرون الماء ليصطادوا فيه، فيخدعون الناس بأنهم مصلحون!! وفي الحقيقة هم المفسدون! والله -عز وجل- أخبرنا في كتابه عن هؤلاء لنكون منهم على حذر.

قال تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ١٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ١١ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ١٢﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ٢٠٤ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ٢٠٥ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ٢٠٦﴾ [البقرة].

وانطلاقاً من قوله ﷺ: «**الدين النصيحة**»، أقولُ للمسلمينَ في كل مكان حُكَّاماً ومحكومين: الإصلاحُ أنواعٌ، والإفسادُ أيضاً أنواعٌ.

فالدعوة إلى الإيمان إصلاحٌ في الأرض، الدعوة إلى الكفر إفسادٌ في الأرض.

والدعوةُ إلى التوحيد إصلاحٌ في الأرض، والدعوة إلى الشرك إفسادٌ في الأرض.

والدعوةُ إلى السنةِ إصلاحٌ في الأرض، والدعوةُ إلى البدعة إفسادٌ في الأرض.

والدعوةُ إلى الاتحاد والاعتصام إصلاحٌ في الأرض.

والدعوةُ إلى الفرقة والاختلاف إفسادٌ في الأرض.

والمحافظةُ على أرواح الآمنين إصلاحٌ في الأرض.

وقتل الأبرياء والتفجيرُ والإرهابُ إفسادٌ في الأرض.

والمحافظةُ على الأمن في البلاد إصلاحٌ في الأرض.

والعبثُ بأمن البلاد إفسادٌ في الأرض.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إصلاح في الأرض.

والأمر بالمنكر والنهي عن المعروف إفساد في الأرض.

والطاعاتُ والأعمالُ الصالحة إصلاحٌ في الأرض.

والمعاصي والذنوبُ إفسادٌ في الأرض.

والله -عز وجل- يقول: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الروم:٤١].

فمن قال: إن الفسادَ ظهر في الأرض بما كسبت أيدي ولاةِ الأمر فقط، فقد جار وظلم، ومن قال: إن الفساد ظهر بما كسبت أيدي الرعية فقط، فقد جار وظلم أيضاً، فالفسادُ إذا ظهر في الأرض فيكونُ بسبب الحاكم والمحكوم، الراعي والرعية، والواجبُ على الجميع أن يتوبوا إلى الله، الراعي يتقي الله في رعيته، والرعية تتقي الله في راعيها.

فها هو المطر إذا تأخر في نزوله على الناس فهو بسبب المعاصي والذنوب، فلا يجوزُ لأحدٍ أن يقول إن المطر تأخر بسبب فساد الراعي، ولا يجوزُ أيضاً أن يقول إن المطر تأخر بسبب فساد الرعية وإنما يتأخرُ المطر بسبب الفساد من الجميع، فإذا رجعوا جميعاً إلى الله -عز وجل- بالإيمان الصادق والعمل الصالح والتوبة النصوح نزلت عليهم البركاتُ من السماء والأرض، وعاشوا في أمنٍ وأمان.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف].

وقطيعةُ الرحم، وعقوقُ الوالدين من الإفساد في الأرض، وإصلاحُ ذات البين من الإصلاح في الأرض.

وكلامنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- سيكون عن إصلاح ذات البين لأن فسادَ ذاتِ البين هي الحالقة، لا أقول: تحلقُ الشعر وإنما تحلقُ الدين.

والذين يصحلون في الأرض عامةً، ويُصلحونَ ذاتَ البين خاصةً يبشرهم ربهم في كتابه، ورسولهم ﷺ في سنته بما يلي:

أولاً: أيها المصلحُ أبشر بالأجر العظيم عند الله قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ [الأعراف].

ثانياً: أيها المصلح! أبشر برحمة الله في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحُجُرات].

ثالثاً: أيها المصلحُ! أبشر فإنّ إصلاح ذاتِ البين تجارةٌ رابحةٌ يُحبُّها الله -عز وجل-.

قال ﷺ لأبي أيوب: «**ألا أدلك على تجارةٍ؟**» قال: بلى.

قال: «**صِل بين الناس إذا تفاسدوا، وقرّب بينهم إذا تباعدوا**»(١).

وقال أبو أيوب: قال لي رسول الله ﷺ: «**يا أبا أيوب! ألا أدلك على صدقة يحبها الله ورسوله؟ تُصلح بين الناس إذا تباغضوا وتفاسدوا**»(٢).

وفي رواية قال ﷺ: «**ألا أدُلك على صدقةٍ يُحبُ الله موضِعَها؟**».

قال: قلت: بلى بأبي أنت وأمي!

قال: «**تصلح بين الناس؛ فإنّها صدقة يُحب الله مُوضِعها**»(٣).

رابعاً: أيها المصلح! أبشر فإن إصلاح ذات البين أفضلُ من نوافلِ العباداتِ.

قال ﷺ: «**ألا أُخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟**».

قالوا: بلى.

---

(١) **حسن لغيره**: أخرجه البزار (كشف الأستار) (٢٠٦٠)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨١٨)].

(٢) **حسن لغيره**: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٤/ ١٣٨)، وعبد بن حميد (٢٣٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٢٠)].

(٣) **حسن لغيره**: أخرجه الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (١٨٠)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٢٠)].

قال: «**إصلاح ذات البين؛ فإن فساد ذاتِ البين هي الحالقةُ، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين**»[(١)].

خامساً: أيها المصلحُ! أبشر فإن إصلاح ذات البين من أفضل الأعمال.

قال ﷺ: «**ما عُمِلَ شيءٌ أفضلَ مِنَ الصلاة، وصلاح ذات البين، وخُلقٍ جائزٍ بين المسلمين**».

سادساً: أيها المصلح! أبشر فإن إصلاح ذات البين من أفضل الصدقات.

قال ﷺ: «**كل سلامى**[(٢)] **من الناس عليه صدقةٌ كلَّ يوم تطلع فيه الشمسُ، يعدلُ بين الاثنْينْ صدقة**[(٣)]»[(٤)].

فكن أيها المسلم! دائماً من المصلحين ولا تكن من المفسدين، وكن دائماً مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر ولا تكن مفتاحاً للشر مغلاقاً للخير.

كما قال ﷺ: «**إن من الناس ناساً مفاتيح للخير، مغاليق للشر، وإن من الناس ناساً مفاتيح للشر، مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه**»[(٥)].

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٥٠٩)، وبو داود (٤٩١٩)، والبيهقي في «الشعب» (١١٠٨٨)، وأحمد (٦/ ٤٤٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨١٤)].

(٢) «كل سلامى»، أي: كل مفصل.

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٩٨٩)، ومسلم (١٠٠٩).

(٤) «يعدلُ بين اثنين» أي: يصلح بينهما.

(٥) **حسن**: أخرجه ابن ماجه (٢٣٧)، والبيهقي في «الشعب» (٦٩٨)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٢٩٧)، [«صحيح الجامع» (٢٢٢٣)].

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجعلني وإياكم من المصلحين، ويجعلني وإياكم مفاتيح خير مغاليق شر، إنه وليُّ ذلك والقادرُ عليه.

الإصلاحُ عملُ الأنبياء:

قال تعالى على لسان شعيب عليه السلام: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [هود].

والصلحُ القائمُ على الشرع كُلُّهُ خيرٌ، قال تعالى: ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ﴾ [النساء:١٢٨].

وإصلاحُ ذات البين من أجلِّ القُرُباتِ وأفضلِ الطاعاتِ، وذلك لأنهُ يعملُ على المحبةِ والمودةِ والاتحادِ والاجتماعِ وهذا لا يُحبُّهُ الشيطانُ، فإن شياطين الإنسِ والجنِّ يعملون ليلاً ونهاراً على التفريق بين الأحبة: من زوجين أو صديقين أو جارين أو أخوين.

قال ﷺ: «**إن الشيطان قد أيس أن يعبدهُ المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم**»(١).

وقال ﷺ: «**خيارُ عبادِ الله الذين إذا رُؤوا ذُكِرَ الله، وشرارُ عبادِ الله، المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة، الباغون للبُرَآءِ العيب**».

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٨١٢).

وفي رواية: «**المفسدون بين الأحبة**»(١).

كيف لا؟

والله -عز وجل- يقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ [المائدة].

والإنسانُ منافي هذه الدنيا ليس معصوماً، فإذا وقعت الفرقةُ والبغضاءُ والشحناءُ بين الرجلِ وزوجتهِ، أبو بين الرجلِ وجارهِ، أو بين الصديق وصديقه، أبو بين الحبيب وحبيبه، جاء الشرعُ.

يحثُ كلاً من المتخاصمين أن يبادر بالصلح ليفوزَ بالأجر العظيم قال ﷺ: «**لا يحل لمسلمٍ أن يهجر أخاه فوق ثلاثِ ليالٍ: يلتقيان، فيعرض هذا، ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**»(٢).

وقال ﷺ: «**تعرض الأعمال** -أي: أعمال العباد- **في كل خميس واثنين** -أي: على الله تعالى- **فيغفر الله عز وجل لكل امرئٍ لا يشركُ بالله شيئاً، إلا امرءاً كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال: اركوا هذين حتى يصطلحا، اركوا هذين حتى يصطلحا**»(٣).

---

(١) **حسن لغيره**: أخرجه أحمد (٦/ ٤٥٩)، والبيهقي في «الشعب» (١١١٠٨)، والطبراني في «الكبير» (٢٤/ ١٦٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٢٤، ٢٨٢٥)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٦٢٣٧)، ومسلم (٢٥٦٠) واللفظ له.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٦٥).

فإن رَكِبَ كلٌّ من المتخاصمين رأسـهُ واتبـع هـواهُ، واتـسعت الفجـوةُ بينهما، واشتد الخصامُ واستفحلَ الشرُّ، جاء الشرعُ يأمرُ المسلمين بالتـدخلِ للصلح بينهما.

قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ﴾ [الأنفال:١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ﴾ [الحُجُرات:١٠].

وقال تعالى في حق الزوجين المتخاصمين: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا ٣٥﴾ [النساء].

وبلغ من حرصه ﷺ على إصلاح ذات البين أن رخَّص للمـصلحين في الكذبِ للوصولِ إلى الإصلاح.

فقال ﷺ: «**ليس الكذّابُ الذي يُصلح بين الناس، فيُنمي خيراً أو يقول خيراً**»(١).

وكان ﷺ يذهبُ بنفسه ليصلحَ بين المتخاصمين.

عن سهل بن سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن أهل قبـاء اقتتلـوا حتـى ترامـوا بالحجـارة فأُخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: «**اذهبوا بنا نُصلح بينهم**»(٢).

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٦٩٢)، ومسلم (٢٦٠٥).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٢٦٩٣).

وعن كعب بن مالك ﵁ أنه تقاضى ابن أبي حدردٍ ديناً كان لـهُ عليـه، في عهد رسول الله ﷺ في المسجد.

فارتفعت أصواتُهُما. حتى سمعها رسول الله ﷺ وهـو في بيتـهِ، فخـرج إليهما رسول الله ﷺ حتى كشفَ سجف[1] حجرته ونادى كعب بن مالك، فقال: «**يا كعب!**».

فقال: لبيك! يا رسولَ الله! فأشارَ إليه بيده أن ضعِ الشَّطر من دينك.

قال كعبُ: قد فعلتُ، يا رسول الله!

قال رسولُ الله ﷺ: «**قم فاقضه**»[2].

فإذا كان الله -سبحانه- قـد حـثَّ عـلى الإصـلاح بـين المتخاصـمين، ورغّب فيه رسوله ﷺ فكان يذهب بنفسه ليصلح بين المتخاصـمين، فمـن باب أولى أن يكون الإصلاح بين الراعي والرعية، لأن في ذلك تحقيق نعمـة عظيمة وهي الأمن والأمان للبلاد والعباد.

فكونوا يا عباد الله! من المصلحين ولا تكونوا من المفسدين.

---

(١) (سَجْفَ) أي: سترها.

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٧١)، ومسلم (١٥٥٨) واللفظ له.

ثانياً: معرفة قيمة نعمة الأمن للبلاد والعباد:

وتكون النجاة من الفتن بمعرفة المسلم لنعمة الأمن، والأمنُ ضدُّ الخوف، فإذا ذهبَ الأمنُ من بلدٍ حلَّ مكانهُ الخوفُ والحزنُ والرعبُ والفوضى والنهبُ والسلبُ وتركُ العبادةِ، وغيرُ ذلك من البلايا.

وفي ظل الأمنِ يأمنُ الناسُ على أنفسهم وأموالِهم وأعراضِهم، ويتمكنون من عبادةِ ربهم.

قال تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [الحجر].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ [البقرة:١٩٦].

(إذا أمنتم) أي: إذا تمكنتم من أداء المناسك.

وقال تعالى: ﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾ [البقرة].

ففي هاتين الآيتين عدةُ فوائد:

منها: أهمية الصلاة والأمر بأدائها في وقتها على أي وجه.

ومنها: نعمة الأمن حيث تؤدى العبادة بوجوده في أكمل صورة كما أمر الله تعالى.

ومنها: أن الأمنَ نعمة تستحق شكر الله وكثرة ذكره إذا وجدت؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ [البقرة:٢٣٩]؛ فذكر الله حمدُ وثناءٌ له وعليه، وكل ذلك لما يترتب على الأمن من نعمٍ.

الأمنُ مِنَّةٌ إلهيةٌ ومنحةٌ ربانيةٌ وعطيةٌ من الله -جل وعلا- يَمُنُّ به على من يشاءُ ومتى شاء سبحانه، لأن الأمر أمرهُ والخلق خلقه ﴿نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ۝٤٠﴾ [الأنفال]، ﴿وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود:١٢٣].

ولذلك سألَ ابراهيمُ عليه السلام ربهُ نعمة الأمنِ لذريته قبل أن يسألهُ الرزق لهم.

قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ﴾ [البقرة:١٢٦].

وقال تعالى في سورة إبراهيم: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ۝٣٥﴾ إلى أن قال: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ۝٣٧﴾ [إبراهيم].

وقد استجاب الله -عز وجل- دعوة إبراهيم عليه السلام وجعل مكة حرماً آمناً، فقال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ ۝٦٧﴾ [العنكبوت].

وامتن اللهُ على قريشٍ بنعمة الأمن وأمرهم أن يشكروه عليها. فقال تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ٤﴾ [قريش].

فلم يشكروه على هذه النعمة العظيمة وكفروا بالله، ولم يستجيبوا لرسولهِ ﷺ، قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧﴾ [القصص].

فلما كفروا بنعمة الأمنِ وعصوا ربهم حرمهم نعمةُ عامةً ونعمة الأمنِ خاصةً، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١١٢﴾ [النحل].

نعمةُ الأمنِ نعمةٌ عظيمةٌ جداً لا يعرفُ قدرها إلا من حُرمها وقد جاءت الأدلةُ الكثيرةُ في الكتابِ والسنةِ تدلُّ على نعمةِ الأمن.

أولاً: الأدلةُ من كتاب الله:

١- امتن الله على عبادهِ بنعمة الأمن في غزوة أُحد حيث ذَكَّرهم بتلك النعمة في ذلك الموطن الصعب الذي احتاجوا فيه للراحة والطمأنينة، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

٢- وامتن اللهُ على موسى عليه السلام بالأمنِ وذهابِ الخوفِ عندما أمرهُ أن يُلقي عصاه، فقال تعالى مخاطباً موسى: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ ﴿٣١﴾﴾ [القصص].

٣- وامتن الله تعالى على قوم سبأ أو مملكة سبأ وأهلها بعديد من النعم منها: أمن الطريق بين القرى والأماكن، مع وضوح الطريق برؤية القرى، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ [سبأ].

٤- ولقد مَنَّ الله تعالى على نبيه محمدٍ ﷺ بنعمة دخول المسجد الحرام وهو آمنٌ مع أصحابه، فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح:٢٧].

ثانياً: نعمة الأمن في السنة المطهرة:

١- قال ﷺ: «**من أصبحَ منكمُ آمناً في سربه، مُعافىً في جسده، عندهُ قوتُ يومه؛ فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها**»[(١)].

---

(١) حسن: أخرجه الترمذي (٢٣٤٦)، وابن ماجه (٤١٤١)، وابن حبان (٦٧٠)، والطبراني في الأوسط (١٨٢٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٠٠)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢١٢٦)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٣١٨)].

فتأمل يا عبد الله! هذا الحديث فإنه يدل على أن من حاز على ثلاثة أشياء فكأنه ملك الدنيا بأسرها:

أولاً: الأمن في النفس والمال والأهل والعيال.

ثانياً: الصحة والعافية في الجسد.

ثالثاً: توفر قوت اليوم.

فأولاً بدأ النبي ﷺ بنعمة الأمن؛ لأنه لا لذة ولا تمتع بنعمة العافية والطعام إلا بوجود نعمة الأمن والأمان.

٢- وقال ﷺ: «**المسلم من سَلِمَ المسلمونَ من لسانه ويده**»(١).

قوله: «**من سلم المسلمون من لسانه ويده**»؛ معناه: من لم يؤذ مسلماً بقول ولا فعل، وخَصَّ اليد بالذكر؛ لأن معظم الأفعال بها(٢).

إذن المسلم الكامل الإسلام من سلم الناس من أذاه، بيده أبو بقوله، ولا شك أن أذية الناس بالقتل، والتفجير، واحتجازهم كرهائن، وقتل أطفالهم، وتلف أموالهم، كل ذلك داخل تحت هذا الحديث. فتأمل أيها المسلم.

٣- وقال ﷺ: «**من حمل علينا السلاح فليس منا**»(٣).

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٠)، ومسلم (٤١).

(٢) «شرح مسلم للنووي» (١/ ٢/ ٢٠١).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٨٧٤)، ومسلم (٩٨).

وفي لفظ: «**من سَلَّ علينا السيف فليس منا**»(١).

فعلى من سوَّلت له نفسه أو حرَّضه غيره على قتل المسلمين في عقر دارهم أن يتمعَّن في هذا الحديث مليّاً؛ لأن معناه عميق جداً وخطير؛ فهو يشكل تهديداً لكل من سوّلت له نفسه بقتل المسلمين سواء بالسيف أو التفجير أو الاغتيال.

٤- وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: حدثنا أصحاب محمد ﷺ: أنهم كانوا يسيرون مع النبي ﷺ، فنام رجل منهم، فانطلق بعضهم إلى حبل معه فأخذه، ففزع.

فقال رسول الله ﷺ: «**لا يحل لمسلم أن يروِّعَ مسلماً**»(٢).

قلت: نفي الحِل هنا غاية في الزجر عن الترويع والفزع، ودعوة لرفع الرَّوعِ والخوف عن الناس، فلا ينبغي للمسلم أن يفزع أو يروِّع مسلماً ولو بأخذ أبسط الأشياء عنه كالحبل مثلاً، فكيف بالتفجير، والإرهاب، وسلب حياته منه، أو أطرافه أو ماله أو بيته أو عياله؟!

الأمنُ في المجتمع نعمةٌ عظيمةٌ تُطلبُ من الله وحده، ومن رحمة الله بعبادهِ أن جعلَ للأمنِ أسباباً من جاء بها تحصلَ على الأمن، وجعل أيضاً أسباباً لذهاب الأمن فمن فعلها حُرِمَ نعمة الأمن.

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٩٩).

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٥٠٠٤)، وأحمد (٥/ ٣٦٢)، والبزار «كشف الأستار» (١٥٢١)، والطبراني في «لأوسط» (١٦٧٣)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٠٥)].

وها أنا أضعُ أمام المسلمين في كـل مكـانٍ حكامـاً ومحكـومين أسـبابَ الأمن ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حي عن بينة.

السبب الأول: الإيمانُ الصادقُ والعملُ الصالحُ، والابتعادُ عن كلِّ مظاهر الشرك والمعاصي:

الإيمان الصادق والعملُ الصالحُ من أهـم الأسبابِ التـي يحـصلُ بهـا الأمنُ والأمانُ في بلاد المسلمين.

والشركُ والمعاصي سببٌ من أسبابِ غيـاب الأمـن في كثـيرٍ مـن بـلاد المسلمين.

قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور].

وقال تعالى: ﴿فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام].

وقـــال تعـــالى: ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنعام].

وإذا انتفى الخوف والحزن بسبب الإيمان حصل الأمنُ والأمان.

فالإيمانُ والأمنُ مترابطان إذا وُجِدَ هذا وجد ذاك، كما أن السلامة مرتبطةٌ بالإسلام، يظهرُ ذلك من قوله ﷺ إذا رأى الهلالَ: «**اللهم أهِلهُ علينا باليمن والإيمان والسلامة والإسلام ربي وربك الله**»(١) .

فالأمن لَزيم الإيمان وقرينه، والسلامة لزيمة الإسلام وقرينته، فمن طلب الأمن والسلامة فعليه بالإيمان والإسلام، ولهذا يربي الإيمان أهله على ما يحقق أمنهم.

قال ﷺ: «**المسلم من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمِنه الناس على دمائهم وأموالهم**»(٢) .

فمن هذا الحديث نعلمُ أن تحقيق أهل الإيمان وأهل الإسلام للإيمان والإسلام -على صورته الصحيحة بقواعده وضوابطه الشرعية- هو الذي يحقق لهم الأمن، وهو الذي يجلب لهم السلامة.

السبب الثاني: تطبيقُ الحدود التي فيها ردعُ المقتدي، وكفُّ الظالم كما جاءت في الشريعة الإسلامية.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة:٦٦].

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٤٥١)، وأحمد (١/ ١٦٢)، والحاكم (٤/ ٣١٧)، والدارمي (١٧٣٠)، [«الصحيحة» (١٨١٦)].

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٦٢٧)، والنسائي (٤٩٩٥)، وأحمد (٢/ ٣٧٩)، وابن حبان (١٨٠)، والحاكم (١/ ٥٤)، [«صحيح الجامع» (٦٧١٠)].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى ﴾ إلى قوله: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩) ﴾ [البقرة].

الأمنُ والأمانُ والحياةُ السعيدةُ والبركةُ في ظل شريعة الإسلام فالإسلام دينُ الأمن والأمان، جاء لحفظ الدين والنفس والمال والعقل والعرض، وهي الضرورات الخمس التي جاءت الأديان تحفظها وفي مقدمتها الإسلام.

فحفاظاً على الدين شرع الله حدّ الردة، فقال ﷺ: «**من بدل دينه فاقتلوه**»(١).

وحفاظاً على النفس شرع الله حدّ القتل، ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾ [المائدة:٤٥].

وحفاظاً على المال شرع الله حدَّ السرقة، قال تعالى: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٣٨) ﴾ [المائدة].

وحفاظاً على العقل شرع الله حدَّ الخمر، فقال ﷺ: «**من شرب الخمر فاجلدوه، فإن عاد الثانية فاجلدوه، فإن عاد الثالثة فاجلدوه، فإن عاد الرابعة فاقتلوه**»(٢).

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٩٢٢).

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٤٨٤)، والترمذي (١٤٤٤)، والنسائي (٥٦٦١)، وأحمد (٢/ ٢١٤)، وابن حبان (٤٤٢٨)، والحاكم (٤/ ٤١٢)، [«صحيح الجامع» (٦٣٠٩)].

وحفاظاً على العرض شرع الله حدَّ الزنى، قال تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٖ﴾ [النور:٢].

والزاني المحصن يرجم حتى الموت.

ففي ظلِّ شريعة الله يكونُ الأمنُ والأمان في البلاد، وإذا لم تطبق حدود الله غاب الأمنُ والأمانُ عن المجتمعات.

السبب الثالث: إعطاءُ الحقوقِ لأصحابها:

إذا أعطى الناسُ حق الله عليهم بأن عبدوهُ وحده لا شريك له، وأطاعوا رسوله ﷺ، وأعطى كل واحدٍ منهم حق الآخر ساد الأمن والأمانُ في المجتمع.

ومن أعظم الحقوق التي توفر الأمن والأمان في المجتمع حق الراعي والرعية، فما من رعيةٍ إلا ولا بدَّ أن يكون لها راعٍ، وقد جعل الشرعُ للرعية حقوقاً على الراعي، وجعل للراعي حقوقاً على رعيته، فإذا أدى كلٌّ من الرعية والراعي هذه الحقوق ساد الأمنُ في البلاد.

أولاً: حقوقُ الرعية على الراعي:

من حق الرعية على الراعي:

١ - أن يحكمهم بالعدل والحق ولا يظلمهم ويكون ذلك في ظلِّ شريعة الله استجابة لقوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾

[المائدة:٤٩]، ولقوله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ﴾ [ص:٢٦].

٢- أن ينصح لهم دائماً ولا يغشهم، قال ﷺ: «**ما من أميرٍ يلي أمور المسلمين ثم لا يجهدُ لهم وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة**»(١).

وقال ﷺ: «**ما من عبدٍ يسترعيه الله رعيةً، يموتُ يومَ يموتُ وهو غاشٌّ لرعيته إلا حرَّم الله عليه الجنة**»(٢).

٣- أن يرفقَ بهم ولا يَشُقَّ عليهم، قال ﷺ: «**اللهم! مَن ولي من أمر أمتي شيئاً فشقَّ عليهم، فاشقُق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم، فارفق به**»(٣).

٤- أن يتخذ بطانةً صالحةً تأمرهُ بالمعروف، وتصدقه الأخبارَ على رعيته، قال ﷺ: «**ما بعثَ الله من نبيٍّ، ولا استخلفَ من خليفةٍ، إلا كانت له بطانتان: بطانةٌ تأمُرُهُ بالمعروف وتحضُّه عليه، وبطانةٌ تأمره بالشرِّ وتحضُّه عليه، فالمعصوم من عصم الله تعالى**»(٤).

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٤٢).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧١٥٠)، ومسلم (١٤٢) واللفظ له.

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٨٢٨).

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧١٩٨).

فعلى الراعي أن يؤدي هذه الحقوق لرعيته لثلاثة أمور:

الأمر الأول: لأن الله سائله يوم القيامة عن رعيته قال ﷺ: «**كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته...**»(١).

الأمر الثاني: ليسود الأمنُ والأمان في رعيته.

الأمر الثالث: ليغلق الأبوابَ التي يدخلُ منها الخوارجُ والتكفيريون: والحزبيون فيُألبون الرعية على الراعي، ويدفعونهم ظلماً وبهتاناً للخروج عليه ونزع يد الطاعة له، وهذا ما يقع في كثيرٍ من بلاد المسلمين اليوم، ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة].

ثانياً: حقوق الراعي على رعيته:

١- أن يسمعوا له ويطيعوا ما لم يأمرهم بمعصية الله، استجابةً لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء:٥٩].

ولقوله ﷺ: «**على المرءِ المسلم السَّمعُ والطاعةُ، فيما أحبّ وكره، إلا أن يُؤمر بمعصية، فإن أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**»(٢).

وقال ﷺ: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يُطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني**»(٣).

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩) واللفظ له.

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٩٥٧)، ومسلم (١٨٣٥).

٢- أن لا ينزعوا يداً من طاعةٍ، ولا يخرجوا عليه استجابة لقولـه ﷺ: «**من خلع يداً من طاعة**[١]**، لقي الله يوم القيامـة، ولا حجـة لـه، ومـن مـات وليس في عنقه بيعة، مات ميتةً جاهلية**»[٢].

أي: لا يجوزُ للرعية أن تسمع للراعي إذا أمرهم بمعصية الله، ومع ذلك لا ينزعوا يداً من طاعته في المعروف، ولا يخرجوا عليه بالسيف ليسود الأمن والأمان.

ولقوله ﷺ: «**إنها ستكونُ بعدي أثرةٌ وأمورٌ تنكرونها**»!

قالوا: يا رسول الله! كيف تأمُرُ من أدرك منا ذلك؟

قال: «**تؤدُّون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم**»[٣].

وسأل رجلٌ رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله! أرأيت إن قامت علينا أُمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا، فما تأمرنا؟ فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم سأله في الثانية أو في الثالثة فجذبه الأشعث بن قيس، وقال -رسول الله ﷺ-: «**اسمعوا وأطيعوا؛ فإنما عليهم ما حُمِّلوا وعليكم ما حُمِّلتم**»[٤].

(١) (من خلع يداً من طاعة) أي: خرج عنها بالخروج على الإمام وعدم الانقياد له في غير معصية.

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٨٥١).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٦٠٣)، ومسلم (١٨٤٣) واللفظ له.

(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٨٤٦).

وقال ﷺ: «**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم** -أي: تدعون لهم- **ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم**».

قالوا: قلنا: يا رسول الله! أفلا ننابذهم عند ذلك؟ -أي بالسيف-.

قال: «**لا ما أقاموا فيكم الصلاة، لا ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئاً من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يداً من طاعة**»(١).

ولما ذكر النبي ﷺ لحذيفة عن الأئمة الذين لا يهتدون بهديه ولا يستنون بسنته: قال حذيفة: كيف أصنع يا رسول الله! إن أدركت ذلك؟

قال ﷺ: «**تسمعُ وتُطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك، فاسمع وأطع**»(٢).

٣- النصيحة له سراً، ولا يذيعوا عيوبه في مجالسهم وعلى المنابر وفي وسائل الإعلام.

استجابة لقوله ﷺ: «**الدين النصيحة**» قلنا: لمن؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأَئمة المسلمين وعامتهم**»(٣).

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٨٥٥).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٨٤٧).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٥٥).

ولقوله ﷺ: «**من أراد أن ينصح لذي سلطان، فلا يبده علانية، ولكن يأخذ بيده فيخلو به، فإن قبل منه فذاك، وإلا كان قد أدّى الذي عليه**»(١).

السبب الرابع: الصبر وعدم الاستعجال والرجوعُ في الفتن والنوازل لأهل العلم:

استجابة لقوله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ﴾ [الأحقاف:٣٥].

لقوله ﷺ لخباب بن الأرت: «**والله لَيُتِمَّنّ هذا الأمر، حتى يسير الراكبُ من صنعاء إلى حضرموت، لا يخافُ إلا الله، والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون**»(٢).

وإذا نزلت الفتن فيجبُ على الناس أن يرجعوا إلى أهلِ العلم قبل إذاعتها، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣﴾ [النساء].

وعن الزبير بن عدي قال: أتينا أنس بن مالك رضي الله عنه فشكونا إليه ما نلقى من الحجاج.

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٩٦)، وأحمد (٣/ ٤٠٣)، والحاكم (٣/ ٣٢٩)، والبيهقي في «السنن» (٨/ ١٦٤)، [«ظلال الجنة» (٤٧٧)].

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٦١٢).

فقال: (اصبروا، فإنه لا يأتي زمانٌ إلا والذي بعدَهُ شرٌّ منه، حتى تلقوا ربكم سمعته من نبيكم ﷺ)(١).

قالوا لو وُضعَ ظلمُ الحجاج في كفة ووضع ظلمُ الأمة في كفةٍ لرجح ظلمُ الحجاج، ومع ذلك عندما اشتكى الناسُ ظلم الحجاج لأنس بن مالك رضي الله عنه أمرهم بالصبر ولم يأمرهم أن يحرقوا أنفسهم، ولم يأمرهم بالخروج إلى الشوارع في مظاهراتٍ يهتفون فيها بسقوط الحجاج، ويكسرون ويدمرون وينهبون ويقتلون رجال الأمن، ما هذه الفوضى التي تحدثُ في بلاد المسلمين يا أمة الإسلام؟! اللهم قد بلغت اللهم فاشهد.

الأمنُ نعمة عظيمةٌ لا يعرفُ قدرها الا من فقدها، والمحافظون على الأمن في بلاد المسلمين أجرهم عند الله عظيم، ولكن من هم المحافظون على الأمن في بلاد المسلمين؟

المحافظون على الأمن في بلاد المسلمين هم:

١- العلماءُ الربانيون، والدعاةُ المخلصون فهم يفقهون الناس في دينهم ويعرفونهم بحق الراعي عليهم فلا يخرجوا عليه، فيسود الأمن في البلاد.

٢- الحاكم الذي بيده أمرُ البلاد فهو يردعُ الظالم، ويأخذُ للمظلوم حقه ويردّ الحقوق إلى أصحابها.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٠٦٨).

٣- الرعية إذا عرفت ما لها وما عليها ساد الأمن في البلاد.

٤- رجالُ الأمن بجميع طبقاتهم يحافظون على الأمن، ويسهرون بالليل حفاظاً على الأرواح والأموالِ والأعراض وغيرها.

هؤلاء جميعاً يبشرهم ربهم في كتابه، ورسولهم ﷺ في سنته بما يلي:

أولاً: بظلِّ عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله:

قال ﷺ: «**سبعةٌ يظلهمُ الله في ظله، يوم لا ظِلَّ إلا ظلُّه: إمامٌ عدلٌ، وشابٌّ نشأ في عبادة الله، ورجلٌ قلبه معلَّقٌ في المساجد، ورجلانِ تحابا في الله اجتمعا عليه، وتفرَّقا عليه، ورجلٌ دعته امرأةٌ ذاتُ منصبٍ وجمالٍ، فقال: إني أخاف الله، ورجلٌ تصدّق بصدقة، فأخفاها حتى لا تعلم شِمالُه ما تنفق يمينه، ورجلٌ ذكر الله خالياً، ففاضت عيناه**»(١).

ثانياً: بمحبة الله:

قال تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ٩﴾ [الحُجُرات].

وقال ﷺ: «**إن المقسطين، عند الله، على منابر من نورٍ؛ عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا**»(٢).

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٨٢٧).

فالعدل سببٌ لكل خير، والظلمُ سببٌ لكل شر، فالحاكم العادل يحبه شعبه وهذا من أهم أسباب الأمن والأمان.

ثالثاً: بالنجاة من النار:

المحافظون على الأمن في بلاد المسلمين من رجال الأمن وغيرهم إذا أرادوا بعملهم وجه الله -عز وجل- نجوا يوم القيامة من عذاب النار إذا ماتوا على التوحيد.

قال ﷺ: «**عينان لا تمسُّها النار أبداً: عينٌ بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله**»[1].

وقال ﷺ: «**ما اغبَرّت قدما عبدٍ في سبيل الله فتمسه النار**»[2].

رابعاً: يبشرهم بالجنة:

قال ﷺ في غزوة الأحزاب لأصحابه: «**من يأتنا بخبر القوم** -أي: العدو- **اشترط له الرجعة، وأضمن له الجنة**»[3].

وقال ﷺ: «**أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق مُوفَّق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال**»[4].

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (١٦٣٩)، وأبو يعلى (٤٣٤٦)، والبيهقي في «الشعب» (٧٩٦)، والقضاعي (٣٢١)، والضياء في «المختارة» (٢١٩٨)، [«صحيح الجامع» (٤١١٣)].

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٨١١).

(٣) **صحيح**: أخرج أحمد في «المسند» (٥/ ٣٩٢،٣٩٣)، [«الموسوعة الحديثية»].

(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٨٦٥).

ثالثاً: معرفة حكم المظاهرات في الإسلام:

وتكون النجاة من الفتن بمعرفة المسلم لحكم المظاهرات في الإسلام التي ابتليت بها بلاد المسلمين اليوم.

قال الشيخ عبد المالك رمضاني -حفظه الله- في كتابه «حكم المظاهرات»:

[إن أهل العلم يحسون بالحالة المتردية التي تعيشها كثير من البلدان المسلمة، ولا أقول كما يقول النظر الحركي القاصر: مما تعانيه من فساد في جانب النساء والمال، فهذا أكثر المنكرات التي يبصرها الحركيون، ولكن أقول: مما تعانيه من تشجيع للطقوس الشركية والقُربِ البدعية والجنايات الخُلقية، ومن الحرمان من أداء الحقوق وضياع كثير من العدل، وإن أكباد المخلصين تتفطَّرُ لذلك وتود لو تعود العهود الزاهرة للمسلمين، مذكِّرين بسيرة الخلفاء الراشدين الذين تركوا في ذاكرة التاريخ نماذج لا تنسى من العدل والعز ورشد السياسة، مؤكدين على أن الله قد وعد ووعده لا يُخلف فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف]، وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [المائدة]، وما وعد الله به أهل الكتاب

قبلنا هو وعدٌ لنا لمن كان جاداً في الإصلاح صادقاً في التسليم لكلام الله، رافضاً لسنن التخاذل، مؤمِّلاً الخير بتفاؤل، وذلك في الحاكم والمحكوم، أن يأخذ كل منهم بيد الآخر مؤتمين بالكتاب العظيم وسنة المعصوم، موقنين بأنه لا شيء من سنن التغيير ينفعهم إلا ما دلّت عليه شريعتنا التي جمعت فأوعت، رافضين كل فلسفة تخالفها ولو تزخرفت.

وعلى الرغم من وضوح طريق الأنبياء فقد لجأ بعضُ المنتسبين إلى الدعوة فيما وصفوا به حكامهم من الفساد إلى مواجهتهم عن طريق المظاهرات المخترعة في هذا الزمن؛ وهم عادة يسلكونها لأنهم لا يملكون الشجاعة الأدبية لمخاطبة المسئولين وجهاً لوجه، فمنهم من يخاف بطش الدولة به لو واجهها على انفراد وفي سترٍ كما هو المأمولُ في الناصحين بصدق، فبدلاً من أن ينصحوا لها في سرٍّ متحمِّلين في ذلك النتائج في سبيل الله مهما كانت، فإنهم يؤثرون الصِّياح من بعيد ويشركون معهم أعدادهم الهائلة ليحتموا بها أو يقتسمون معها الغُرم لو كان ثمَّ غرم، فأين هؤلاء من قول النبي ﷺ لما سُئل عن أفضل الجهاد: «**كلمة حق عند سلطان جائر**»(١).

ومنهم من يأمنون بطشهم لكنهم يخشون أن تخونهم الصراحة عند اللقاء، مع أنهم يُزجرون من بُعد زجرة الأسد الهصور، وقد عرفنا من هذا النوع ما لا يحصى مما زهدنا في تصديقهم ادعاء الجهاد والاهتمام بهموم

---

(١) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٤٠١٢)، وأحمد (٤/ ٣١٥)، والطبراني في «الكبير» (٨/ ٢٨٢)، والنسائي في «الكبرى» (٤/ ٤٣٥)، [«الصحيحة» (٤٩١)].

الأمة! إنّ الذي يقولها عندهم وحده لو حصل له ضررٌ فلن يتضرَّر إلا وحده، وأما الذي يقولها في جمع من المتظاهرين فإنّه يحمِّل الشعب كله تبعة جُبنه بالنّظر إلى ما يَصحب ذلك من إثارةٍ وتربيةٍ للناس على التمرد وخلخلة الأمن وتهييج الدولة إلى غير ذلك.

وقد أنكر العلماء المحققون المظاهرات بثلاثة حقوق:

الحق الأول: حق النبي ﷺ في الطّاعة؛ فإنّ الأمر الذي من أجله يقوم المتظاهرون هو طلب حقوقهم الشرعية التي يرون أن السلطان قصَّر في أدائها لهم، فلو تكلم النبي ﷺ عن هذه الحالة لكان له حق الطاعة في ذلك كما له حق الطاعة في كل ما أمر به ونهى عنه، ولو لم يتكلم عنها اجتهد العلماء لإعطائها الحكم المناسب لها، وبعض المفتونين بالمظاهرات يحرصون على تخريجها مخرج المصالح المرسلة وأنّها من النوازل، لكن الذي يمنع من إدراجها تحت المصالح المرسلة هو أنه صحَّ أن النبي ﷺ أخبر عن فتنة السلاطين التي قام بسببها المتظاهرون وأعطى أمته المخرج منها، فقد تواتر عنه ﷺ أنه أنذر أمته وجود أمراء بعد زمنه يمنعون شعوبهم حقوقهم، فأمر فيها بأمرين هما الدعاء والصبر، أما الدعاء فثبت عن عبد الله بن مسعود أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنها ستكون بعدي أَثَرة وأمور تُنكرونها**»، قالوا: يا رسول الله! كيف تأمر من أدرك منا ذلك؟ «**قال: تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم**»[1].

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٦٠٣)، ومسلم (١٨٤٣) واللفظ له.

فقد أخبر ﷺ أن هؤلاء الحكام يستأثرون بحقوق الرعية ولا يؤدونها لهم، فأمر مع ذلك الرعية بأداء حقوق السلطان له وطلب حقها من الله، فما محل المظاهرات من هذا الحديث الواضح؟! فهل نسيها ﷺ حتى يَستدرك عليه بها مُستدرك، أو غفل عنها حتى يفطن لها كفرة الغرب ويقلدهم فيها المستغربون من هذه الأمة؟! قال ابن تيمية في «منهاج السنة» (٣/ ٣٧٢): «فقد أخبر النبي ﷺ أن الأمراء يظلمون ويفعلون أموراً منكرة، ومع هذا فأمرنا أن نؤتيهم الحق الذي لهم ونسأل الله الحق الذي لنا، ولم يأذن في أخذ الحق بالقتال ولم يرخص في ترك الحق الذي لهم»، وقال النووي في «شرح مسلم» (١٢/ ٢٣٢): «هذا من معجزات النبوة، وقد وقع هذا الإخبار متكرراً ووجد مَخبَرُه متكرراً، وفيه الحث على السمع والطاعة وإن كان المتولي ظالماً عسوفاً فيعطى حقه من الطاعة ولا يُخرج عليه ولا يُخلع، بل يُتضرَّع إلى الله تعالى في كشف أذاه ودفع شره وإصلاحه»، وروى مسلم (٤٧٨٢) عن وائل الحضرمي قال: «سأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله! أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا، فما تأمرنا؟ فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم سأله في الثانية أو في الثالثة فجذبه الأشعثُ بن قيس، وقال: **اسمعوا وأطيعوا؛ فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم**»[1]، قال النووي في «شرح صحيح مسلم»

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٨٤٦).

(١٢/ ٢٢٥): «أي اسمعوا وأطيعوا وإن اختص الأمراء بالدنيا ولم يوصلوكم حقكم مما عندهم، وهذه الأحاديث في الحث على السمع والطاعة في جميع الأحوال، وسببها اجتماع كلمة المسلمين؛ فإن الخلاف سببٌ لفساد أحوالهم في دينهم ودنياهم».

وأما الأمر بالصبر فلكي لا يقول عَجِلٌ: إلى متى نصبر على أثرة هؤلاء الجَوَرة؟! فعن أسيد بن حُضيرٍ رضي الله عنه: أن رجلاً من الأنصار قال: يا رسول الله! ألا تستعملني كما استعملت فلاناً؟ قال: «**ستلقون بعدي أَثَرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض**»(١)، قال ابن حجر في «الفتح» (٨/ ٥٢): -أي: يوم القيامة-، وفي رواية الزهري(٢): «**حتى تلقوا الله ورسوله، فإني على الحوض**»، أي: اصبروا حتى تموتوا؛ فإنكم ستجدونني عند الحوض فيحصل لكم الانتصاف ممن ظلمكم والثواب الجزيل على الصبر.

هذا الداء والدواء في حديث واحد، فهل يحل لطبيب أن يدخل بين النبي صلى الله عليه وسلم وأمته بشيء زائد؟! وكل مؤمن يعلم أن هذا الدواء قرره من قال الله فيه: ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤** ﴾ [النجم]؟!

فبأي حق يطاع الغرب الكافر في اختراعه المظاهرات لخلع الحكام، ويُعصى الرسول صلى الله عليه وسلم الرؤوف الرحيم بأمته الناصح لهم بتمام نصح

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٧٩٢)، ومسلم (١٨٤٥).
(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٤٤١) عن أنس رضي الله عنه.

وإحكام؟! ومن العجائب أن بعض المتظاهرين قالوا: إنهم قاموا بسبب أن حكامهم لا يحكمون بما جاءهم به الرسول ﷺ، وها هم أنفسهم لا يحكمون بما جاءهم به الرسول ﷺ في مسألة ظلم الحكام!! فأين المتجردون للدليل الصادقون في تحاكمهم إليه؟! قال الله -عز وجل-: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء].

وأين هي دعوى محبتهم الرسول ﷺ وقد قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران]؟! أيكون النظام الديمقراطي أهدى إلى استرجاع الحقوق من هدي رسول الله ﷺ والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ۚ﴾ [النور:٥٤]؟! أيكون النظام الديمقراطي أرحم بمهضومي الحقوق وأرأف والله يقول: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة]؟!

وأين هم مما رواه مسلم (٤٨١٣) من حديث حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس**، قال، قلت: كيف أصنع يا رسول الله! إن أدركت ذلك؟ قال: **تسمع وتطيع للأمير، وإن ضُرب**

ظهرك وأُخذ مالك، فاسمع وأطع»[(١)]؟! ونحن قد أدركنا هذا الذي أخبر به النبي ﷺ في كثير من البلاد، فلماذا لا تسعنا وصيته هذه ﷺ لحذيفة رضي الله عنه ولسائر الأمة؟! وقد أمر ﷺ بالسمع والطاعة كما أمر بالصبر ولم يأمر بالمظاهرات، فهل الكفار أهدى منه سبيلاً؟! وهل هم بالحق أقوم قيلا؟!

الحق الثاني: حق السلطان المسلم في طاعته في المعروف وترك جميع أسباب الخروج عليه؛ فإن المُتجمِّعين ضده قصدهم منازعته في منصبه وإحلال غيره محله، وقد حرم النبي ﷺ منازعة السلطان في إمارته ما دام مسلماً؛ قال عبادة بن الصامت: «**دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه، فكان فيما أخذ علينا، أن بايعنا على السمع والطاعة، في منشطنا ومكرهنا، وعُسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله**، قال: **إلا أن تروا كفراً بواحاً، عندكم من الله فيه برهان**»[(٢)].

فإن أخذ السلطان أموال رعيته بغير حق ظلم عظيم ولكنه لا تسقط به حقوقه من السمع والطاعة له في المعروف وترك منازعته، هذا هو حكم رسول الله ﷺ وسياسته الحكيمة، التي لا يرضى بها أصحابُ المظاهرات القائلون: الحاكم الذي لا يؤدي إلينا حقوقنا المادية ننازعه الحكم!! فأين ذهبت عقول المسلمين مع هذه الأدلة الصريحة؟! قال ابن تيمية رحمه الله في

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٨٤٧).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٠٥٥، ٧٠٥٦)، ومسلم (١٧٠٩) واللفظ له.

«منهاج السنة» (٣/ ٣٩٥): «فهذا أمرٌ بالطاعة مع استئثار ولي الأمر وذلك ظلم منه، ونهى عن منازعة الأمر أهله، وذلك نهي عن الخروج عليه؛ لأنّ أهله هم أولو الأمر الذين أمر بطاعتهم وهم الذين لهم سلطان يأمرون به، وليس المراد من يستحق أن يُوَلَّى ولا سلطان له، ولا المتولي العادل؛ لأنه قد ذكر أنهم يستأثرون، فدل على أنه نهى عن منازعة ولي الأمر وإن كان مستأثراً»، وفي هذا رد منه رحمه الله على من أراد أن يعطل العمل بالحديث زاعماً أن النهي عن المنازعة خاص بمن كان أهلاً لأن يُوَلَّى من أهل العدل، فليُتأمل، بل في رواية للحديث السابق عند أحمد (٢٢٧٣٥) بسند صحيح أن النبي ﷺ قال: «**ولا تنازع الأمر أهله وإن رأيت أن لك**»[(١)]، قال ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٨): «أي: وإن اعتقدت أن لك في الأمر حقاً فلا تعمل بذلك الظن، بل اسمع وأطع إلى أن يصل إليك بغير خروج عن الطاعة»، وفي هذا قطعٌ للطريق على جميع الأحزاب المنازعة للحكام؛ لأنها كلها ترى نفسها أحق بالأمر من غيرها.

وروى نُعيم بن حماد في «الفتن» (٣٨٩) وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٥٥٥٨)، والآجري في «الشريعة» (٧٠) بإسناد صحيح عن سويد بن غفلة قال: قال لي عمر بن الخطاب: «لعلك أن تخلَّف بعدي، فأطع الإمام

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٥/ ٣٢١)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٢٢٦)، [«الموسوعة الحديثية»].

وإن كان عبداً حبشياً، وإن ضربك فاصبر، وإن حرمك فاصبر، وإن دعـاك إلى أمر منقصة في دنياك فقل: سمعاً وطاعةً؛ دمي دون ديني»، قال الآجـري عقبه: «إن حرمك حقاً لك أو ضربك ظلماً لك أو انتهك عرضاً لك أو أخذ مالك، فلا يحملك ذلك على أن تخرج عليه بسيفك حتى تقاتلـه، ولا تخـرج مع خارجي يقاتله، ولا تحرض غيرك على الخروج، ولكن اصبر عليه».

ومعنى قوله: «أو انتهك عرضك»، بشتمك وما إليـه، ففـي «النهايـة في غريب الأثر» لابن الأثير مادة (عرض): «العِرضُ، موضع المدح والذمِّ مـن الإنسان سواء كان في نفسه أو في سلفه أو من يلزمه أمره، وقيل: هو جانبـه الذي يصونه من نفسه وحسبه، ويحامي عنه أن ينتقص ويُثلـب، وقـال ابـن قتيبة: عِرضُ الرجل نفسه وبدنه لا غير».

إنهم يريدون ألا تستقر أوضاعهم كما قـال ابـن عمـر رضي الله عنه لرجـل أراد منه أن يعيب الخليفة: «ولكن هو هذا المـال، فـإن أعطـاكموه رضـيتم، وإن أعطاه أولي قرابتـه سـخطتم، إنـما تريـدون أن تكونـوا كفـارس والـروم لا يتركون لهم أميراً إلّا قتلوه، قال: ففاضت عيناه بأربع من الـدمع، ثـم قـال: اللهم لا نريد ذلك»[1].

ومن الخطأ الواضح تخريج المسألة مخرج المصالح المرسلة؛ لأن أول شرطها ألّا تخالف نصاً، والنصوص السابقة -وما تركته كثير- ترد هذه

(١) **إسناده صحيح**: أخرجه الآجري في «الشريعة» (١٤٥٣)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٣١٥٥)، وابن عساكر في «تاريخه» (٣٩/ ١٥٩)، وفي «السنة» للخلال (٥٤٩).

الدعوى، مع أن مقومات المظاهرات كانت متوفرة منذ العهد النبويِّ المكي، أقصد البشر الذين يتجمعون، والأصوات التي بها يصرخون، والأرجل التي بها يمشون، والظلم كان ينطح بقرنين، ويمشي قائماً على قدمين، يدعمه كبراء قريش، حتى منعوا خيرة أهل الأرض آنذاك الرسول ﷺ وأصحابه الكرام من الطعام والشراب والزواج، حتى أن أحدهم كان يفرح بجلد بعير جاف يجده فيكون طعامه ثلاثة أيام!! وقد مكثوا على مثل هذا ثلاث سنين بشعب أبي طالب لا يفزعون إلى مظاهرة ولا يتترسون بديمقراطية، فعدم اتخاذ الرسول ﷺ هذه الوسيلة ذات المقومات المتوفرة في وقته، ألا يدل دلالة واضحة على عدم مشروعية المظاهرات؟! وأنه يجب على المسلم المحب له ﷺ أن يتَّبعه ويقول: قد اختار لي الرسول الناصح ﷺ السمع والطاعة والصبر، فلن استدرك عليه؛ لأن الله يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب].

فإذا اختار الرسول ﷺ لأمته المظلومة شيئاً أيحل لأحدٍ يدعي محبته أن يختار غير ما اختار أو يستدرك عليه في هذا الاختيار؟! ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج]! قال ابن تيمية رحمه الله كما في «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٦٢): «فعلى كل مؤمن أن لا يتكلم في شيء من الدين إلا تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ ولا يتقدم بين يديه، بل ينظر ما قال فيكون قوله تبعاً لقوله وعمله تبعاً لأمره، فهكذا كان الصحابة ومن

سلك سبيلهم من التابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين، فلهذا لم يكن أحدٌ منهم يعارض النصوص بمعقوله ولا يؤسس ديناً غير ما جاء به الرسول، وإذا أراد معرفة شيء من الدين والكلام فيه نظر فيما قاله الله والرسول، فمنه يتعلم، وبه يتكلم، وفيه ينظر ويتفكر، وبه يستدل، فهذا أصل أهل السنة، وأهل البدع لا يجعلون اعتمادهم في الباطن ونفس الأمر على ما تلقوه عن الرسول، بل على ما رأوه أو ذاقوه، ثم إن وجدوا السنة توافقه وإلّا لم يبالوا بذلك، فإذا وجدوها تخالفه أعرضوا عنها تفويضاً أو حرفوها تأويلاً، فهذا هو الفرقان بين أهل الإيمان والسنة وأهل النفاق والبدعة».

الحق الثالث: حق الرعية في أن يحافظ على أمنها وما يتبعه من دم ومالٍ وعرض؛ لأنّ المظاهرات تخلخل أمن البلاد وتجعلها تحت سوم المتربصين بها، وتحيي نعرة الخلاف لدى جميع الأطراف المخالفين، فالرعية هي الجماعة التي تحت حكم سلطانها، ولذلك كثيراً ما يقترن ذكرها بذكر السلطان، كما في حديث حذيفة رضي الله عنه المشهور في الصحيحين قال رسول الله ﷺ: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**»[1]، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه في صحيح مسلم قال رسول الله ﷺ: «**من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات مات ميتة جاهلية**»[2]، وكما في حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه عند البخاري في «الأدب المفرد» (٥٩٠) وابن حبان (٤٥٥٩) وصححه الألباني في «السلسلة

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٨٤٨).

الصحيحة» (٥٤٢) قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا تسأل عنهم: رجلٌ فارق الجماعة وعصى إمامه ومات عاصياً..**»[1] الحديث، قال أبو العباس القرطبي في «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٤/ ٥٧): «يعني متى اجتمع المسلمون على إمام» وقال ابن جرير الطبري: «والصواب أن المراد من الخبر لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره، فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة» نقلاً عن «فتح الباري» لابن حجر (١٣/ ٣٧).

ومن عجيب أمر المظاهرات أنها تخلق في الشعب الواحد طوائف كانت مغمورة فتعطيها الحياة على حساب قتل وحدته! وأعجب منه أمر الديمقراطية التي كان أصحابها يزعمون أنهم يحمون حق الأكثرية، بغضِّ النظر عن كونها راشدة أو غوية، فإذا بهم الآن يحمون الأقليات ويدفعونها إلى المظاهرات، ثم ينفذون مطالبها؛ فإن جميع المتظاهرين اليوم على اختلافهم في البلدان لم يبلغوا عشر عدد السكان المؤهلين قانونياً!! فبأي منطق يتكلمون لولا أنه لونٌ جديد من ألوان الاستدمار السياسي الاقتصادي؟! والأمر لله![2].

(١) **صحيح**: وكذلك أخرجه أحمد (٦/ ١٩)، والحاكم (١/ ٢٠٦)، والبيهقي في «الشعب» (٧٧٩٧)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٩٠٠).

(٢) «حكم المظاهرات» (ص٨-٢١).

فتاوى العلماء في حكم المظاهرات:

وقال الشيخ عبد المالك رمضاني -حفظه الله- في كتابه «حكم المظاهرات»:

وأُذيِّل هذا المقال بنقل فتاوى جماعةٍ من علمائنا في حرمة المظاهرات ليقارَن بينها وبين كلام الحركيين والحماسيين العاطفيين في هذه المسألة التي تذرع الحركيون الثوريون بها للتهييج على الولاة وإشاعة الفوضى مستغلين عاطفة عامة الناس:

قال الشيخ عبد العزيز بن باز: «فالأسلوب الحسن من أعظم الوسائل لقبول الحق، والأسلوبُ السيئ العنيف من أخطر الوسائل في رد الحق وعدم قبوله، أو إثارة القلاقل والظلم والعدوان والمضاربات، ويُلحق بهذا الباب ما يفعله بعض الناس من المظاهرات التي تسبب شراً عظيماً على الدعاة، فالمسيرات في الشوارع والهتافات ليست هي الطريق للإصلاح والدعوة، فالطريق الصحيح بالزيارة والمكاتبات بالتي هي أحسن فتنصح الرئيس والأمير وشيخ القبيلة بهذه الطريقة، لا بالعنف والمظاهرة، فالنبي ﷺ مكث في مكة ثلاث عشرة سنة لم يستعمل المظاهرات ولا المسيرات، ولم يهدد الناس بتخريب أموالهم واغتيالهم، ولا شك أن هذا الأسلوب يضر بالدعوة والدعاة، ويمنع انتشارها، ويحمل الرؤساء والكبار على معاداتها ومضادتها بكل ممكن، فهم يريدون الخير بهذا الأسلوب، ولكن

يحصل به ضده، فكون الداعي إلى الله يسلك مسلك الرسل وأتباعهم -ولو طالت المدة- أولى به من عمل يضر بالدعوة ويضايقها أو يقضي عليها، ولا حول ولا قوة إلا بالله»(١).

وقال الشيخ الألباني في سلسلة الهدى والنور شريط رقم (٢١٠): «صحيح أن الوسائل إذا لم تكن مخالفة للشريعة، فالأصل فيها الإباحة، هذا لا إشكال فيه، لكن الوسائل إذا كانت عبارة عن تقليد لمناهج غير إسلامية، فمن هنا تصبح هذه الوسائل غير شرعية، فالخروج للتظاهرات أو المظاهرات وإعلان عدم الرضا أو الرضا وإعلان التأييد أو الرفض لبعض القرارت أو بعض القوانين، هذا نظام يلتقي مع الحكم الذي يقول: الحكم للشعب، من الشعب وإلى الشعب!! أمّا حينما يكون المجتمع إسلامياً فلا يحتاج الأمر إلى مظاهرات، وإنما يحتاج إلى إقامة الحجة على الحاكم الذي يخالف شريعة الله... أقول عن هذه المظاهرات: ليست وسيلة إسلامية تنبئ عن الرضا أو عدم الرضا من الشعوب المسلمة؛ لأن هناك وسائل أخرى باستطاعتهم أن يسلكوها..

وأخيراً: هل صحيح أن هذه المظاهرات تغير من نظام الحكم إذا كان القائمون مصرين على ذلك؟ لا ندري! كم وكم من مظاهرات قامت، وقتل فيها قتلى كثيرون جداً، ثم بقي الأمر على ما بقي عليه قبل المظاهرات،

---

(١) «مجلة البحوث الإسلامية» العدد (٣٨ ص٢١٠).

فلا نرى أن هذه الوسيلة تدخل في قاعدة: أن الأصل في الأشياء الإباحة، لأنها من تقاليد الغربيين».

وقال في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١٤/ ٧٤): «لا تزال بعض الجماعات الإسلامية تتظاهر بها، غافلين عن كونها من عادات الكفار وأساليبهم التي تتناسب مع زعمهم أن الحكم للشعب، وتتنافى مع قوله ﷺ: «خيرُ الهدى هُدى محمد ﷺ»[1].

وسئل الشيخ **محمد بن عثيمين**: هل تعتبر المظاهرات وسيلة من وسائل الدعوة الشرعية؟

فقال: «فإن المظاهرات أمرٌ حادثٌ، لم يكن معروفاً في عهد النبي ﷺ، ولا في عهد الخلفاء الراشدين، ولا عهد الصحابة رضي الله عنهم، ثم إن فيه من الفوضى والشغب ما يجعله أمراً ممنوعاً؛ حيث يحصل فيه تكسير الزجاج والأبواب وغيرها، ويحصل فيه أيضاً اختلاط الرجال بالنساء، والشباب بالشيوخ، وما أشبه ذلك من المفاسد والمنكرات، وأما مسألة الضغط على الحكومة فهي إن كانت مسلمة فيكفيها واعظاً كتاب الله وسنة رسوله ﷺ،

(١) قال رسول الله ﷺ: «**ليس منا من عمل بسنة غيرنا**» أخرجه الطبراني (١١/ ١٥٢) وغيره وحسنه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٥٤٩٣)، وهو على معنى قوله ﷺ المشهور: «من تشبه بقوم فهو منهم» أخرجه أحمد (٢/ ٥٠) وغيره وحسّنه الألباني في «الإرواء» (١٢٦٩)، وإنها لمن العجائب أن يقوم بعض الناس بالمظاهرات طلباً للحكم بالإسلام ومعارضاً للحكم بشرائع الكفار وهم يسلكون في ذلك طريقة الكفار!!

وهذا خير ما يعرض على المسلم، وإن كانت كافرة، فإنها لا تبالي بهؤلاء المتظاهرين وسوف تجاملهم ظاهراً وهي ما هي عليه من الشر في الباطن، لذلك نرى أن المظاهرات أمرٌ منكرٌ.

وأما قولهم: إن هذه المظاهرات سلمية، فهي قد تكون سلمية في أول الأمر، أو في أول مرة، ثم تكون تخريبية، وأنصح الشباب أن يتبعوا سبيل من سلف؛ فإن الله سبحانه وتعالى أثنى على المهاجرين والأنصار وأثنى على الذين اتبعوهم بإحسان»، انظر: «الجواب الأبهر» (ص٧٥).

وسئل الشيخ **صالح الفوزان**: هل من وسائل الدعوة القيام بالمظاهرات لحل مشاكل الأمة الإسلامية؟ فقال: ديننا ليس دين فوضى، ديننا دين انضباط، دين نظام ودين سكينة، المظاهرات ليست من أعمال المسلمين وما كان المسلمون يعرفونها، ودين الإسلام دين هدوء ودين رحمة لا فوضى فيه ولا تشويش ولا إثارة فتن، هذا هو دين الإسلام والحقوق يُتوصل إليها دون هذه الطريقة، بالمطالبة الشرعية والطرق الشرعية، هذه المظاهرات تحدث فتناً، وتُحدث سفك دماء، وتُحدث تخريب أموال، فلا تجوز هذه الأمور»(١).

وبعد معرفة حكم المظاهرات فلا تجوز ولو أذن بها النظام؛ لأنه محرمة، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، هذا ما كان يقرره شيخنا العلامة ابن عثيمين(٢).

---

(١) «من الإجابات المهمة في المشاكل الملمة لمحمد الحصين» (ص١٠٠).

(٢) http:/islamancient.com/blutooth/279.amr.

بل ولو كان الحاكم كافراً والدول كافرة لم تجز؛ لأنها وسيلة محرمة].

ثم قال -حفظه الله- في كتابه صفحة (٥٥):

إن العلماء قد تكلموا على هذه الوسيلة التي استحدثها النظام الديمقراطي المخالف للإسلام وبينوا فسادها، ومن هؤلاء شيخ الإسلام في وقته الشيخ **عبد العزيز بن باز** رحمه الله، فقد سئل في شعبان (١٤١٢هـ) بمدينة جدة من شريط سمعي وهو ضمن مجموع فتاوى لكثير من المشايخ معه بعنوان: «فتاوى العلماء في الاغتيالات والتفجيرات والعمليات الانتحارية والاعتصامات والقنوت»، تسجيل منهاج السنة بالرياض ودار ابن رجب بالمدينة، فكان السؤال الآتي:

هل المظاهرات الرِّجالية والنسائية ضد الحكام والولاة تعتبر وسيلةً من وسائل الدعوة؟ وهل من يموت فيها يعتبر شهيداً أو في سبيل الله؟

فأجاب رحمه الله قائلاً: «لا أرى المظاهرات النسائية والرجالية من العلاج، ولكن أنا أرى أنها من أسباب الفتن ومن أسباب الشرور، ومن أسباب ظلم بعض الناس، والتعدي على بعض الناس بغير حق، ولكن الأسباب الشرعية: المكاتبة والنصيحة والدعوة إلى الخير بالطرق الشرعية، شرحها أهل العلم، وشرحها أصحاب رسول الله ﷺ وأتباعه بإحسان: بالمكاتبة والمشافهة مع...[1] ومع الأمير ومع السلطان، والاتصال به،

(١) كلمة غير مفهومة.

ومناصحته والمكاتبة له، دون التشهير على المنابر بأنه فعل كذا، وصار منه كذا، والله المستعان».

ومن الفقهاء المبرِّزين في هذا العصر صاحبُ الفضيلة العلامة محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله، فقد قال في «لقاء الباب المفتوح» (١٧٩) في جواب يتعلق بالمظاهرات: «عليك باتباع السلف، إن كان هذا موجوداً عند السلف فهو خير، وإن لم يكن موجوداً فهو شر، ولا شك أن المظاهرات شر؛ لأنها تؤدي إلى الفوضى من المتظاهرين ومن غيرهم، وربما يحصل فيها اعتداء: إما على الأعراض، وإما على الأموال، وإما على الأبدان؛ لأن الناس في خضم هذه الفوضوية قد يكون الإنسان كالسكران ما يدري ما يقول ولا ما يفعل، فالمظاهرات كلها شر سواء أذن فيها الحاكم أو لم يأذن، وإذنُ بعض الحكام بها ما هي إلا دعاية، وإلّا لو رجعت إلى ما في قلبه لكان يكرهها أشد كراهة، لكن يتظاهر بأنه كما يقولون: ديمقراطي وأنه فتح باب الحرية للناس، وهذا ليس من طريقة السلف»، وسُئل عنها أيضاً في المحرم (١٤١٦هـ) فبين في الأول عدم مشروعيتها من جهة أنها خروج على ولي الأمر وأن من مات عليها مات ميتةً جاهلية؛ لأنه مات ناقضاً لبيعة إمامه، والرسول ﷺ قد قال: «**مَن رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه؛ فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات، إلّا مات ميتة جاهلية**»[1]، وذكر أن المأمون امتحن

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٠٥٤)، ومسلم (١٨٤٩).

العلماء وعذّبهم ليقولوا كلمة الكفر وهي: (أن القرآن مخلوق)، ومنهم الإمام أحمد رحمه الله، فلم يلجأ أحدٌ منهم إلى التأليب عليه ولا إلى المظاهرات ولا اعتصموا بالمساجد، بل كانوا يَنهون عن الخروج عليه، ثم ختم فتواه بقوله: «لا نؤيد المظاهرات أو الاعتصامات أو ما أشبه ذلك، لا نؤيدها إطلاقاً، ويمكن الإصلاح بدونها، لكن لا بد أن هناك أصابع خفية داخلية أو خارجية تحاول بث مثل هذه الأمور»(١).

وتأمل قوله: «لكن لابد أن هناك أصابع خفية داخلية أو خارجية..»؛ فإننا قد رأيناه وتيقّنّاه بعد ست عشرة سنة، حيث أصبحت المظاهرات في كثير من البلاد الإسلامية -وليس إلّا في البلاد الإسلامية مع الأسف الشديد!- هي سنة الشعوب التي يقال: إنها مظلومة، والأيدي الخفية قد أصبحت جلية، لا تسمع ببلدٍ مسلم قامت فيه هذه الفوضى إلا سارعوا لدعمها وحمايتها، وهذا من فراسة أهل العلم الأثريين، وأما الحركيون المغفلون فهم في سباتهم العميق، تُحركهم الأيدي الخفية وترمي بهم في مكان سحيق، تلعب بهم كما تشاء وهم يُطبِّلون لفتنتهم، وما حداهم لذلك إلّا حرصهم على المُلك وعشقهم الرئاسة، ولا يخوفهم قول رسول الله ﷺ: «**إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة، فنعم المرضعة وبئست الفاطمة**»(٢)، ولو كانوا على شيء من الاطّلاع على السنة في هذا

---

(١) جريدة «المسلمون» عدد (٥٤٠) ص(١٠) الجمعة (١١ المحرم ١٤١٦هـ).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧١٤٨).

الباب وفقهها، مع التسليم لها من غير اعتراض على صاحبها لعلموا أن هذا الزمان هو زمان العمل بقول النبي ﷺ: «**ستكون فتن، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، ومن يُشرف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأً أو معاذاً فليَعُذ به**»[1].

لا أن يهيجوهم نحو الفتن ثم إذا ذهبت البلاد من أيديهم كما ذهبت أفغانستان والعراق والصومال قنعوا بالبكاء على الأطلال، والنياحة على ما ضاع من الآمال!

ومن كبار العلماء الذين أيدوا القول بمنع المظاهرات الشيخ **صالح بن غصون** رحمه الله كما في كتاب «الفتاوى الشرعية في القضايا العصرية» جمع وإعداد الشيخ محمد بن فهد الحصين (ص١٨٤)، والشيخ عبد العزيز الراجحي (ص١٨٧) ومع معالي الشيخ صالح آل الشيخ وزير الشؤون الإسلامية، ثم بعد ما هَيَّئتُ هذه الرسالة للطبع كتب عالم المدينة شيخنا الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد البدر مقالاً قوياً نشر في (٢٢/ ٤/ ١٤٣٢هـ) بعنوان: «تنبيهات على مقال حول إباحة المظاهرات السلمية» رد فيه على كلمة لأحد مجوزي المظاهرات بعنوان: «نظراتٌ شرعية في وسائل التعبير العصرية»، وأنبِّه أيضاً إلى أنه صدر لهيئة كبار العلماء السعودية فتوى بعدم مشروعية المظاهرات بتاريخ: (١/ ٤/ ١٤٣٢هـ).

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٦٠١)، ومسلم (٧٣٥٠).

الردُّ الحاسم على مجيزي المظاهرات

لابد من التنوية بأمر مهم جداً وهو أن بحث المظاهرات كتبته تنفلاً رعاية لحال من قد يشتبه عليهم حكمها، وتستخف عقله نتائجها، وإلّا فقد كان يسعني أن أكرَّ عليها بسطر واحد، ألا وهو أن المظاهرات تخالف دعوة النبي ﷺ من أصلها؛ لأننا لو سألنا أي مسلم لديه أدنى اطلاع على سيرة الرسول ﷺ الإصلاحية: هل أسس الرسول ﷺ إصلاحه على إصلاح رئاسة الدولة في وقته أم أسسها على إصلاح الرعية؟ لكان الثاني هو الجواب البَدهيَّ بلا ريب، والمظاهرات تخالف ذلك؛ إذ تؤسس تغييرها على تغيير رئاسة الدولة، ومن كان فكره مشوشاً في هذا الأمر البدهي؛ بحكم تأثره بالفكر الحزبي الحركي، المُشرَب بحب الرئاسة، والمفتون بالتركيز على السياسة، فليرجع إلى كتابي «كما تكونوا يولى عليكم» ففيه توسع في الأدلة، وشفاء لكل علة، وهذا مذهب الحركيين يخالف هدي الرسول ﷺ فيه، فهم لا يزالون يحلمون بدولة منذ أكثر من نصف قرن، ولم ينبت لهم فيها سن ولا قرن، ضيعوا أعمارهم، وخربوا عَمارَهم، وقد حرصوا في بعض البلاد على معاندة دولتهم بالمظاهرات، فسلطوا على أنفسهم شر البريات، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي الكافرين، وإن الذين أفتوا المسلمين بمشروعية المظاهرات دون أن يفكروا في العواقب يتحملون مسئولية ما تعيشه بعض البلاد الإسلامية من اضطرابات بل من دماء بينهم، بل من تسلط الكفار

على المسلمين باسم حماية حقوق المتظاهرين، روى ابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٧٩) -بسند صحَّحهُ الألباني- عن معاوية بن أبي سفيان قال: «لما خرج أبو ذر إلى الربذة لقيه ركب من أهل العراق، فقالوا: يا أبا ذر! قد بلغنا الذي صُنع بك، فاعقد لواء يأتك رجال ما شئت، قال: مهلا يا أهل الإسلام! فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**سيكون بعدي سلطان فأعزُّوه؛ من التمس ذُلهُ ثغَّر ثغرة**[1] **في الإسلام ولم يقبل منه توبة، حتى يعيدها كما كانت**»، هذا هو صنيع من عرف للنصوص الشرعية قدرها، وأحسن النظر في عواقب الأمور واحتاط لها، لا من غلب عليه الغوغاء، وخافهم قبل أن يخاف رب الأرض والسماء، وفُتن بتزاحم الصحفيين على بابه، فألغى عقله لينطق بنابه، فيا للدماء يوم تطلب صاحبها بين يدي ربها! قال رسول الله ﷺ: «**من أفتى بفتيا غير ثبت فإنما إثمه على من أفتاه**»[2].

وإنني أنصح من وصله بحثي هذا ألا يُتعب نفسه في التغيير عن طريق تنحية الحكّام؛ فإن التغيير النافع الناجح هو إصلاح أحوال المسلمين الدينية قبل كل شيء، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾ [الرعد]، ولم يقل:

---

(١) ثغَّر ثَغْرَة: فتح فتحةً.

(٢) حسن: أخرجه ابن ماجه (٥٣)، والدارمي (١٦١)، والحاكم (١/ ١٨٣)، والبيهقي في «السنن» (١٠/ ١١٢)، [«صحيح الجامع» (٦٠٦٩)].

حتى يغيروا ما بحكوماتهم، وما لم تصلُح أحوال الرعية فليس إلّا التعب والجهاد المضني في غير ميدان؛ لأنّ الله ينصر الأمة التقية، لا من كانت بذنوبها شقية، أين يجعل أصحابُ المظاهرات قول ربهم -عز وجل-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل]؟! وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف]؟! وقوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [البقرة]؟! في ثلاثة مواضع من القرآن: هذا الأول، والثاني في سورة التوبة: برقم (٣٦)، والثالث فيها أيضاً برقم (١٢٣)، والملاحظ أنها كلها جاءت في الجهاد، وحصر الآيات التي في هذا المعنى صعب لكثرتها، فمن خرج مجاهداً بجيش يغلب على أفراده تخلف هذا الوصف (التقوى) فهل يُنصر ويُلغي ما شرطه الله أم هي دولة الأحلام والبنيان على الأوهام؟!

وبهذا أختم بحثي هـذا، والله المسئول أن ينـصر الإسـلام والمسلمين، ويقمع المبتدعة والمنافقين والعلمانيين وكل مـن يحـارب الـدين؛ إنـه سـميعٌ مجيب الدعاء[1].

(١) «حكم المظاهرات» (ص٤٩-٦٣).

رابعاً: التفقه في كيفية تعامل الرعية مع الراعي:

وتكون النجاةُ من الفتن كذلك بالتفقه في كيفية تعامل الرعية مع الراعي:

قال الشيخ حسين بن عودة العوايشة -حفظه الله- في كتابه «الفتن وسبيل النجاة منها»:

١- طاعة السلطان في غير معصية وتوقيره وكيفية نصحه

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إنكم سترون بعدي أثرة**[١] **وأموراً تنكرونها، قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: أدّوا إليهم حقهم، وسألوا الله حقكم**»[٢].

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: (قلت: يا رسول الله! إنّا كنّا بِشَرٍّ فجاء الله بخير، فذكر الحديث إلى أن قال: «**يكون بعدي أئمّة لا يهتدون بهداي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجالٌ قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس**»، قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: «**تسمع وتُطيع للأمير، وإن ضُرب ظهرك، وأُخذ مالك، فاسمع وأطع**»[٣].

---

(١) الأثرة: الاسم من آثر يؤثر إيثاراً، والاستئثار: الانفراد بالشيء. «النهاية».

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٠٥٢)، ومسلم (١٨٤٣).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧) واللفظ له.

وتأمل قوله ﷺ: «**وسيقوم فيهم -أي الأئمة- رجالٌ قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس**»، ومع ذلك قال ﷺ: «**تسمع وتُطيع للأمير**».

وعن المقدام أن رسول الله ﷺ قال: «**أطيعوا أمراءَكم مهما كان، فإن أمروكم بشيء مما لم آتكم به فهو عليهم وأنتم منه براء، وإن أمروكم بشيء مما جئتكم به؛ فإنهم يؤجرون عليه وتؤجرون عليه؛ ذلكم بأنكم إذا لقيتم ربكم قلتم: ربنا لا ظُلم، فيقول: لا ظُلم. فتقولون: ربنا أرسلت إلينا رسلاً فأطعناهم، واستخلفت علينا خلفاء فأطعناهم، وأمّرت علينا أمراء فأطعناهم. فيقول: صدقتم، هو عليهم وأنتم منه براء**»(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: نهانا كبراؤُنا من أصحاب محمد ﷺ قال: «**لا تسبّوا أمراءكم ولا تغشّوهم ولا تُبغضوهم، واتقوا الله، واصبروا؛ فإنّ الأمر قريب**»(٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ قال: «**على المرء المسلم الطاعة فيما أحب أو كره. إلا أن يؤمر بمعصية. فإذا أمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة**»(٣).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: «**سَيَلي أموركم بعدي رجال يُطفئون السنة، ويعملون بالبدعة، ويُؤخرون الصلاة عن مواقيتها**».

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب «السنة» (١٠٤٨)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٢٧٨)، وفي مسند «الشاميين» (١٨٧٣)، والبيقي في «السنن» (٨/ ١٥٧)، [«ظلال الجنة» (ص٤٥٤)].

(٢) **إسناده جيد**: أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٠١٥)، والبيهقي في «الشعب» (٧٥٢٣)، [«ظلال الجنة» (ص٤٤٤)].

(٣) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٢٨٦٤) واللفظ له، والبخاري (٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩).

فقلت: يا رسول الله! إن أدركتهم، كيف أفعل؟ قال: «**تسألني يا ابن أم عبد كيف تفعل؟ لا طاعة لمن عصى الله**»(١).

وعن أبي بَكرة ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من أهان سلطان الله أهانه الله**»(٢).

وعنه أيضاً ﵁ قال: «**من أَجَلَّ سلطان الله؛ أجله الله يوم القيامة**»(٣).

وعن عياض بن غَنم أنه قال لهشام بن حكيم: ألم تسمع بقول رسول الله ﷺ: «**من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يُبده علانية، ولكن يأخذ بيده فيخلو به فإن قبل منه فذاك؛ وإلّا كان قد أدى الذي عليه**»(٤).

وإذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوىً، وإذا رأيت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح، فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله(٥).

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٢٨٦٥)، وأحمد (١/ ٣٩٩)، والبيهقي في «السنن» (٣/ ١٢٧)، [«صحيح ابن ماجه» (٢٣٣٢)].

(٢) **حسن**: أخرجه الترمذي (٢٢٢٤)، وأحمد (٥/ ٤٢)، والبزار «البحر الزخار» (٣٦٧٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٠١٨)، [«ظلال الجنة» (ص٤٤٥)].

(٣) **حسن**: أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب «السنة» (١٠٢٥)، [«الصحيحة» (٢٢٩٧)].

(٤) **صحيح**: أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب «السنة» (١٠٩٦)، وأحمد (٣/ ٤٠٣)، والحاكم (٣/ ٣٢٩)، والبيهقي في «السنن» (٨/ ١٦٤)، [«ظلال الجنة» (ص٤٧٧)].

(٥) «شرح السنة» للبربهاري (ص١١٣).

لقول فضيل: «لو كانت لي دعوة ما جعلتها إلا في السلطان، قيل لـه: يـا أبا علي! فسّر لنا هذا، قال: إذا جعلتهـا في نفـسي لم تَعـدُني، وإذا جعلتهـا في السلطان صلح، فصلح بصلاحه العباد والبلاد».

فأُمرنا أن ندعو لهم بالصلاح، ولم نؤمر أن نـدعو علـيهم، وإن ظلمـوا وإن جاروا؛ لأن ظلمهم وجـورهم عـلى أنفـسهم، وصـلاحهم لأنفـسهم وللمسلمين.

جاء في «شرح العقيدة الطحاويـة»[١]: «قولـه: (ولا نـرى الخـروج عـلى أئمتنا وولاة أمورنـا، وإن جـاروا، ولا نـدعوا علـيهم، ولا ننـزع يـداً مـن طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله -عـز وجـل- فريـضة؛ مـا لم يـأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة).

قال الشارح: «قال تعـالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء:٥٩].

وفي الصحيح عن النبي ﷺ: أنّه قال: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومـن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقـد عصاني**»[٢]، وذكر أدلة كثيرة على ذلك...».

---

(١) (ص٣٧٩).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٩٥٧)، ومسلم (١٨٣٥).

وجاء في «الشرح» أيضاً[1]: «وأمّا لزوم طاعتهم وإن جاروا، فلأنه يترتب على الخروج من طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم، بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات ومضاعفة الأجور، فإن الله تعالى ما سلطهم علينا إلّا لفساد أعمالنا، والجزاءُ من جنس العمل، فعلينا الاجتهاد في الاستغفار والتوبة وإصلاح العمل، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ [الشورى]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾ [آل عمران:١٦٥]، وقال تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾ [النساء:٧٩]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٢٩﴾ [الأنعام]، أراد الرعية أن يتخلصوا من ظلم الأمير الظالم، فليتركوا الظلم».

٢- كلمةٌ حول الخروج على السلطان:

لا بُد لنا أن نعلم أن أمن البلاد مرتبط بالتفاهم بين الراعي والرعيّة والحاكم والمحكوم؛ تحت راية التناصح بالحكمة والموعظة الحسنة، وهذا مما يقوي الصف الداخلي، لحماية البلاد من عبث العابثين.

---

(١) (ص٣٨١).

والتواصي بالحق والصبر، والتواصل بين الراعي والرعيّة؛ من أسباب طاعة الرحمن، ونصرة السلطان، وقهر الشيطان.

وقد وردت النصوص بوجوب الطاعة للحاكم؛ ما لم يصدر منه الكفر البواح لحديث جنادة بن أبي أمية، قال: «دخلنا على عبادة بن الصامت -وهو مريض-، قلنا: أصلحك الله، حدث بحديث ينفعك الله به، سمعته من النبي ﷺ قال: دعانا النبي ﷺ فبايعناه، فقال: -فيما أخذ علينا-: «**أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعُسرنا ويُسرنا، وأَثَرة**[1] **علينا، وأن لا نُنازع الأمر**[2] **أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً، عندكم من الله فيه برهان**»[3].

وهذا كأن يأمر بعبادة الأوثان، أو الكفر بالقرآن، أو السجود لغير الرحمن، ... هذا أولاً.

أمّا **ثانياً**: فإنه من الجدير بالذِّكر؛ أنّه لا يجوز هذا الخروج إذا لم يمض الشرط المبين في قوله ﷺ: «**ما من قوم يُعمل فيهم بالمعاصي؛ هم أعز منهم وأمنع لا يُغيِّرون؛ إلّا عمهم الله بعقاب**»[4].

فإذا لم يكن من يُعمل فيهم بالمعاصي أعزّ وأمنع؛ كان لهم العذر في عدم التغيير.

---

(١) أثرة: أي: على استئثار الأمراء بحظوظهم واختصاصهم إياها بأنفسهم. «الكرماني».

(٢) أي: الإمارة. «الكرماني».

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٠٥٥، ٧٠٥٦)، ومسلم (١٧٠٩).

(٤) **حسن**: أخرجه ابن ماجه (٤٠٠٩)، وأبو داود (٤٣٣٩)، وأحمد (٤/ ٣٦٤)، وابن حبان (٣٠٠)، [«صحيح ابن ماجه» (٣٢٥٤)].

ثالثاً: فإنه يتأكد عدم جواز الخروج على الحاكم، إذا كـان هـذا الخـروج سـيحقق مفاسـد أكثـر مـن المفاسـد التـي يُـراد تغييرهـا؛ كإراقـة الـدماء، واستجلاب المذابح، ونشر الذُّعر والتمزق والتفـرق، وتـدخُّل الأعـداء في شؤون البلاد، وإثارة التفرقة العنصرية والطائفية، فكيف إذا وقع هـذا كلـه أو معظمه، ولم يحصل العدل المراد، بل وازداد الظلم والفساد؟!

هذا مع التنبيه إلى خطر الرايات العُمِّية من أماكن كثيرة؛ تسعى لإفـساد البلاد والعباد. والله ولي التوفيق.

قال سليمان بن علي الربعي: «لمّا كانت الفتنة: فتنـة ابـن الأشـعث -إذ قاتل الحجاج بن يوسف- انطلق عقبة بن عبد الغافر وأبو الجوزاء وعبد الله بن غالب، في نفر من نُظرائهم، فدخلوا على الحسن فقالوا: يا أبا سـعيد: مـا تقول في قتال هذا الطاغية الذي سفك الـدم الحـرام، وأخـذ المـال الحـرام، وترك الصلاة وفعل وفعل؟ -قـال: وذكـروا مـن أفعـال الحجـاج- فقـال الحسن: أرى أن لا تقاتلوه! فإنها إن تكن عقوبـة مـن الله؛ فـما أنـتم بـرادي عقوبة الله بأسيافكم، وإن يكن بـلاء فاصـبروا حتـى يحكـم الله وهـو خـير الحاكمين، فخرجوا من عنده وهم يقولون: نُطيع هذا العِلج؟!».

وقد نص الأئمة والعلماء على خطأ ابن الأشعث ومن معـه في الخـروج على الحجاج، وقد عبر عن هـذا الإمـام ابـن كثـير بقولـه: «والعجـب كُـلُّ العجب من هؤلاء الذين بايعوه بالإمارة وليس من قريش، وإنما هو كنـدي

من اليمن، وقد اجتمع الصحابة رضي الله عنهم يوم السقيفة على أن الإمارة لا تكون إلّا في قريش، واحتج عليهم الصديق رضي الله عنه بالحديث في ذلك؛ حتى إنّ الأنصار سألوا أن يكون منهم أميرٌ مع أمير المهاجرين، فأبى الصديق عليهم ذلك...؛ فكيف يعمدون إلى خليفة قد بويع له بالإمارة على المسلمين من سنين فيعزلونه، وهو من صليبة قريش، ويبايعون لرجل كندي بيعةً لم يتفق عليها أهل الحل والعقد؟! ولهذا لمّا كانت هذه زلّة وفلتة نشأ بسببها شر كثير، فإنا لله وإنا إليه راجعون»[1].

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: «إن الأمر بالمعروف والنهيَ عن المنكر حسن، وليس من السُّنة أن ترفع السلاح على إمامك»[2].

وعن سويد بن غفلة قال: قال لي عمر رضي الله عنه: لعلك تبقى حتى تدرك الفتنة، فاسمع وأطع، وإن كان عليك عبدٌ حبشي، إن ضربك فاصبر، أو حرمك أو ظلمك فاصبر، وإن أرادك على أمر ينقصك في دينك فقل: سمعاً وطاعة دمي دون ديني[3].

ولنعلم أن منهج السلف في مسائل الحُكم والخلافة والبيعة؛ إنما يكون من خلال أهل الحل والعقد؛ لا بالثورات والخروج على الحُكام.

---

(١) ذكره د. علي الصياح في كتابه «من سير علماء السلف عند الفتن» (ص٢٨).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٢١/ ٢٧٢-طبعة عوامة)، والبيهقي في «الشعب» (٧٥٠٣)، ونعيم بن حماد في «الفتن» (٣٨٤).

(٣) **إسناده حسن**: أخرجه نُعيم بن حماد في «الفتن» (٣٨٥)، والآجري في «الشريعة» (٧٠)، وابن أبي شيبة)١٨/ ٢٤٤-طبعة عوامة)، والبيهقي في «السنن» (٨/ ١٠٩).

٣- خطر تنحي الحاكم المسلم.

لا شك أن العدل محبوب بالفطرة، والنفوس تحب العدل وتكره الظلم.

بيد أن الخروج على الحاكم المسلم فيه مفاسد كثيرة، وليس هو من وسائل الإصلاح الشرعية، ولا هو من سبيل المؤمنين.

لذلك لم يقبل عثمان أن يتنحى عن الخلافة؛ امتثالاً لأمر رسول الله ﷺ.

وقد قال له ﷺ: «**يا عثمان! إن الله مُقَمِّصُكَ قميصاً فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه**»[1].

وهذا له تعليل لا بد من التنبيه إليه، وهذا يتضح بما يرويه نافع، قال: «دخل ابن عمر على عثمان وعنده المغيرة بن الأخنس فقال: انظر ما يقول هؤلاء! يقولون: اخلعها، ولا تقتل نفسك. فقال: ابن عمر: إذا خلعتَها أمخلَّد أنت في الدنيا؟ قال: لا. قال: فإن لم تخلعها هل يزيدون على أن يقتلوك؟ قال: لا، قال: فهل يملكون لك جنة أو ناراً؟ قال: لا. قال: فلا أرى أن تخلع قميصاً قمصكه الله، فتكون سُنة كلما كره قوم خليفتهم أو إمامهم قتلوه»[2].

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١١٧٩)، وأحمد (٦/ ٧٥)، والحاكم (٣/ ١٠٦)، [«ظلال الجنة» (ص٥١٧)].

(٢) أخرجه ابن عساكر (ترجمة عثمان رضي الله عنه) (٣٥٩)، وذكره الدكتور محمد عبد الوهاب العقيل حفظه الله في كتابه «الفتنة وموقف المسلم منها» (ص١٦٢).

وهكذا لم يرفض أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه التنحّي عن الخلافة لذاته ونفسه كما هو بين، ولكن لمصلحة الأمة وهذا قد بينه ابن عمر رضي الله عنهما حين قال: «فلا أرى لك أن تخلع قميصاً قمصكه الله، فتكون سنة كلما كره قوم خليفتهم أو إمامهم قتلوه».

وذلك مخافة أن يكون سنة متبعة في خروج الناس على الحكام، وما يترتب على ذلك من المفاسد والفوضى وإراقة الدماء.

والأمر الثاني: أن أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه لم يرض أن يقاتل، لمصلحة الأمة أيضاً، وأراد أن يقي بدمه دماء المسلمين.

فهلّا جعلنا ما سلكه عثمان رضي الله عنه منهجاً لنا لدرء المفاسد ودفع الشرور ما أمكن ذلك!

٤- ماذا بعد تنحّي السلطان؟

إن هناك من يؤجج الثورات ويسعى لإشعالها تحت عنوان تحقيق الحرية والسعادة، والمزيد من الرغبات والمطالب، وتلبية الحاجات.

والسؤال: من أين يأتي هذا الحاكم المثالي؛ والحكومة المثالية؟!

أينشئ الله سبحانه خلقاً جديداً وفيهم هذا الحاكم، وأفراد حكومته؟

أم يكون ذلك من أبناء البلاد نفسها؟!

وهل يتوقع المحتجّون والمتظاهرون أن يُنزَّل شخص من السماء تنزيلاً، أم يُفصّل في مصنع تفصيلاً؛ يُلبي رغبات الناس جميعهم، ويقضي حاجاتهم، ويأتي لهم بمائدة من السماء تكون عيداً لأوّلهم وآخرهم!!

ويُحقق آمال المسلمين والنصارى والعلمانيين والملحدين والقوميين والبعثيين والمعتدلين والمتطرفين، والمتعصِّبين لشمال البلد، والمنحازين لجنوبها والموالين لشرقها، والمتفانين لغربها!!

أم أنّ هذه الاتجاهات المتناقضة، والأفكار المتعارضة يَسهُل علاجها!!

ومن المعلوم أنه يغلب على كل جيل وزمان وبلاد؛ طِباع وخصائص وصفات -مع تفاوت ذلك فيما بينهم-.

وخير النّاس قرن النبي ﷺ، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم(١).

وهذه الخيرية في العلم، والعمل، والسلوكيات، والمصداقية، والأخوة، والتآلف، والتعاون، والبذل، والعطاء، واجتناب المناهي والمحرمّات.

وكلّما مضت القرون صار النّاس إلى السلبيات أقرب، وقد قال رسول الله ﷺ: «**لا يأتي عليكم زمانٌ إلّا الذي بعده شر منه، حتى تلقوا ربكم**(٢)».

فيجب أن نعلم أن واقع الناس الآن يختلف عن جيل تلك القرون المباركة.

ولنعلم أن الحاكم لا بد أن يأتي من جنس الطبقة، والبلد، والزمان؛ وألّا نعيش الخيال والأحلام والأوهام، وعلينا أن نسعى لتغيير ما نحن

---

(١) عن عمران بن حصين رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنّه قال: «**خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»، أخرجه البخاري (٦٤٢٨)، ومسلم (٢٥٣٥).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٠٦٨)، من حديث أنس رضي الله عنه.

عليه من العيوب والذنوب؛ لنكون على حالٍ يصبو إليها الناس، وبالله التوفيق.

أقول لأجل التوضيح، وإزالة الالتباس: الحاكم نوعان:

حاكم يحكم بكتاب الله -عز وجل- وسنة نبيه ﷺ	حاكم عنده عدل وظلم، يحكم ببعض النصوص من الكتاب والسنة، ويترك بعضها.
يحرص على تحقيق العدل بقدر إمكانه، يحب شعبه ويحبونه.	يعاني الناس في الدولة من بعض الفساد والظلم، وتوجد الحريات، وهي متفاوتة في بلاد أكثر من الأُخرى، مع وجود فقراء ومحتاجين، وأغنياء وموسرين.

السؤال: هل عند نجاح هذه الثورات سيكون الحاكم القادم من القسم الأول؟ أم مِن القسم الثاني؟ وما الذي يضمن هذا؟

أم يمكن ألّا يكون من النوعين، بل هو نوعٌ ثالث سيء!!

هذا مع الانتباه إلى نزف الدماء، والتقتيل والترويع، وما يُترك في النفوس من حقد وضغينة، والسؤال الأخير هنا: ما الفتوى الرّاجحة بعد التدبر والتأمل؟ وما هو الأقل شراً؟ والأخفّ ضرراً؟

وإن مما قاله ﷺ: «**إن كان لله خليفة في الأرض، فضرب ظهرك، وأخذ مالك؛ فأطعه وإلّا فَمُتْ وأنت عاضٌّ بجذل[1] شجرة**»[2].

السؤال: هل للخليفة وجود؟

فإن قال قائل: نعم، قلنا: أطعه، وإن قال: لا، ليس هناك خليفة في الأرض، قلنا: فمت وأنت عاضٌّ بجذل شجرة.

أقول: إن الأمر محصور بين شيئين: إمّا الطاعة، وإمّا الاعتزال، وليس هناك أمر ثالث كالخروج على السلطان -كما يزعمون-.

قال حذيفة رضي الله عنه، بعد أن سمع من النبي ﷺ أموراً في الفتن-: «**فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**»[3].

وفي طريق من طرق الحديث: «**فإن تمت يا حذيفة وأنت عاضٌّ على جذل خير لك من أن تتبع أحداً منهم**»[4].

---

(١) الجذل -بالكسر والفتح- أصل الشجرة يقطع.

(٢) **حسن**: أخرجه أبو داود (٤٢٤٤)، وأحمد (٥/ ٤٠٣)، والحاكم (٤/ ٤٧٩)، والبزار «البحر الزخار» (٢٩٦٠)، [«صحيح أبو داود» (٣٥٦٩)].

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٠٨٤)، ومسلم (١٨٤٧).

(٤) **حسن**: أخرجه أبو داود (٤٢٤٦)، وأحمد (٥/ ٣٨٦)، والطبراني في «الأوسط» (٧٣٤٣)، والنسائي في «الكبرى» (٥/ ١٧)، [«صحيح أبو داود» (٣٥٧١)].

٥- طعنٌ واتّهام!؟

وإننا لنسمع هذه الأيام تمجيد الثورات والطعن فيمن يخالف، واتهام من يسكت ... ويبلغ الحد إلى الاتهام بالخيانة وقولهم: عملاء النظام!!

فأقول: هؤلاء عملاء النظام، فهل أنتم أهل الفوضى؟

فإن قالوا: نقصد عملاء السلطان.

أقول: وأنتم ليس لكم سلطان، أم أنتم عملاء لسلطان قادم؟

وعلى كل حال؛ فإنّ من يخالف الآن في الخروج على السلطان؛ يتهم أنه من أعوان السلطان، وسيظل هذا إلى بضع سنين أو أكثر ثم يَنسى الناس الأمر، ويتكرر المشهد باتّهام السلطان الثاني، وأنه من يسكت عنه فإنه من المتآمرين.. وهكذا!!

فإلى متى تظل هذه الثورات؛ لطالما من ثار على غيره؛ ثار غيره عليه.

أليس ينبغي التفكير بسلوك السبيل الصحيح؛ الذي شرعه رب العالمين سبحانه لتحقيق سعادة البشرية][1].

---

(١) «الفتن وسبيل النجاة منها» (ص١٤٢-١٥٤).

الفصل الخامس

أقوال ومواقف للسلف الصالح في الفتن

عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لقد نفعني الله بكلمة أيام الجمل، لما بلغ النبي ﷺ أن فارساً ملَّكوا ابنة كسرى، قال: «**لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة**[(١)]».

وعن عُديسة بنت أُهبان قالت: «لما جاء علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هاهنا (البصرة)، دخل على أبي، فقال: يا أبا مسلم ألا تعينني على هؤلاء القوم؟ قال: بلى، قال: فدعا جارية له، فقال: يا جارية، أخرجي سيفي، قال: فأخرجته، فسل منه قدر شبر، فإذا هو خشب، فقال: إن خليلي وابن عمكَ ﷺ عهد إلي: «**إذا كانت الفتنة بين المسلمين؛ فاتخذ سيفاً من خشب**». فإن شئت خرجت معك، قال: لا حاجة لي فيك ولا في سيفك»[(٢)].

وعن أبي العجلان المحاربي، قال: «كنت في جيش ابن الزبير، فتوفِّي ابن عم لي، وأوصى بجمل له في سبيل الله، فقلت لابنه: ادفع إلي الجمل؛ فإني في جيش ابن الزبير، فقال: اذهب بنا إلى ابن عمر حتى نسأله. فأتينا ابن عمر، فقال: يا أبا عبد الرحمن! إنّ والدي توفي، وأوصى بجمل في سبيل الله، وهذا ابن عمي، وهو في جيش ابن الزبير، أفأدفع إليه الجمل؟ قال ابن

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٠٩٩).

(٢) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٣٩٦٠)، والترمذي (٢٢٠٣)، وأحمد (٥/ ٦٩)، والطبراني في «الأوسط» (٨٤٥٧)، [«الصحيحة» (١٣٨٠)].

عمر: يا بني! إن سبيل الله كل عملٍ صالح، فإن كان والدك إنما أوصى بجمله في سبيل الله -عز وجل-، فإذا رأيت قوماً مسلمين يغزون قوماً من المشركين، فادفع إليهم الجمل؛ فإنّ هذا وأصحابه في سبيل غلمان قوم أيهم يضع الطابع[1]»[2].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما كان يوم الدار، قيل لعثمان: ألا تقاتل؟ قال: قد عاهدتُ رسول الله ﷺ على عهد، سأصبر عليه، قالت عائشة: فكنّا نرى أن رسول الله ﷺ عهد إليه فيما يكون من أمره»[3].

وعن عبد الله بن الصامت قال: «قدم أبو ذر على عثمان من الشام، فقال: يا أمير المؤمنين، افتح البابَ حتى يدخل الناس، أتحسبني من قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية[4] ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم على فُوقِه[5] هم شر الخلق والخليقة؟! والذي نفسي بيده؛ لو أمرتني أن أقعد لما قمت، ولو أمرتني أن أكون قائماً لقمت ما أمكنتني رجلاي، ولو ربطتني على بعير؛

(١) الخاتم، وهو كناية عن استلام الحكم، وكان رأي ابن عمر ترك القتال في الفتنة.

(٢) **إسناده حسن**: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٦٩)، [«صحيح الأدب المفرد» (٢٨٤)].

(٣) **صحيح**: أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١١٧٦)، وأحمد (٦/ ٥١)، والترمذي (٣٧١١)، وابن ماجه (١١٣)، [«ظلال الجنة» ص(٥١٧)].

(٤) الرمية: الصيد الذي ترميه فتقصده، وينفُذُ فيه سهمك. «النهاية».

(٥) على فوقه: موضع الوتر من السهم، وهذا تعليق بالمحال، فإن ارتداد السهم على الفوق محال، فرجوعهم إلى الدين أيضاً محال. «عون المعبود».

لم أُطلق نفسي حتى تكون أنت الذي تُطلقني، ثم استأذنه أن يأتي الربذة، فأذن له، فأتاها فإذا عبد يؤمهم، فقالوا: أبو ذر، فنكص العبد، فقيل له: تقدم فقال: «أوصاني خليلي ﷺ بثلاث: **أن أسمع وأطيع، ولو لعبد حبشي مجدع الأطراف**[(١)]»[(٢)].

وهناك حديث أكثر بياناً في هذا المقام، يرويه أبو ذر رضي الله عنه، قال: «أتاني نبي الله ﷺ وأنا نائم في مسجد المدينة، فضربني برجله، وقال: **ألا أراك نائماً فيه**، قال: قلت: بلى يا نبي الله! غلبتني عيناني، قال: **فكيف تصنع إذا أُخرجت منه؟**

قلت: ما أصنع يا نبي الله، أضرب بسيفي؟ فقال النبي ﷺ: **ألا أدلك على ما هو خير لك من ذلك، وأقرب رشداً؟ تسمع وتطيع، وتنساق لهم حيث ساقوك**[(٣)]»[(٤)].

وعن عامر بن سعد قال: كان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في إبله، فجاءه ابنه عمر، فلما رآه سعد قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب، فنزل فقال له: أنزلت في إبلك وغنمك، وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم؟ فضرب

---

(١) أي: مقطع الأعضاء.

(٢) **صحيح**: أخرجه ابن حبان (٥٩٣٣)، [«صحيح موارد الظمآن» (١٢٨٦)].

(٣) وهذا ما لم يكن في معصية، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

(٤) أخرجه أحمد وابن حبان وغيرهما، وانظر «صحيح موارد الظمآن» (١٢٨٥)، و«تخريج السنة» (١٠٧٤).

سعد في صدره فقال: اسكت! سمعت رسول الله ﷺ يقـول: «**إن الله يحـب العبد التقي الغني**[١] **الخفي**[٢]»[٣].

وفي رواية أخرى عن عامر بن سعد أنه قال: جاءه ابنه عمر فقـال: «أي بني! أفي الفتنـة تـأمرني أن أكـون رأسـاً؟! لا والله حتـى أعطـى سـيفاً، إن ضربت به مؤمناً نَبا عنه[٤]، وإن ضربت به كافراً قتلـه، سـمعت رسـول الله ﷺ، يقول: **إن الله -عز وجل-، يحب الغني الخفي التقي**»[٥].

وعن ابن سيرين قال: قال حذيفة رضي الله عنه: «مـا أحـد مـن النـاس تُدركـه الفتنة، إلّا أنا أخافُها عليه[٦]، إلّا محمد بن مسلمة، فإني سـمعت رسـول الله ﷺ يقول: **لا تضرك الفتنة**»[٧].

وعن ثعلبة بن ضبيعة قال: «دخلنا على حذيفة رضي الله عنه فقال: إنّي لأعـرف رجلاً لا تضره الفتن شـيئاً، قـال: فخرجنـا فـإذا فـسطاط[٨] مـضروب[٩]،

---

(١) أي: غني النفس.

(٢) المنقطع للعبادة، والاشتغال بأمور نفسه.

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٦٥).

(٤) أي: لم يقطع.

(٥) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ١٧٧)، والبزار «البحر الزخـار» (١١٨٨)، وأبـو نعـيم (١/ ١٣٧)، [«الموسوعة الحديثية»].

(٦) أي: أخاف مضرة تلك الفتنة عليه، ومحمد بن سلمة رضي الله عنه هو من أكـابر الـصحابة، شـهد بـدراً والمشاهد كلها، استوطن المدينة واعتزل الفتنة، كذا في «الخلاصة».

(٧) **صـحيح**: أخرجـه أبـو داود (٤٦٦٣)، وابـن أبي شـيبة (٢١/ ٨٨-طبعـة عوامـة)، والحـاكم (٣/ ٤٩١)، [«المشكاة» (٦٢٤٢)].

(٨) فسطاط: بالضم أي: خباء.

(٩) أي: منصوب.

فدخلنا فإذا فيه محمد بن مسلمة رضي الله عنه فسألناه عن ذلك فقال: ما أريد أن يشتمل علي شيء من أمصاركم[1]، حتى تنجلي[2] عما انجلت[3]»[4].

قلت: فإن كان الذي شهد له رسول الله ﷺ أنّه لا تضره الفتنة قد اعتزل واختفى، فما بال من تُخشى عليه الفتنة من أبناء هذا الزمان؟!

وعن ربعي بن حراش عن حذيفة رضي الله عنه أنه قيل له: «يا أبا عبد الله ما تأمرنا إذا اقتتل المصلون؟ قال: آمرك أن تنظر أقصى بيت من دارك فتلج فيه، فإن دخل عليك فتقول: ها بُؤْ بإثمي وإثمك، فتكون كابن آدم»[5].

وعن ابن سيرين قال: «هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ عشرة آلاف، فما حضرها منهم مائة، بل لم يبلغوا ثلاثين»[6].

وعن سعيد بن جبير قال: «خرج علينا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فرجونا أن يحدثنا حديثاً حسناً، قال: فبادرنا إليه رجل، فقال: يا أبا عبدالرحمن!

---

(١) المعنى: لا أريد أن أسكن وأقيم في أمصاركم.

(٢) حتى تنجلي، أي: تنكشف وتزول، يقال: أنجلى الظلام إذا كُشف.

(٣) عما انجلت: أي: تجلت وتبينت، يقال للشمس إذا خرجت من الكسوف، تجلت وانجلت، وهو انفعال من التجلية، والتجلية التبيين.

(٤) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٦٦٤)، والحاكم (٣/ ٤٩٢)، [«صحيح أبو داود» (٣٨٩٩)].

(٥) **صحيح**: أخرجه الحاكم (٤/ ٤٩٢)، وابن أبي شيبة (٢١/ ٤١-طبعة عوامة)، [«الإرواء» (٨/ ١٠٢)].

(٦) قال ابن تيمية رحمه الله في «منهاج السنة» (٦/ ٢٣٦): «وهذا الإسناد من أصح إسناد على وجه الأرض، ومحمد بن سيرين من أورع الناس في منطقه، وأخرجه الخلال في «السنة» (٢/ ٤٦٦) (رقم ٨٢٧)، ونقله الدكتور الإدريسي حفظه الله في «فقه الفتن» (ص٢٦٧).

حدثنا عن القتال في الفتنة، والله يقول: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾، فقال: هل تدري ما الفتنة -ثكلتك أمك؟- إنّما كـان محمـد ﷺ يقاتـل المـشركين، وكان الدخول في دينهم فتنة، وليس كقتالكم على المُلك»[١].

قال مُطرف: «إن الفتنة ليست تأتي تهدي الناس، ولكن إنّما تـأتي تقـارع المؤمن عن دينه، ولأن يقول الله: لم لا قتلت فلاناً؟ أحب إلي من أن يقـول لم قتلت فلاناً»[٢].

وقال أيضاً: «إن الفتنة لا تجيء حين تجيء لتهدي، ولكن لتقارع المـؤمن عن نفسه»[٣].

❊[٤] وقال بشير بن عقبة: قلت ليزيـد بـن عبـد الله الـشِّخِّير: «مـا كـان مُطرّف يصنع إذا هاج في الناس هيج؟ قال: يلزم قعر بيتـه، ولا يقـرب لهـم جمعة ولا جماعة حتى تنجلي لهم عما انجلت»[٥].

وقال ثابت البناني: «إن مُطرّف بن عبد الله قال: لبثت في فتنة ابن الـزبير تسعاً أو سبعاً ما أخبرت فيها بخبر، ولا استخبرت فيها عن خبر»[٦].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٧٠٩٥).

(٢) أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في «حلية الأولياء» (١/ ٣٠٠).

(٣) انظر «الطبقات الكبرى» (٧/ ١٤٢).

(٤) من هنا وإلى النجمة الأخرى من كتاب «سير علماء السلف عند الفتن» (ص١٦٠).

(٥) انظر «الطبقات الكبرى» (٧/ ١٤٢).

(٦) انظر «الطبقات الكبرى» (٧/ ١٤٢).

قلت: حرص ألا يَستخبر ولا يُخبر، مخافة أن يُهيجه ذلك لأقوال أو أفعال، أو مشاركات يندم عليها.

وقال مُطرّف: «لأن آخذ بالثقة في القعود؛ أحب إلي من أن ألتمس -أو قال: اطلب-؛ فضل الجهاد بالتغرير»(١).

وقال كذلك: «لأن يسألني ربي -عز وجل- يوم القيامة فيقول: يا مُطرّف ألا فعلت! أحب إلي من أن يقول: لم فعلت»(٢).

قال حميد بن هلال: «أتى مُطرّف بن عبد الله -زمان ابن الأشعث- ناس يدعونه إلى قتال الحجاج، فلما أكثروا عليه قال: أرأيتم هذا الذي تدعونني إليه هل يزيد على أن يكون جهاداً في سبيل الله؟ قالوا: لا، قال: فإني لا أُخاطر بين هلكة أقع فيها، وبين فضل أصيبه»(٣).

وقال الحسن: «لو أن الناس إذا ابتلوا من قبل سلطانهم صبروا؛ ما لبثوا أن يفرج عنهم، ولكنهم يجزعون إلى السيف فيوكلون إليه، فو الله ما جاؤوا بيوم خير قط»(٤).

قال حماد بن زيد: «ذكر أيوب السختياني القُرّاء الذين خرجوا مع ابن الأشعث فقال: لا أعلم أحداً منهم قُتل إلّا قد رُغب عن مصرعه، ولا نجا أحد منهم إلّا حمد الله الذي سلمه، وندم على ما كان منه»(٥).

---

(١) انظر «الطبقات الكبرى» (٧/ ١٤٣).

(٢) أخرجه البيهقي في «الزهد الكبير» (رقم ٨٤٧)، و«تاريخ دمشق» (٥٨/ ٣١٥).

(٣) انظر «الطبقات الكبرى» (٧/ ١٤٣)، و«تاريخ مدينة دمشق» (٥٨/ ٣١٥).

(٤) انظر «الطبقات الكبرى» (٧/ ١٦٤).

(٥) انظر «الطبقات الكبرى» (٧/ ١٨٧)، و«المعرفة والتاريخ» (٢/ ٥٢)، و«تاريخ خليفة بن خياط» (ص٢٨٧).

وقال محمد بن طلحة: «رآني زُبيد مع العلاء بن عبد الكريم ونحن نضحك فقال: لو شهدت الجماجم ما ضحكت، ولوددت أن يدي -أو قال: يميني- قطعت من العضد وأنّي لم أكن شهدت»[١].

وقال عقبة بن إسحاق: «كان منصور بن المعترم يختلف إلى زبيد فذكر أن أهل البيت يُقَتَّلون -يريده على الخروج مع زيد بن علي- فقال زبيد: ما أنا بخارج إلّا مع نبي، وما أنا بواجده»[٢].

قال مالك بن دينار: «لقيت معبد الجهني بمكة بعد ابن الأشعث وهو جريح، وقد قاتل الحجّاج في المواطن كلها، فقال: لقيت الفقهاء والناس، لم أر مثل الحسن، يا ليتنا أطعناه، كأنّه نادم على قتال الحجاج»[٣]*

*[٤] قال أبو الزاهرية: قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «لا تزالوا في بلاءٍ وفتنةٍ، ولا يزداد الأمر إلّا شدة، فإذا لم يلِ الوالي لله، ولم يؤد المولّى عليه طاعة الله، فأوشكوا بكُره الله، فإن كُره الله أشد من كُره الناس».

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: «ما أنا إلى طريق من طرقكم بأهدى مني بكل فتنة، هي كائنة وبناعقها وقائدها إلى يوم القيامة».

---

(١) انظر «سؤالات أبي عبيد الآجري» (٩٦)، و«المعرفة والتاريخ» (٣/ ١٠٩)، و«سير أعلام النبلاء» (٥/ ٢٩٧).

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر «تاريخ مدينة دمشق» (٥٩/ ٣٢٥).

(٤) من هنا وحتى آخر هذا الباب استفدته من كتاب «الفتن» لنعيم بن حماد رحمه الله.

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «والله ما أنا بالطريق إلى قرية من القرى، ولا إلى مصر من الأمصار، بأعلم مني بما يكون من بعد عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».

«وقيل له رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أي الفتن أشد؟ قال: أن تَعرِض على قلبك الخير والشر، فلا تدري أيهما تركب».

وقال أيضاً: «يأتي على الناس زمان، يصبح الرجل بصيراً، ويمسي وما يبصر بشُفْره[(١)]».

عن أبي ثعلبة الخُشني قال: «أبشروا بدنيا عريضة تأكل إيمانكم، فمن كان منكم يومئذ على يقين من ربّه؛ أتته فتنة بيضاء مُسفرة، ومن كان منكم على شك من ربه أتته فتنة سوداء مظلمة، ثم لم يبال الله في أي الأودية سلك».

وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إن الفتنة تُعرض على القلوب، فأي قلبُ أُشربها نكتت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، فمن أحب منكم أن يعلم أصابته الفتنة أم لا؟ فلينظر، فإن رأى حلالاً كان يراه حراماً، أو حراماً كان يراه حلالاً[(٢)]؛ فقد أصابته».

وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الفتنة حق وباطل يشتبهان، فمن عرف الحق؛ لم تضره الفتنة».

---

(١) الشُّفر: حرف جفن العين الذي ينبت عليه الشعر. «النهاية».

(٢) والمقصود تغيّر القناعة؛ لا لمعرفة جديدة من نصوص أو بيان علمي، وإنما لمجرد الهوى، عياذاً بالله تعالى.

وعن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «أقل ما تغلبون عليه من الجهاد، الجهاد بأيـديكم، ثم الجهاد بألسنتكم، ثم الجهاد بقلوبكم، فأي قلب لم يعرف المعـروف، ولا ينكر المنكر، جعل أعلاه أسفله».

وعن أبي عذبة الحضرمي قـال: «إن طـال بكـم عمـرٌ قليـل، فليوشـك بالرجل أن يأتي قبر حميمـه، فيتمعّـك عليـه يقـول: يـا ليتنـي مكانـك، قـد نجوتَ، قد نجوت[1]».

وعن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «كيف أنت وفتنةٌ أفضل النـاس فيهـا كل غَنيٍّ خفي؟ فقال أبو الطفيل: كيف؟ وإنما هو عطاء أحـدنا، يُطـرح بـه كل مطرح، ويُرمى به كل مرمى، فقال حذيفة: كـن إذاً كـابن مخـاض[2]، لا حلوبة فيُحلب، ولا ركوبة فيُركب».

فحذار أن تتعجـل وتُهيِّجـك العواطـف؛ فتُحلـب وتُمتطـى لأغـراض الآخرين وأهدافهم وأهوائهم.

وعن أبي صالح أن علياً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال -حين أخذت السيوف مأخذها مـن الرجال-: «لوددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة».

وقال الحسن البصري: (لودّ علي أنه لم يعمل ما عمل، ولودّ عـمّارٌ أنـه لم يعمل ما عمل، ولودّ طلحة أنه لم يعمل ما عمل، ولودّ الزبير أنه لم يعمل مـا عمل، هبطوا على قومٍ متوشحي مصاحفهم، أهل آخرة، فسيّفوا بينهم».

---

(١) أي: لم تدرك ما أدركت من الفتن.

(٢) المخاض: اسم للنوق الحوامل، وهو ما دخل في السنة الثانية؛ لأنّ أمه قد لحقت بالمخـاض؛ أي: الحوامل، وإن لم تكن حاملاً، وقيل غير ذلك، وانظر «النهاية».

وعن قيس بن عباد قال: قلت لعلي رضي الله عنه أعهد إليك رسول الله ﷺ في هذا الأمر شيئاً؟ فقال: ما عهد إليّ في ذلك عهداً لم يعهده إلى الناس، ولكن الناس وثبوا على عثمان رضي الله عنه فقتلوه، فكانوا فيه أسوأ صنيعاً، وأسوأ فعلاً مني، فرأيت أنّي أحقُّ بها، فوثبت عليها، فالله أعلم أخطأنا أو أصبنا».

وفي لفظ: «ما عُهد إلينا في الإمارة عهداً، نأخذ به، إنما هو شيءٌ رأيته، فإن يك صواباً فمن الله، وإن يك خطأ فمن قِبل أنفسنا».

وعن شقيق قال: «سمعت سهل بن حُنيف يقول بصفّين[١]: أيها الناس اتهموا[٢] رأيكم فو الله لقد رأيتني يوم أبي جندل، ولو أستطيع أن أرد أمر رسول الله ﷺ لرددته، والله ما وضعنا سيوفنا على عواتقنا إلى أمر قط[٣]، إلا

---

(١) موضع بين الشام والعراق بشاطئ الفرات، فيه وقعت المقاتلة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، قاله الكرماني رحمه الله.

(٢) قال الكرماني رحمه الله: «اتهموا: وذلك أنّ سهلاً كان يُتهم بالتقصير في القتال، فقال: اتهموا رأيكم، فإني لا أقصر فيها، وما كنت مقصراً وقت الحاجة كما في يوم الحديبية، فإني رأيت نفسي يومئذٍ لو قدرت على مخالفة حكم رسول الله ﷺ لقاتلت قتالاً لا مزيد عليه، لكن أتوقف اليوم لمصالح المسلمين، فإن قلت: لم نسب اليوم إلى أبي جندل لا إلى الحديبية، قلت: لأن رده إلى المشركين كان شاقاً على المسلمين، وكان ذلك أعظم ما جرى عليهم من سائر الأمور، وأرادوا القتال بسببه، وأن لا يردوا أبا جندل، ولا يرضون بالصلح».

(٣) وفي «صحيح البخاري» (٧٣٠٨): (يفظعنا) مكان كلمة (قط)، ومعنى يفظعنا: أي يوقعنا في أمر فظيع، وهو الشديد في القبح ونحوه، قاله الحافظ رحمه الله في «الفتح».

أسهلن بنا[١] إلى أمر نعرفه؛ إلّا أمركم هذا»[٢].

قال الأعمش: «وكان شقيق إذا قيل له أشهدت صفين، قال: نعم وبئست صفون[٣]».

عن خالد الحذّاء والحسن قالا: قال علي رضي الله عنه: «إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير ممن قال الله تعالى: ﴿إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحِجر]».

---

(١) قال الحافظ رحمه الله: «المعنى أنزلتنا في السهل من الأرض، أي: أفضت بنا، وهو كناية عن التحول من الشدة إلى الفرج».

وقال الكرماني رحمه الله: «أسهلن: أي: السيوف، أي: أفضين بنا إلى أمر سهل نعرفه خيراً غير هذا الأمر؛ أي: الذي نحن فيه من هذه المقاتلة في صفّين؛ فإنّها لا تسهل بنا.

قال الحافظ رحمه الله: «وقوله (بنا): في رواية الكشميهني (بها)؛ ومراد سهل أنهم كانوا إذا وقعوا في شدة يحتاجون فيها إلى القتال في المغازي والثبوت والفتوح العمرية؛ عمدوا إلى سيوفهم فوضعوها على عواتقهم -وهو كناية عن الجد في الحرب-، فإذا فعلوا ذلك انتصروا، وهو المراد بالنزول في السهل، ثم استثنى الحرب التي وقعت بصفّين؛ لما وقع فيها من إبطاء النصر، وشدة المعارضة من حُجج الفريقين، إذ حُجة علي ومن معه؛ ما شُرع لهم من قتال أهل البغي، حتى يرجعوا إلى الحق، وحُجة معاوية ومن معه ما وقع من قتل عثمان مظلوماً، ووجود قتلته بأعيانهم في العسكر العراقي، فعظمت الشبهة حتى اشتد القتال، وكثر القتل في الجانبين إلى أن وقع التحكيم؛ فكان ما كان».

(٢) أخرجه البخاري (٣١٨١)، وفي مواطن أخرى، ومسلم (١٧٨٥).

(٣) أي: بئست المقاتلة التي وقعت فيها، وأُعرب هذا اللفظ كإعراب الجمع، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾﴾ [المطفّفين]، قاله الكرماني رحمه الله.

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن؛ أن حسين بن علي دخل على عثمان رضي الله عنهم وهو محصور، فقال: «يا أمير المؤمنين، أنا طوع يديك فمرني بما شئت، فقال له عثمان: يا ابن أخي، فاجلس في بيتك حتى يأتي الله بأمره، فلا حاجة لي في هراقة الدماء».

وعن ابن سيرين قال: قال أبو مسعود الأنصاري رضي الله عنه: «أصبح أمرائي يخيرونني أن أُقيم على ما أرغم أنفي، وقبّح وجهي، أو آخذ سيفي فأقاتل فأقتل، فأدخل النار، فاخترت أن أقيم على ما أرغم أنفي، وقبح وجهي، ولا آخذ سيفي فأقاتل فأقتل فأدخل النار».

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: «إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حسن، وليس من السنة أن ترفع السلاح على إمامك».

وعن سويد بن غفلة قال: «قال لي عمر رضي الله عنه: لعلك تبقى حتى تدرك الفتنة، فاسمع وأطع، وإن كان عليك عبد حبشي، إن ضربك فاصبر، أو حرمك أو ظلمك فاصبر، وإن أرادك على أمر ينقصك في دينك فقل: سمعاً وطاعة، دمي دون ديني».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كنت مع عثمان رضي الله عنه في الدار، فقتل منا رجل، فقلت: يا أمير المؤمنين طاب الضراب، قتلوا منا إنساناً، قال: عزمت عليك، لَمَا طرحتَ سيفك، فإنما تُرادُ نفسي، فسأقي المؤمنين اليوم بنفسي، قال: فطرحت سيفي، فما أدري أين وقع».

وعن ابن سيرين أن كعباً بعث إلى عثمان رضي الله عنه وهو محصور أن حقك اليوم على كل مسلم كحق الوالد على ولده، وأنك مقتولٌ لا محالة فاكفف يدك، فإنه أعظم لحجتك عند الله يوم القيامة، فلمّا بلغه ذلك قال لأصحابه: «أعزمُ على كل من كان يرى لي عليه حقاً لما خرج عني؟ فغضب مروان فرمى بالسيف من يده حتى أثر في الجدار».

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «حبذا موتاً على الإسلام، قبل الفتن».

وعن عيسى بن عاصم أن الوليد بن عقبة أرسل إلى ابن مسعود «أن اسكت عن هؤلاء الكلمات: إن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدى هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها.

فقال ابن مسعود: امّا دون أن يفرِّقوا بين هذه وهذه فلا، فقام عتريس بن عرقوب فاشتمل على السيف، ثم أتى عبد الله فقام عند رأسه، فقال: هلك من لم يأمر بالمعروف، وينه عن المنكر، فقال عبد الله: لا، ولكن هلك من لم يعرف بقلبه معروفاً، ولم يُنكر بقلبه مُنكراً. فقال عتريس: لو قلت غير هذا لمشيت إلى هذا الرجل حتى أضربه بالسيف، حتى لا يعملوا لله بالمعصية في أجواف البيوت، فقال له عبد الله: اذهب فألق بسيفك، وتعال فاقعد في ناحية هذه الحلقة».

وعن أبي العالية أن عبد الله بن الزبير، وعبد الله بن صفوان كانا في الحِجر، فمر بهما ابن عمر فبعثا إليه فأتاهما، فقال له عبد الله بن صفوان: «ما يمنعك أبا

عبد الرحمن أن تُبايع أمير المؤمنين -يعني ابن الزبير-، وقد بايع له أهل العروض وأهل العراق، وعامة أهل الشام، فقال: لا والله، لا أبايعكم وأنتم واضعون سيوفكم على عواتقكم، تُصيب أيديكم من دماء المسلمين».

وعن حميد بن هلال، قال: قيل لسعد أيام تلك الفتن: يا أبا إسحاق، ألا تنظر في هذا الأمر، فإنك من أهل بدر، وإنك بقية أهل الشورى، ولك حال، قال: ما أنا بقميصي هذا بأحق مني بالخلافة، وما أنا بالذي أقاتل حتى أوتى بسيفٍ يعرف المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن، فيقول: هذا مؤمن فلا تقتله، وهذا كافر فاقتله».

وعن الزهري قال: «لقي علي أسامة بن زيد رضي الله عنهما أو أرسل إليه فقال له علي: ما كنا نعدُّك إلّا من أنفسنا يا أسامة، فلم تدخل معنا في هذا الأمر؟ فقال أسامة: يا أبا الحسن، إنك والله لو أخذت مِشفَر الأسد[1] لأخذت بمشفره الآخر معك، حتى نهلك جميعاً، أو نحيا جميعاً، فأمّا هذا الأمر الذي أنت فيه، فوالله ما كنت لأدخل معك فيه أبداً[2]»[3].

(١) أي: لو أخذت إحدى شفتي الأسد، لأخذت بالشفة الأخرى، لا أدعك وحدك، ولا أتخلى عنك، ولا أسألك عن الأخطار والصعاب.

(٢) رضي الله عن أسامة؛ ماذا لو رأى ما عليه النّاس الآن!! وأقول: أوليس الأولى والأحرى التحرج من مشاركة كثيرين في القتال وهم دون أسامة بن زيد بأضعاف مضاعفة.

(٣) قلت: وأخرجه البخاري (٧١١٠) عن حرملة مولى أسامة قال: «أرسلني أسامة إلى علي، وقال: إنه سيسألك الآن، فيقول: ما خلف صاحبك؟ فقل له: يقول لك: لو كنت في شدق الأسد لأحببت أن أكون معك فيه، ولكن هذا أمر لم أره».

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: «أنه قال لرجل يسأله عن القتال مع الحجّاج أو ابن الزبير، فقال له ابن عمر: مع أي الفريقين قاتلت فقُتلت؛ ففي لظى».

وعن طاووس قال: «لما وقعت فتنة عثمان رضي الله عنه قال رجل لأهله: أوثقوني بالحديد، فإني مجنون، فلما قُتل عثمان: قال خلوا عني، الحمد لله الذي شفاني من الجنون، وعافاني من قتل عثمان».

وعن ابن سيرين قال: «نُبِّئتُ أن سعداً كان يقول: قد جاهدت إذ أنا أعرف الجهاد، ولا أقاتل حتى تأتوني بسيف له عينان ولسان وشفتان، فيقول: هذا مؤمن، وهذا كافر».

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه أتاه رجلان في فتنة ابن الزبير، فقالا: «إن الناس قد صنعوا ما ترى، وأنت ابن عمر بن الخطاب، وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما يمنعك أن تخرج؟ قال: يمنعني أن الله تعالى حرم علي دم أخي المسلم، قالا: أو لم يقل الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ﴾ [البقرة:١٩٣]، قال: فقد قاتلنا حتى لم تكن فتنة، وكان الدين لله، فأنتم تريدون أن نقاتل حتى تكون فتنة، ويكون الدين لغير الله».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «دخلت على عثمان رضي الله عنه يوم الدار، فقلت: يا أمير المؤمنين، طابٌ أم ضرب[1]، قال: يا أبا هريرة، أيسرك أن تقتل الناس

(١) أي: حل القتال، أراد: أن طاب الضرب. «النهاية».

جميعاً، وإياي معهم؟ قال: قلت: لا، قال: فإنك والله لئن قتلت رجلاً واحداً؛ لكأنما قتلت الناس جميعاً، فرجعت ولم أقاتل.

قال أبو صالح[١]: وسمعت عبد الله بن سلام يوم قُتل عثمان رضي الله عنه يقول: والله لا تُهريقوا مَحجماً[٢] من دم؛ إلّا ازددتم من الله بعداً».

وعن عبد الرحمن بن جبير: «أن عثمان رضي الله عنه قال يوم حوصر: بم يستحلون قتلي، وإنما يحل القتل على ثلاثة: مِن كفر بعد إيمان، وزناً بعد إحصان، أو قتل نفس بغير نفس، ولم آتِ من ذلك شيئاً، والله لئن قتلتموني لا تُصلوا جميعاً، ولا تجاهدوا عدواً جميعاً، إلّا عن أهواء متفرقة».

وعن ابن عمر أنه قال يوم قتل عثمان رضي الله عنهم: «والله لئن قتلتموه، لا تُصلوا جميعاً أبداً، ولا تحجّوا جميعاً أبداً، ولا تجبون فيئاً جميعاً أبداً؛ إلّا أن تحضر الأبدان، والأهواء مختلفة».

وقال عمر بن عبد العزيز: «إذا كان لك إمام يعمل بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقاتل مع إمامك، وإذا كان عليك إمام لا يعمل بكتاب الله، ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فخرج عليه خارجي، يدعو إلى كتاب الله، وسنة رسول الله؛ فاجلس في بيتك».

أقول: لأن الأمر غالباً سيفضي إلى إهراق الدماء، وعدم العمل بكتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) هو الراوي عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) المحجم -بالكسر-: «الآلة التي يجتمع فيها دم الحجامة عند المص». «النهاية».

وعن الضحاك: «أن رجلاً كان يقوم على رأس الأمير سأله، قال: يـؤتى بالرجل إلى الأمير، لا أدري مـا حالـه، فيـأمرني أن أضرب عنقـه، قـال: لا تضرب عنقه، قال: فإن الأمير يأمرني، قال: وإن أمـرك الأمـير فـلا تُطعـه، قال: إذا يضرب عنقي، قال: فكن أنت المضروب عنقه».

وعن محمد قال: «لما اجتمعوا على باب عثمان رضي الله عنه قيل له: لو خرجـت في كتيبتك عسى إن رأوها رجعوا، قال: فخرج عثمان في كتيبته، قال: فيستلُّ من أولئك رجل، ويستل من هؤلاء رجل، فاضطربا بأسيافهما، فحانت من عثمان التفاتة، فقال: في نزعي وتأميري يقتتلـون، فرجـع فـدخل الـدار فـما أعلمه خرج بعد ذلك، حتى قتل».

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: «ليأتين على الناس زمان لا ينجو منـه أحـد؛ إلا الذي يدعو كدعاء الغَرِقِ» [1].

(١) «الفتن وسبيل النجاة منها» (ص١٦٤-١٧٩).

الفصل السادس

حتى لا تنخدع

يقول ﷺ: «**سيأتي على الناس سنواتٌ خَدَّاعات، يُصَدَّقُ فيها الكـاذب، ويُكَذَّبُ فيها الصَّادقُ، ويُؤْتَمَنُ فيه الخائنُ، ويُخَوّنُ فيها الأمين، وينطـق فيهـا الرُّويبضة، قيل: وما الرويبضة؟ قال: الرجل التّافة يتكلم في أمر العامة**»[١].

قـال الـشيخ عبـد المالـك رمـضاني -حفظـه الله- في كتابـه «حكـم المظاهرات» تحت عنوان:

هل المقتول في المظاهرات شهيد؟!

من أغرب ما سمعت أن أحد التجار في بلاد تونس -صانها الله من كل سوء- ظُلم في تجارته من قبل بعض الشرطة فأحرق نفسه بالنار حتى قتلها! فتتابع أناس في بلاد أخـرى عـلى الانتحـار مـن أجـل الخُبـز!! فجـاء أحـد المتكلفين للفتوى يشهد لهم بالشهادة، والله يقـول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٢٩﴾﴾ [النساء]، والرسـول ﷺ يقـول: «**مـن قتـل نفـسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهـنم خالـداً مخلـداً فيهـا أبداً، ومن شرب سماً فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيهـا**

(١) صحيح الجامع (٣٥٤٤).

أبداً، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً»[(١)].

وعن جندب عن النبي ﷺ قال: «**كان برجل جراح فقتل نفسه، فقال الله: بدرني عبدي بنفسه! حرمت عليه الجنة**»[(٢)].

بل ثبت أن النبي ﷺ شهد على رجل من المسلمين بالنار على الرغم من شدة بأسه في قتال المشركين؛ لأنه لما جرح لم يصبر حتى قتل نفسه، فعن أبي هريرة قال: «شهدنا مع رسول الله ﷺ حُنيناً، فقال لرجل ممن يُدعى بالإسلام، **هذا من أهل النار!** فلما حضرنا القتال قاتل الرجل قتالاً شديداً فأصابته جراحة، فقيل: يا رسول الله! الرجل الذي قلت له آنفاً: **إنه من أهل النار**، فإنه قاتل اليوم قتالاً شديداً، وقد مات؟! فقال النبي ﷺ: **إلى النار!** فكاد بعض المسلمين أن يرتاب، فبينما هم على ذلك إذ قيل: إنه لم يمت ولكن به جراحاً شديدة! فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه!! فأُخبر النبي ﷺ بذلك، فقال: **الله أكبر! أشهد أني عبد الله ورسوله**، ثم أمر بلالاً فنادى في الناس: **إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر**»[(٣)]، هذا في حق من خرج مقاتلاً جيش

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٧٧٨)، ومسلم (١٠٩) واللفظ له.

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٣٦٤)، ومسلم (١١٣).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٠٦٢)، ومسلم (١١١) واللفظ له.

أعداء الله ببسالة شُهدت له، لم يشفع له ذلك، فكيف بمن انتحر من أجل الدنيا كحال من ذكرت آنفاً!!

ثم لم يلبث هذا المفتي المتكلف أن ضمن هو وَغيره الشهادة لكل من مات خارجاً في المظاهرات!! ولا ريب أن الخارجين في المظاهرات خارجون على سلطانهم، وقد أخبر النبي ﷺ أن من يموت خارجاً على سلطانه المسلم يموت ميتة جاهلية؛ روى مسلم (٤٨٩٢) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة، ثم مات، مات ميتة جاهلية**»[1]، ولا شك أن المتظاهرين خرجوا عُصاة لحاكمهم؛ لأنه لا يرضى منهم ذلك، ومن تظاهر بالرضا أو الإذن فإنما هو بسبب إكراه المجتمع الدولي الذي تكلف حماية الفتن ليُخلخل أمن البلاد المسلمة خاصة! بدليل أن الحكام الذين تظاهر الناس ضدهم حاولوا الثبات في مناصبهم ورد المتظاهرين، ومن تنازل تنازل مكرها، بل منهم من خرج من قصر الحكومة إلى العناية المركزة بالمستشفى! أفي مثل هذه الظروف يقال: أذن السلطان في المظاهرات؟! وليُعلم أن إذنَه لو تصورناه صدقاً لا يُبيح المظاهرات؛ لأن المظاهرات ليست متعلقة بحق الحاكم فحسب، بل فيها أيضاً حق الرسول ﷺ كما مر، فمن ذا الذي يستطيع أن يدعي أنه استأذنه ﷺ في إسقاط هذا الحق فأذن له؟! وفيها أيضاً حق الشعب في أن يؤمَّن في

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٨٤٨).

ماله وعرضه ودمه؛ إذ لا يجوز إدخالـه في صراعـات طائفيـة أو سياسـية أو غيرها تؤدي إلى خلخلة تلك الأمور الثلاثة، أو باختصار: لا يجوز توريطـه في المظاهرات التي أقل ما فيها أنها تُمزقه من أجل الوصول إلى الحُكم أو من أجل إرضاء المجتمع الدولي المتدخل في شؤون الناس بغير حـق؛ لأنّ عـادة الأحزاب المتناحرة على السلطة أنهم لا يفكرون فيما يتسببون فيه مـن إراقـة للدماء وما يُنتهك من أعراض ويُبدد من أموال لقلة شفقتهم على المـسلمين واستيلاء شهوة حب الرئاسة على قلوبهم، بل لو قيل لهم: تظاهركم وعنـاد حاكمكم لكم وعنادكم له قد يسلط علـيكم التـدخل الأجنبـي مـن قـوى الكفر لما حرك منهم شعرة غيرة على بـلاد المـسلمين كـما شـاهده النـاس في بعض البلاد الإسلامية التي خربتها المظاهرات والمجتمع الـدولي، وتـأملوا صنيع المشفق على أرواح المسلمين حقاً: روى ابن سعد (٤/ ١٦٩) وابن أبي الـدنيا في «الإشراف عـلى منـازل الأشراف» (٧) وعبـد الغنـي المقـدسي في «تحريم القتل وتعظيمه» (٨٥) بسند حـسن أن مـروان بـن الحكـم الخليفـة الأموي قال لعبد الله بن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «هلم أُبايعك؛ لأنك سـيد العرب وابن سيدها، فقال له ابن عمر: فكيف أصنع بأهـل المـشرق؟ قـال: نُقاتلهم، قال: والله! ما يسرُّني أن العرب دانت لي سبعين عاماً وأنـه قتـل في سببي رجل واحدٌ!»، وهذا التنازل من هذا الخليفة من تواضعه الـذي ينـدر جداً أن يوجد مثله في الملوك، ولكن ابن عمر كان أشد تواضعاً منـه وزهـداً في الرئاسة وأكثر شفقة على الأمة إذ قدم مصلحتها على تنازل مروان، ونظر

إلى كون أهل المشرق غلبت عليهم العصبية لبني أمية وكانوا أمة عظيمة فخشي أن تراق الدماء في ذلك؛ وروى أبو نعيم (١/ ٢٩٣) عن الحسن قال: «لما كان من أمر الناس ما كان من أمر الفتنة، أتوا عبد الله بن عمر فقالوا: أنت سيد الناس وابن سيدهم، والناس بك راضون، اخرج نُبايعك، فقال: لا والله! لا يُهراق في مِحجمةٌ من دم، ولا في سببي ما كان فيَّ الروح، قال: ثم أُتي فخُوِّف، فقيل له: لتخرجن أو لتقتلن على فراشك؟! فقال مثل قوله الأول، قال الحسن: فوالله! ما استقلُّوا منه شيئاً حتى لحق بالله تعالى»، أي ما حصلوا منه شيئاً ولو قليلاً، ففي «السير» للذهبي (٣/ ٢٣٩) قال الحسن: «أطمعوه وخوفوه فما قدروا على شيء منه»، وفيه: «أن ابن عمر قال: لو اجتمعت علي الأمّة إلا رجلين ما قتلتهما».

ولما خرج الناس على حُكم يزيد بن معاوية كان ابن مُطيع يُحرض الناس فأتاه عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ينهاه، فقد روى مسلم (٤٨٢١) عن نافع قال: «جاء عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مُطيع حين كان من أمر الحَرَّة ما كان زمن يزيد بن معاوية، فقال: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة، فقال: إني لم آتك لأجلس، أتيتك لأُحدثك حديثاً سمعت رسول الله ﷺ يقوله، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حُجة له، ومن مات وليس في عُنقه بيعة مات ميتة جاهلية**»[1]، ولا ريب أن

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٨٥١).

المتظاهرين خالعوا بيعة أميرهم، بل من شروطهم للرجوع عن تظاهرهم أن يتنحى الأمير عن منصبه، فأي خروج أوضح من هذا؟ وأيّهم يسلم من ميتة الجاهلية إذن؟! أفيُقال مع هذه الأحاديث النبوية: إن أمواتهم شهداء؟!

بل ذكر العلماء أن الساعي في الخروج على الحاكم بأدنى شيء يعد خارجاً؛ لما رواه البخاري (٧٠٥٣)، ومسلم (١٨٤٩) عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «**من كره من أميره شيئاً فليصبر؛ فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية**»، فأين مِيتةُ الشهيد من هذه الميتة؟! قال ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٧): «وقوله: (شِبْراً) بكسر المعجمة وسكون الموحدة، وهي كناية عن معصية السلطان ومحاربته، قال ابن أبي جَمرة: المراد بالمفارقة السعي في حل عَقد البيعة التي حصلت لذلك الأمير ولو بأدنى شيء فكنّى عنها بمقدار الشِّبر...»، وأين الشبر من الخارجين في المظاهرات يجرون أذيال الفتنة ويجوبون بأقدامهم ملايين الأشبار من التمرد والمخالفة؟! وقد روى اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١٦١) عن حذيفة رضي الله عنه قال: «والله! ما فارق رجل الجماعة شبراً -وهو يشبِّر عند فخذه- إلّا فارق الجماعة»، ومعلوم أن الجماعة ليست هي الحزب الذي يحلم به الحركيون أو التبليغيون، وإنما تطلق على الشعب الذي تحت السلطان كما مر.

نجاح المظاهرات؟

وأما ما قيل عن نجاح المظاهرات، فإن المرء لا يستدل بالنتائج لتشريع شيء ما؛ لأن النتيجة المحببة قد تكون من تزيين الشيطان؛ لأن من وظائفه إضفاء المشروعية على الأعمال بتحسين نتائجها فيما يُظهره للناس، ويُقنعهم بالنتائج المزينة حتى يصدهم عن البحث عن البينة، قال الله تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النمل]، بل قد ثبت بالنص أنه ليس كل من وصل إلى السلطة بورك له فيه؛ ففي صحيح مسلم (٤٨٢٣) عن أبي ذر قال: قلت: «**يا رسول الله! ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي، ثم قال: يا أبا ذر! إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلّا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها**»(١)، فشرط عليه أن يأخذها بحقها لا أن يأخذها بأي طريق، وأن يؤدي حقوقها، وفي صحيح البخاري (٦٦٢٢) ومسلم (٤٢٩٢) أن عبد الرحمن بن سمرة قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يا عبد الرحمن بن سَمُرة! لا تسأل الإمارة؛ فإنك إن أعطيتها، عن مسألة وكلت إليها، وإن أُعطيتها، عن غير مسألة أُعنت عليها**»(٢)، ومعلوم أنه كم من دولة حرص عليها ولاتُها حتى قامت على الأشلاء والجماجم، فمن كان دليلة النظر في النتائج بارك لها

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٨٢٥).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٦٢٢)، ومسلم (١٦٥٢) واللفظ له.

الوصول وكساها تيجاناً على العمائم! ومن كان دليله الوحي عزّاها على تضييع عون الله وعجز الفواطم! فقد قال ﷺ: «**إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة، فنعم المرضعة وبئست الفاطمة**»(١).

لذا، فإن النجاح الظاهري للقرب وسيلة أو غاية لا يعد نجاحاً إلا بشرطين هما:

الأول: أن يكون العاملون فيه يريدون وجه ربهم لا أن يقوموا من أجل بطونهم.

والثاني: أن يكونوا فيه متبعين للرسول ﷺ لا مخالفين له.

ومما سبق فقد بان مُخالفة المتظاهرين لهدي نبيهم ﷺ في المسألة نفسها، وأما من جهة النية فقد عَلم الناس أن أكثر المتظاهرين قاموا طلباً لشبع، أو دفعاً لوجع، عَرَّاقون مَرَّاقون(٢)، فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون.

فالنظر الناقد الشرعي لكل مسألة من مسائل القرب ينطلق من هذين الشرطين، وهما سر النجاح في الدنيا والآخرة، ومن كان ينطلق في وزن أموره من نتائجها اختل ميزانه ودخل على أحكامه من الفساد ما لا ينضبط

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧١٤٨).

(٢) أي هم طلاب مرق وطلاب عرق وهو العظم عليه بقية من اللحم.

معه شيء من الحلال والحرام، ولم يُصبح يفكر في الدليل الشرعي، وهل بداية التحلل من الدّين إلا هذا؟!

فبه صار للكهان أتباع؛ لأنهم ربما أَخبروا عن أمرٍ غيبي فوقعت النتيجة كما أخبروا، فمن كان ناظراً إلى النتائج تبعهم ولا بد، وقد قالت عائشة: «سأل أُناسٌ رسول الله ﷺ عن الكهان، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**ليسوا بشيء**، قالوا: يا رسول الله! فإنهم يحدثون أحياناً بالشيء يكون حقاً؟ فقال رسول الله ﷺ: **تلك الكلمة من الحق، يخطفها الجني، فيقرها في أذن وليه قر الدجاجة، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة**»[١].

وبهذا المنطلق تداوى بعض المسلمين بالحرام، أليس قد جرب أناس منهم التداوي بالخمر فظهر لهم الشفاء بادي الرأي؟! مع أنه قد جاء في صحيح مسلم (٥١٨٥) «أن طارق بن سُويد الجُعفي سأل النبي ﷺ عن الخمر؟ فنهى أو كره أن يصنعها، فقال: إنما أصنعها للدواء؟ فقال: إنه ليس بدواء ولكنه داء»[٢]، فمن نظر إلى النتيجة سارع إلى رد كلام المعصوم ﷺ!

كما جرب كثير من الناس التعامل بالربا فوجدوه نافعاً لهم في ثراء أموالهم، فهل تكون هذه النتيجة دليلاً شرعياً لإباحة الربا؟! مع أن الله نهانا أن ننخدع بالنتيجة المادية التي تحصل من المال الخبيث فقال: ﴿قُل لَّا

(١) أخرجه البخاري (٦٢١٣)، ومسلم (٢٢٢٨).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٩٨٤).

يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [المائدة].

وجرب الكفار الكفر فوجدوا أنفسهم متحضرين أغنياء أقوياء، فهل ينبغي للناس أن ينسلخوا من دينهم ويندفعوا نحو الكفر كي يحققوا هذه النتائج الثلاثة: أن يتحضروا ويستغنوا ويتقوّوا؟! وقد قال الله -عز وجل-: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ ﴾ [آل عمران].

ونقول أخيراً: إن النتائج المُستحسنة المؤسسة على مُخالفة الشريعة ندامة وليست كرامة؛ لأنها استدراج من الله لعباده المنحرفين عن الحق بعد أن عرفهم إياه حتى إذا أخذهم سبحانه كادهم بكيده المتين، كما قال ربنا -عز وجل-: ﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ ﴾ [القلم]، وعن عقبة بن عامر عن رسول الله ﷺ قال: «**إذا رأيت الله يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معاصيه فإنما ذلك له منه استدراج، ثم نزع هذه الآية:** ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنعام]»[1].

---

(١) **صحيح**: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ٣٣٠، ٣٣١) واللفظ له، وفي «الأوسط» (٩٢٧٢)، وأحمد (٤/ ١٤٥)، [«الصحيحة» (٤١٣)].

لذا فلن يتعلق بالنتائج المخالفة للهدي النبوي إلا من ضعف إيمانه ينصوص الوحي، وقل يقينه فيها من المذبذبين المترددين المرتابين، وأما أهل اليقين فإن قلوبهم معلقة بالكتاب والسنة ولو خالفتها المصالح الظاهرة للخلق، ففي صحيح مسلم (٣٩٤٥) عن بعض الصحابة أنه قال: «نهانا رسول الله ﷺ عن أمر كان لنا نافعاً، وطواعية الله ورسوله أنفع لنا»[١]، وفي صحيح البخاري (٥٦٨٤)، ومسلم (٥٨٢٣) عن أبي سعيد الخدري قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن أخي استطلق بطنه، فقال رسول الله ﷺ: **اسقه عسلا**، فسقاه، ثم جاءه فقال: إني سقيته عسلاً فلم يزده إلا استطلاقاً! فقال له ثلاث مرات، ثم جاء الرابعة فقال: **اسقه عسلاً**، فقال: لقد سقيته فلم يزده إلا استطلاقاً! فقال رسول الله ﷺ: **صدق الله، وكذب بطن أخيك! فسقاه فبرأ**»[٢].

وقد كنت بدأت في تأليف هذا الكتاب قبل أن يصيب المسلمين ما أصابهم من جراء المظاهرات والتوسل بها لإسقاط حكامهم، مع أنهم لا يدرون شيئاً عمن سيخلُفُهم: أيخلُفهم بتحكيم شريعة الرحمن، أم يخلُفهم بتحكيم قوانين الشيطان؟! ثم شاء الله أن يتأخر طبعه إلى أن بلغوا هذا الوضع من تقديس المظاهرات والاستغاثة فيها بشر البريات، فاقول الآن:

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٥٤٨).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٦٨٤)، ومسلم (٢٢١٧) واللفظ له.

إن مما نخشاه أن تترك الشعوب المسلمة التأسي برسول الله ﷺ فيما سبق وتتأسى بالشعوب الثائرة كثوران الشيوعيين والديمقراطيين ثم يُؤملون صلاح أوضاعهم، ويحميهم الكفار في مظاهراتهم ليحرموا البلاد المسلمة الاستقرار وتدخل الفوضى كل بلد مسلم، فيكسب الكفار المخططون لهذه الفتن مرتين: مرة بتحويل بلاد المسلمين إلى ميادين تجارب (خُبزية) نهايتها صراعات دموية تتوسطها تمزقات سياسية ونكسات اقتصادية، كلما جاع فر دبر له من أمثاله من يخرج على الدولة، وكلما خافوا أن يمنعوا استغاثوا بالكفار، ونادوا أربابَ الفتن ليزيدوهم حطباً على نار، فيكسب الكفارُ حينئذٍ الثانية التي هي تعلق المسلمين بهم، ولعلها تتبعها ثالثة وهي: أنه إذا أراد الكفار أن يُنَصِّبوا أحد جندهم على المسلمين لم يتعبوا، بل يكفي لضمان نجاح فتنتهم أن يدسوا للحركيين أو الدمويين أو الغوغائيين عموماً من يستفزهم بسؤال عن حكم المظاهرات ليسارعوا إلى التأييد وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، مع أنهم جوالون في الفتن، والأيدي الخفية التي تحركهم تزيدهم محناً على محن، دائبة على تفريق رجالها وإهلاك عيالها وشُرب دم أجيالها، تحرُش بين الحاكم والمحكوم، باسم إقامة العدل ونصر المظلوم؛ لتضمن عندهم حياة للفوضى السياسية والاجتماعية والاقتصادية فتشغلهم بها، بينما هي تتفرغ لشؤونها الاستعمارية بلا رقيب ولا مشاكس، وتمضي نحو التسلح والتقدم بلا منافس، يُبدون الغيرة على الشعوب وهم

يُغيرون عليها، ويبكون عليها في المؤتمرات وهم يأتمرون عليها! ولعلهم يبحثون عن عراق جديدة، لكنهم لا يُقنعهم اليوم أن تكون بلدة وحيدة، بل من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي، ويساندهم في ذلك كل حركي غبي، والله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين.

على كلٍّ، تلك هي سُنَّة المظاهرات! تُهيج الفُساق، وتُحرك المُراق، يمرقون عن الطاعة، ويخرجون عن الجماعة، وكيفما كان السلطان في ضعفه فإنهم بمظاهراتهم يُقرون عين الكفر، ويذهلون عن الشكر؛ لأنهم كانوا في أمن وأمان، فزادوا جراحات الأمة بإثخان، وقد كانت الفتن فيهم تخطو، فصارت تمطو، فكانوا كمن يُعالج الجروح بالقُروح، ويغسل الرجيع بالنَّجيع.

هذا، وقد اطّلعت على بحث لأخينا قامع البدع فضيلة الشيخ عبد العزيز بن ريِّس الريِّس حفظه الله بعنوان: «كشف شبهات مجوزي المظاهرات»، وقد وفق فيه أيما توفيق جزاه الله خيراً، فأحببت أن أشرك القارئ في غُنمه، ولخصت من قوله الآتي:

«فإن فقد علماء السُّنة رزية، وتترتب عليه مفاسد جلية، ومن أعظمها تجاسر أهل البدع في الدعوة إلى بدعهم وضلالهم، قال الآجري في كتابه: أخلاق العلماء: «فهم سراج العباد، ومنار البلاد، وقِوامُ الأمة، وينابيع الحكمة، هم غيظ الشيطان، بهم تحيا قلوب أهل الحق، وتموت قلوب أهل الزيغ، مَثلهم في الأرض كمثل النجوم في السماء، يُهتدى بها في ظلمات البر والبحر، إذا انطمست النجوم تحيروا، وإذا أسفر عنها الظلام أبصروا».

ومن الأمثلة على ذلك: ما ذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء» عن يحيى بن أكثم قال: قال لنا المأمون: «لولا مكان يزيد بن هارون، لأظهرت القرآن مخلوق، فقيل: ومن يزيد حتى يُتَّقى؟ فقال: ويحك إني لأرتضيه لا أن له سلطنة، ولكن أخاف إن أظهرته، فيرد عليَّ، فيختلف الناس، وتكون فتنة».

وفي هذا ما يدل على أن حياة أئمة السنة حماية للشريعة ولعموم البرية من البدع والضلالات الردية، وهذه القصة -وإن كانت في رد بدعة من الحاكم- فهي كذلك في عموم أهل الضلالة، سواء كانوا حكاماً أو محكومين، وبعض من رُبِّي على الثورة والتحزبات البدعية قصر فهمه على أن الشجاعة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقول كلمة الحق أمام الحكام فقط دون غيرهم.

والواقع أن الأمر أعمّ وأشمل، بل إن الشجاعة حقاً في مصابرة النفس على مخالفة الجماهير لنصر سُنة وقمع بدعة، وما أكثر الذين وجدوا في مواجهة الحكام سوقاً رائجاً في جمهرة الناس حولهم، وبعضهم اتخذه سبيلاً لتحقيق مأربه، فإذا تجمهر الناس حوله ساوم الحكام تصريحاً أو تعريضاً على مصالح مادية ونحو ذلك.

وإننا لما فقدنا في هذا العصر أئمته الثلاثة الإمام عبد العزيز بن باز والإمام محمد ناصر الدين الألباني والإمام محمد بن صالح العثيمين رحمهم الله رحمة واسعة، أظهر كثير من أهل البدع والضلالة وغيرهم أقوالهم الضالة بعد أن كانوا لها مستترين خوفاًمن شهب هؤلاء الأئمة الثلاثة.

وعلى إثر موت هؤلاء الأئمة الثلاثة وتوالي الفتن، تقوى الحزبيون والمتأثرون بهم في إظهار القول بشرعية المظاهرات، فلما رغبوها واستحسنتها نفوسهم أرادوا أسلمتها، فأخذوا يتكلفون للتدليل عليها بما فيه شبهة للدلالة عليها، وما لا شبهة فيه، فاعتقدوا أولاً، ثم استماتوا للاستدلال عليها ثانياً، كما هي عادتهم في كثير من الوسائل المحدثة، كالأناشيد المساة إسلامية! والتمثيل المسمى إسلامياً! وهكذا..

وإليك الأدلة على حرمة المظاهرات:

إن المظاهرات قسمان:

القسم الأول: المظاهرات التي يراد منها أمورٌ شرعية دينية.

القسم الثاني: المظاهرات التي يراد منها أمور دنيوية، وهذه نوعان:

النوع الأول: المظاهرات لإسقاط حاكم لدافع دنيوي لا ديني.

النوع الثاني: المظاهرات لتحصيل ما سوى ذلك من أمور الدنيا.

أما القسم الأول: المظاهرات التي يراد من ورائها تحقيق أمور شرعية دينية، فهذه بدعة في الدين؛ لأنها محدثة، والقاعدة الشرعية النبوية: **أن كل بدعة ضلالة**، كما أخرج ذلك مسلم في صحيحه[1] عن جابر من كلام رسول الله ﷺ.

(١) حديث رقم (٨٦٧).

فإن قيل: إن هذه من الوسائل، والأصل في اتخاذ الوسائل الجواز ما دامت مباحة.

فيقال: هذا حق، لكن في غير الوسائل المؤدية إلى العبادات، فإن للوسائل أحوالاً ثلاثة:

الحالة الأولى: الوسائل الملغاة، وهي الوسائل التي جاء النهي عنها بدليل خاص، ولا إشكال في بدعية اتخاذ هذه الوسائل، كاتخاذ التمثيل وسيلة من وسائل الدعوة؛ لأنه محرم؛ لكونه متضمناً الكذب.

الحالة الثانية: الوسائل المعتبرة، وهي التي نص الشرع على جوازها بنص خاص، مثل: جعل الأذان وسيلة للإعلام بدخول وقت الصلاة، ولا إشكال في شرعية هذه الوسائل.

الحالة الثالثة: الوسائل التي لم يأتِ نص خاص بجوازها ولا حرمتها، وهذه تتردَّدُ بين المصالح المرسلة والبدع المحدثة، والضابط في التفريق بين هذين النوعين دقيق، حرره تحريراً بديعاً شيخ الإسلام ابن تيمية، وكان يردده كثيراً العلامة الألباني رحمه الله، وخلاصة ذلك أمران:

الأول: أن ينظر في هذا الأمر المراد إحداثه لكونه مصلحة، هل المقتضي لفعله كان موجوداً في عهد الرسول ﷺ والصحابة والمانع منتفياً؟

أ- فإن كان كذلك ففعل هذه المصلحة المزعومة بدعة؛ إذ لو كانت خيراً لسبق القوم إليه فإنهم بالله أعلم وله أخشى، وكل خير في اتباعهم فعلا وتركاً.

ب- أما لو كان المقتضي -أي السبب المحوج- غير موجود في عهدهم، أو كان موجوداً لكن هناك مانع يمنع من اتخاذ هذه المصلحة، فإنه لا يكون بدعة، بل يكون مصلحة مرسلة، وذلك مثل جمع القرآن في عهد رسول الله ﷺ، فإن المقتضي لفعله غير موجود؛ إذ هو بين أظهرهم لا يخشى ذهابه ونسيانه، أما بعد موته فخُشي ذلك، لأجل هذا جمع الصحابة الكرام القرآن، ومن الأمثلة أيضاً: الأذان في مكبرات الصوت وتسجيل المحاضرات في الأشرطة السمعية وصلاة القيام في رمضان جماعة، فكل هذه الأمور كان يوجد مانعٌ في عهد رسول الله ﷺ من فعلها، أما الأمران الأولان: فعدم إمكانه لعدم وجودها في زمانه، أما الأمر الثالث: فإنه ترك الفعل خشية فرضه، وبعد موته لم يكن ليفرض شيء لم يكن مفروضاً من قبل.

الثاني: إن كان المقتضي غير موجود في عهد النبي ﷺ، فينظر فيه هل الداعي له عندنا بعض ذنوب العباد؟ فمثل هذا لا تُحدث له ما قد يسميه صاحبه مصلحة مرسلة، بل يؤمرون بالرجوع إلى دين الله والتمسك به؛ إذ هذا المطلوب منهم فعله، والمطلوب من غيرهم دعوتهم إليه، ويمثَّل لهذا بتقديم الخطبة على الصلاة في العيدين لأجل حبس الناس لسماع الذكر، فمثل هذا من البدع المحدثة لا من

المصالح المرسلة[(١)]، وإليك كلام الإمام المحقق ابن تيمية في بيان هذا الضابط، قال ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٥٩٨):

«والضابط في هذا والله أعلم أن يقال: إن الناس لا يحدثون شيئاً إلا لأنهم يرونه مصلحة؛ إذ لو اعتقدوه مفسدة لم يُحدثوه، فإنه لا يدعو إليه عقل ولا دين، فما رآه الناس مصلحة نظر في السبب المحوج إليه، فإن كان السبب المحوج أمراً حدث بعد النبي ﷺ من غير تفريط منَّا، فهنا قد يجوز إحداث ما تدعو الحاجة إليه، وكذلك إن كان المقتضي لفعله قائماً على عهد رسول الله ﷺ، -لكن تركه النبي ﷺ لِمُعارض زال بموته.

وأما ما لم يحدث سبب يحوج إليه، أو كان السبب المحوج إليه بعض ذنوب العباد، فهنا لا يجوز الإحداث، فكل أمر يكون المقتضي لفعله على عهد رسول الله ﷺ موجوداً لو كان مصلحة، ولم يُفعل يُعلم أنه ليس بمصلحة، وأما ما حدث المقتضي له بعد موته من غير معصية الخلق، فقد يكون مصلحة»، ثم قال: «فأما ما كان المقتضي لفعله موجوداً لو كان مصلحة، وهو مع هذا لم يشرعه، فوضعه تغيير لدين الله، وإنما دخل فيه من

(١) ويمثل له أيضاً الشيخ الألباني رحمه الله بأخذ الضرائب من الناس مع التقصير في جباية الزكاة؛ فإن السلطان إذا أخذ الزكاة من أهلها وأحسن التوزيع ثم ظهر العجز أحياناً عن سد حاجات الفقراء جاز أخذ الضرائب وتكون من المصالح المرسلة بشروطها المعروفة عند الفقهاء، وأمّا أن تُلغى الزكاة من التوزيع الرسمي أو يقصر في ذلك ثم يُلجأ إلى الضرائب فلا.

نُسب إلى تغيير الدين من الملوك والعلماء والعُباد، أو من زل منهم باجتهاد، كما روي عن النبي ﷺ وغير واحد من الصحابة: إن أخوف ما أخاف عليكم: زلة عالم، وجدال منافق بالقرآن، وأئمة مضلون.

فمثال هذا القسم: الأذان في العيدين، فإن هذا لما أحدثه بعض الأمراء أنكره المسلمون؛ لأنه بدعة، فلو لم يكن كونه بدعة دليلاً على كراهيته، وإلا لقيل: هذا ذكر لله ودعاء للخلق إلى عبادة الله، فيدخل في العمومات كقوله: ﴿ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾ [الأحزاب]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [فُصِّلَت:٣٣]... الخ» ا.هـ.

وبعد هذا التحقيق البديع من شيخ الإسلام ابن تيمية، فإن أفعالَ الصحابة والسلف دالة على دخول البدع في الوسائل، كما تدخل في الغايات، ومن نازع في ذلك نازع سلف الأمة وهم خصمه، ومن الأمثلة الدالة على ذلك:

ما روى البخاري في قصة جمع المصحف وأن عمر بن الخطاب أشار على أبي بكر بالجمع، فقال له أبو بكر: «كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ»[1]؟! وبمثل هذا أجاب زيد بن ثابت أبا بكر الصديق لما عرض عليه جمع المصحف، ففي هذا دلالة واضحة على أن البدع تدخل في الوسائل كما

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٩٨٦).

تدخل في العبادة ذاتها؛ وذلك أن جمع المصحف من الوسائل، ومع ذلك احتجوا بعدم فعل رسول الله ﷺ، فإن قيل: لماذا إذن جمعوا المصحف مع أن رسول الله ﷺ لم يفعله؟ فيقال: لأن مقتضى -أي: سبب- الجمع وُجد في زمان أبي بكر رضي الله عنه، ولم يكن موجوداً في زمان رسول الله ﷺ؛ إذ هو حي بين أظهرهم فبوجوده لا يُخشى ذهاب القرآن.

ومن الأدلة أيضاً: ما ثبت عند الدارمي وابن وضاح أن ابن مسعود أنكر على الذين كانوا يعدون تكبيرهم وتسبيحهم وتهليلهم بالحصى، واحتج عليهم بأن رسول الله ﷺ وأصحابه لم يفعلوا، مع أن عد التسبيح راجع للوسائل.

وبعد أن تبين أن المظاهرات التي تُفعل لأمور شرعية دينية بدعة محدثة لم يفعلها رسول الله ﷺ ولا صحابته مع إمكان فعلها، فلا يصح لأحد بعد هذا أن يعترض بأن الأصل فيها الإباحة فلا تُمنع إلا بدليل؛ لأنها عبادة، والأصل في العبادات الحرمة، وهذا مثل من لم يقنع بالمنع من الاحتفال بمولد النبي ﷺ بحجة أنه لا دليل يدل على المنع.

فيقال: إن الدليل على منعها كونها عبادة، ولا دليل على شرعيتها، فتكون بدعة؛ لأن الأصل في العبادات الحظر والمنع، وانظر بحثاً مفيداً لأخينا الشيخ حمد العتيق بعنوان: المظاهرات بين الاتباع والابتداع[١].

---

(١) http://islamancient.com/book,item,55 html.

أما القسم الثاني: المظاهرات التي يراد منها تحقيق أمورٍ دنيوية وهذه نوعان كما تقدم:

اما النوع الأول: وهي المظاهرات لإسقاط حاكم لدافع دنيوي لا ديني، فهذه محرمة بدلالة كل نص على وجوب السمع والطاعة للحاكم ولو كان فاسقاً غير عدل، فمع تكاثر الأدلة في حرمة هذا الفعل -وهذا كاف- فكذلك السلف أجمعوا على حرمة هذا الفعل وتضليل من خالف فيه، ودونكم ما شئتم من كتب الاعتقاد السلفي، ومن حاول المنازعة في هذا فقوله مردود، وهو ضال قد خالف ما عليه دلائل السنة وآثار السلف، وبمثله ضلل السلف أقواماً.

وتزداد حرمة هذا النوع إذا فعل لأجل الدين أيضاً، فإنه بالإضافة إلى كونه محرماً يكون بدعة، ثم كل ما سيأتي من الأدلة في النوع الثاني يصلح دليلاً على حرمة هذا القسم، وللشيخ عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم رحمه الله كتاب نفيس فيما يتعلق بهذا النوع، قد أثنى عليه شيخنا العلامة ابن عثيمين في شرحه على السياسة الشرعية لابن تيمية، واسم الكتاب (معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة).

أما النوع الثاني: المظاهرات لتحصيل ما سوى ذلك من أمور الدنيا، فهي محرمة لأوجهٍ كثيرة، ومنها:

الوجه الأول: أن المظاهرات -ولو كانت سلمية- خلاف ما أمر به رسول الله ﷺ من الصبر على جور الحكام الذين اغتصبوا الحقوق، كما

أخرج الشيخان عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «**ستكون أَثَرة**[١] **وأمور تُنكرونها**[٢]**، قالوا: يا رسول الله! فما تأمرنا؟ قال: تؤدون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم**»[٣]، وفي الصحيحين عن أُسيد بن حُضير قال: قال رسول الله ﷺ: «**ستلقون بعدي أَثَرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض**»[٤]، فنحن مأمورون بالصبر لا بالمظاهرات للضغط على الحكام، وقد أمر أئمة السنة بالصبر وقالوا: حتى يستريح بَرٌّ، أو يُستراح من فاجر.

الوجه الثاني: أن فيها فتح باب شر بتحكيم الشعوب، فكلما أراد الشعب أموراً تظاهروا للمطالبة به، فإذا أراد أهل الشهوات أمراً من أمور الشهوات المحرمة تظاهروا للمطالبة به فاستجيب لهم، وإذا أراد العلمانيون والليبراليون أمراً تظاهروا للمطالبة به فاستجيب لهم، وهكذا.. ومن المعلوم أن أهل الاستقامة والديانة أقل من غيرهم بكثير من المجتمعات الإسلامية؛ قال تعالى: ﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الحديد].

الوجه الثالث: أن أكثر المظاهرات -إن لم يكن كلها- متضمنة على اختلاط الرجال بالنساء، الاختلاط المحرم، وما خالف ذلك فهو قليل لا حُكم له، والواقع المشاهَد خير برهان[٥].

---

(١) قال الشيخ الريس: أي حكام يؤثرون أنفسهم عليكم في أخذ حطام الدنيا.

(٢) قال الشيخ: أي حكام عندهم معاص شرعية.

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٦٠٣)، ومسلم (١٨٤٣).

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٧٩٢)، ومسلم (١٨٤٥).

(٥) لا يستغنون عن النساء؛ لأن همهم الأكبر هو تكثير العدد، وعنده تُتناسى القواعد الخُلقية =

والوجه الرابع: أن جور الحكام بسبب ذنوب المحكومين، والذنوب لا ترفع إلا بالتوبة والاستكانة إلى الله لا بالمظاهرات، قال شيخ الإسلام في منهاج السنة النبوية (٤/ ٣١٥): «وكان الحسن البصري يقول: إن الحجاج عذاب الله، فلا تدفعوا عذاب الله بأيديكم، ولكن عليكم بالاستكانة والتضرع؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [المؤمنون]، وكان طلق بن حبيب يقول: اتقوا الفتنة بالتقوى..».

هذه الأوجه الأربع في المظاهرات التي يقال: إنه سلمية!

أما غير السلمية فهي -زيادة على ما تقدم- تحتوي على قتل للنفوس وإهلاك للأموال، وانتهاك للأعراض وغير ذلك، وانظر مقالاً لأخينا الشيخ عمر العمر بعنوان: عشرة أوجه لبطلان المظاهرات(1).

وبعد هذا كله إليك شُبَه المجيزين للمظاهرات وكشفها، وأؤكد أن واقع حالهم: اعتقدوا ثم سعوا ليستدلوا، فتكلّفوا وحرفوا نصوص الشريعة.

الشبهة الأولى: ادعى مجوزوا المظاهرات أن فعل المتظاهرين قد دلت عليه السنة؛ فقد أخرج أبو نعيم في الحلية (١/ ٤٠): أن النبي ﷺ خرج بعد إسلام عمر رضي الله عنه على رأس صفين من أصحابه، وعلى الأول منهما عمر

=كالقرار في البيوت وعدم مشاركة النساء في الأمور السياسية وغيرها، لقد بويع خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه ولم تشارك في ذلك امرأة واحدة لا في بيعة المسجد ولا في بيعة سقيفة بني ساعدة، فهل من متبع أم الأمر مبني على متابعة الغرب الغازي لأفكار الأحزاب الإسلامية؟! (عبد المالك).

(١) http://islamancient.com/articles,item,695.html.

رضي الله عنه، وعلى الثاني حمزة رضي الله عنه؛ رغبة في إظهار قوة المسلمين، فعلمت قريش أن لهم منعة.

وهذا لا دلالة عليه من وجهين: دراية، ورواية:

الوجه الأول رواية: فإن إسناده ضعيف؛ لأن فيه إسحاق ابن أبي فروة، قال الإمام أحمد: لا تحل عندي الرواية عنه، وقال: ما هو بأهل أن يحمل عنه، ولا يروى عنه، وقال الإمام ابن معين عنه: كذّاب «تهذيب التهذيب».

الوجه الثاني دراية: أنه لا ولاية في مكة، وكان أعداؤهم حربيين، فلما تقووا استعملوا القوة في مقدار ما يستطيعون، فأين هذا من تجمع أناس على حكامهم لإظهار سخطهم على فعل ما؟!

الشبهة الثانية: أنها -أي المظاهرات- وسيلة قد جربت فوجد نفعها بأن حصل المطلوب، وكشف هذه الشبهة من وجهين:

الوجه الأول: أنها أيضاً جربت في مواطن كثيرة وكثيرةٍ جداً فلم تنفع، فهي وسيلة مظنونة، وليس حدث تظاهر المسلمين في فرنسا ضد قرار منع الحجاب عنا ببعيد، فلم ينفع، والأمثلة كثيرة، وما كان كذلك فلا يجوز به المحرم، وقد تقدم ذكر الأدلة على منعها وحرمتها.

الوجه الثاني: أنه لو قدر حصول النتيجة من هذه الوسيلة، فإنه لا يدل على حِلها ولا صحتها بحال؛ فإن الغاية لا تبرر الوسيلة، وقد ذكرت دليل ذلك في مقال: أحداث تونس الحالية بين الإفراط والتفريط(١) (٢).

---

(١) http://islamancient.com/mod_stand,item,72.html.

(٢) «حكم المظاهرات» (ص٢٢-٤٩).

قال الشيخ حسين بن عودة العوايشة -حفظه الله- في كتابه «الفتن وسبيل النجاة منها»:

كلمة في المظاهرات والاحتجاجات والاعتصامات

قبل أن أتكلم في مسألة المظاهرات والاحتجاجات كما هي في واقعنا المعاصر، فإنه لا يلزم ممن يعارضها أنه يرضى بالمنكر والعوج والفساد -كما سيأتي بإذن الله تعالى-.

أقول ليس هناك أقوال للعلماء السابقين في مشروعية المظاهرات والاعتصامات...، لعدم ورود المسألة أصلاً، والذين يتحدثون فيها، إنما ينقلون أقوال العلماء المعاصرين، وهذا يدل على ضعف المسألة، وعدم استنادهم إلى الحجة القوية، وأن هذا ليس من سبيل المؤمنين -جيلاً بعد جيل-.

هذا مع وجود المقتضي للخروج والتظاهر والاعتصام، وعدم احتياجهم إلى التقنيّات والوسائل المعينة الحديثة، فإنّه يمكن خروجهم بالتداعي والتواصي -كما كانوا يجتمعون لصلاة العيد والاستسقاء والجهاد في سبيل الله -عز وجل-.. وشهود ا لوليمة ...- ومع ذلك لم يفعلوا، فدلّ عدم الفعل على عدم الصحة.

وللمزيد من التوضيح أقول:

لم يرد عن النبي ﷺ الأذان للعيدين، ولا عن الصحابة رضي الله عنهم ولا عن التابعين، مع وجود المقتضي والدافع لذلك، وكانوا قادرين على هذا الفعل لو أرادوا، وكانت حاجتهم للتعريف بالوقت، وتنبيه النائم، وتحفيز المشغول..

فإذا لم يفعلوا، فقد دل ذلك على أن الترك هو الصواب، وأن الفعل يضاده.

وأقول: مع أن ذلك الجيل السابق يُدرك وجوب التواصي بالحق والتواصي بالصبر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعاون على البر والتقوى، والمطالبة بالحقوق العامة، ولا يخفى عليهم أن الله -عز وجل- امتدح الذين ينتصرون ممن ظلمهم،... مع ذلك كله؛ لم يرد عنهم الخروج في مظاهرات أو اعتصامات أو إضرابات لتحقيق هذه المعاني.

ومن المعلوم أن المشروعية في الدين قد تكون من الواجبات، أو من السنن والمستحبات، فمن أي قسم حكم المظاهرات!!

فإن قال قائلهم: من المستحبات؛ قلنا: ما الدليل على هذا الاستحباب؟ وإن قال: بل هو واجب، قلنا: ما الدليل على الوجوب؟ وعلى من تجب؟ هل هو في الرجال فحسب؟ ام هو في النساء أيضاً؟ وهل يلزم للمرأة استئذان زوجها؟ والابنة استئذان أبيها؟

وليس بخافٍ على من يقول هذا أن من تخلف عن الوجوب آثم استجلب غضب الله -عز وجل- وعقابه؛ إلا أن يعفو سبحانه عنه ويغفر.

وإني لأسأل هذا المندفع في تجويز المظاهرات -سواء أقال بالوجوب أم الاستحباب-: هل يبقى هذا الحكم إذا اشترك فيه المسلم والمشرك؟ ورفع المشرك راية الشرك، والملحد راية الإلحاد، وخرجت المتبرجة والمتسترة، وأبدت المتبرجة عَوْرتها، واختلط الرجل بالمرأة، والمخمور بغير المخمور!!

وهل يبقى حكمها إذا تعرض فيها بعضهم؛ للممتلكات الخاصة والعامة، وتحطيم السيارات، والسلب والنهب..!!

وهل يبقى هذا الحكم إن كانت هذه (المظاهرات السلمية!) تفضي إلى إصاباتٍ ونزف دماء!! هل يبقى حكمها إذا استغلها مجهولون لأغراض دنيئة!!

هل يبقى حكمها إذا كانت تحت رايات عُمِّية؟!

هل يبقى حكمها إذا قطف ثمارها من لا يرقبون في مؤمن إلًّا ولا ذمة، ولا يسعون لمصلحة مجتمع ولا أمّة؟!

هل يبقى حكمها إذا فرقت بين شرقي وغربي، وشمالي وجنوبي!

هل يبقى حكمها إذا تولد عنها مظاهرات (سلمية) أخرى معارضة لها؟!

هل يبقى حكمها إذا زادت الفرقة في الأمة وولدت الضغائن والأحقاد!

هل يبقى حكمها إذا لم يبق فيها أي معنى من معاني السلمية!

هل يبقى حكمها إذا انتقلت نيران المظاهرات بالتأسي أو التقليد إلى الأقطار الأخرى؛ فانتقلت من الأمان إلى الفزع، ومن الاستقرار إلى القتل والتذبيح؟

ومن أين جاءت المشروعية المزعومة؟! أهي من كتاب رب العالمين، أم هي من كلام سيد المرسلين ﷺ؟! أم هي منهج الصحابة والتابعين؟! وأين الذي جاء عنهم من الآثار والأخبار في ذلك؟!

أم استوت السنة بالبدعة عند من يُفتي؟

أم تلقّاها تشبهاً بالكفار والملحدين؟

أم تلقاها عن الخوارج في عهد أمير المؤمنين رضي الله عنه وقد سماهم النبي ﷺ منافقين.

أم أن الأحكام الشرعية تؤخذ من العقل المجرد والعواطف الجياشة؟!

الرد على تساؤلات

وسأل سائل! وتساءَل متسائل: أليست المظاهرات ضرباً من ضروب النهي عن المنكر:

فأقول: ألم تكن هذه المنكرات من قبل، وهل غيَّر النبي ﷺ منكرات المشركين بالمظاهرات والاعتصامات، وهل فعل الرسل والأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- هذا مع أقوامهم من قبل؟

وهل يُغيَّر المنكر بمنكر؟ أم أن الغاية تسوغ الوسيلة؟!

وأين تحكيم القرآن العظيم إذا كان كل منكر يُغيَّر بالطريقة التي يراها الناس؟!

وأين تحكيم الرسول الكريم ﷺ إذا كانت كل مخالفة تُغير من خلال العقول -على تفاوت بينها في التفيكر-، والبحث عن الحلول..؟!

لقد اقترف المشركون أعظم ذنب في حياة النبي ﷺ وأصحابه، قبل قيام دولة الإسلام؛ وهو اتخاذهم أنداداً من دون الله ... فكان منهج التغيير دعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة، والحجة والبرهان، إلى توحيد رب العالمين سبحانه وتحمل ﷺ وأصحابه أذى المؤذين...

بدأت الدعوة سراً... وكانت الهجرة بما تحمله من معانيها ... رسخ فيها رسول الله ﷺ معاني التوحيد وربط القلوب بالله سبحانه واليوم الآخر...

وحرص النبي ﷺ على تربية أصحابه رضي الله عنهم بما يتنزل إليه من وحي السماء، واستجاب الصحابة رضي الله عنهم لله -عز وجل- ولرسوله ﷺ؛ للدعوة التي أحيت قلوبهم وأخرجتهم من الظلمات إلى النور، حتى أذن الله -عز وجل- بالجهاد فكان من أمرهم ما كان من قيام دولة الإسلام، وما حققوه من فتوحات وانتصارات، وإقامة للعدل والسعادة.

وقال آخرون: أنظل ساكتين؟!

لم تُجوزوا المظاهرات، ولا الخروج على الحاكم، فهل يبقى الحاكم الظالم يحكم حتى الممات؟ وهل يظل الناس يعانون من الظلم والفقر والجوع؟!

والجواب: لا يلزم من القول بعدم جواز المظاهرات والخروج على الحاكم؛ إقرار الظلم، والحكم بغير ما أنزل الله سبحانه.

كما أنه لا يلزم من القول بعدم جواز قتل السارق؛ إقرار السارق على سرقته، وكذا لا يلزم من القول بعدم جواز إعدام من غش في تجارته، إقراره على غشه.

ولكن يجب أن يكون العلاج صحيحاً في السعي لرفع الظلم، وعقوبة السارق والغاش في تجارته...

وهذا كله مبين في كتاب رب العالمين سبحانه القائل: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

وهو في سنة النبي ﷺ، وقد أُمرنا أن نتأسّى به، كما قال ربنا -عز وجل-: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب].

فائدة

إن الكلام في المظاهرات، والثورة على الحاكم؛ يذكرني بقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة:٢١٩].

أمّا إثم الخمر والميسر فهو في الدين، وأما المنافع فدنيوية.

قال ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة:٢١٩]، أما إثمهما فهو في الدين، وأما المنافع فدنيوية، من حيث إن فيها نفع البدن، وتهضيم الطعام، وإخراج الفضلات، وتشحيذ بعض الأذهان، ولذّة الشدة المطربة التي فيها، كما قال حسان بن ثابت في جاهليته:

ونشربها فتتركنا ملوكاً وأُسداً لا يُنَهنهنا اللقاءُ

وكذا بيعها والانتفاع بثمنها، وما كان يُقَمِّشه بعضهم من الميسر فيُنفقه على نفسه أو عياله، ولكن هذه المصالح لا توازي مضرته ومفسدته الراجحة، لتعلقها بالعقل والدين، ولهذا قال: ﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة:٢١٩]؛ ولهذا كانت هذه الآية ممهدة لتحريم الخمر على البتات، ولم تكن مصرِّحة بل معرِّضة؛ ولهذا قال عمر رضي الله عنه لما قُرأت عليه: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، حتى نزل التصريح بتحريمها في سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة]».

فلو كانت هناك منافع؛ فإن إثم المظاهرات، والثورات وضررها أكبر من نفعها:

لما فيها من إراقة الدماء، وعدم تحقيق الأهداف، والعجز عن تعيين السلطان العادل، وما تتركه من فرقة واختلاف.

شبهة والجواب عليها

فإن قال قائل: هذه المظاهرات تتضمن إنكار المنكر، وهذه الثورات قد آتت أكلها، وأفاد الناس منها.

فأقول: نعم تتضمن إنكار المنكر بطريقة منكرة، والغاية لا تسوغ الوسيلة.

وهذا كرجل اقترح قتل الكذابين لإصلاح المجتمع، فهل يقال: إن هذا عمل صحيح يخيف الناس من القتل فيقلل الكذب؟ وهل هذا يجعلنا نفتي بصحة قتل الكذّاب؟!

بل الصواب أن نقول: بعدم صحة قتل الكذّاب؛ مع معالجة الأمر بالطريقة الصحيحة.

وإن قال قائل: الأمور التي ذكرتموها بديلاً للمظاهرات والثورات لا تحقق الغرض كما نريد.

فأقول: وكذلك معالجة الكذب والكذّاب بالطرق الصحيحة؛ قد لا تحقق الغرض، فهل نُصرُّ على إعدام الكاذب!!

بين منهج الشرع ومنهج الناس وواقعهم

إننا نعاين من خلال الواقع المر، والمر الواقع؛ السكوت عن المنكر، واستفحال الفساد والظلم في مشارق الأرض ومغاربها.

وبعد عشرين عاماً أو ثلاثين أو أقل أو أكثر؛ تتوقد المظاهرات والاحتجاجات، وتنزف الدماء.

وإذا نجحت الثورة؛ تغيرت الأسماء، وتبدل الأشخاص، وجاء أمثال أولئك أو أسوأ.

مع الأخذ بعين الاعتبار؛ تكرار الثورات؛ مرات ومرات، وما يتبع ذلك من تصفية الحسابات.

وهل يتصور العقل الصحيح الذي يأخذ من الشرع الحنيف أنه يمكن تغيير تراكم المنكرات والذنوب والمخالفات في سنين طويلة، من خلال أيام معدودة وليال محدودة..؟!!

أما منهج رب الناس سبحانه وتعالى فهو العمل بمقتضى كتابه وسنة نبيه ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين، وهذا يتضمن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتناصح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر بين الراعي والرعية، والحاكم والمحكوم.

ولذلك؛ لا يمكن أن يفلح ما عليه الناس من تصور يخالف منهج الله -عز وجل- وقد قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١].

فيا من تبحث عن النجاة في الدارين حذار من تكذيب قول الله سبحانه وتعالى بزعمك القدرة على التغيير بغير شرع الله سبحانه وتعالى!!

إن طريقة التغيير يجب أن تكون شرعية، والغاية لا تسوغ الوسيلة، ولا يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

وإني لأقسم بالله العظيم إن التشكيك بمنهج الله -عز وجل- وكتابه وسنة نبيه ﷺ لأخطر من كل ما يعانيه الناس من الظلم والجوع والفقر.

الرد على من يقول: «هذا طريق طويل»!!

قال الكثير الكثير: هذا طريق طويل ... إنه بعيد... فإلى متى يظل الانتظار، فأقول:

إن الذنوب والآثام التي اقترفها الناس عبر سنين طويلة؛ هي التي تُطيل الطريق، ويلزم منها الأعوام الكثيرة.

ولو كانت هناك أمراضٌ معدية وأدواء فتّاكة تُركت من غير علاج في دولة أعدادها هائلة؛ فهل يمكن إذهاب الداء خلال يوم أو يومين، وأسبوع وأسبوعين!!!، وما هو أقصر الطرق الصحيحة لتخليص المرضى من هذه المعاناة؟

وماذا لو قال قائل: هناك سبيل لتخليصهم من الأدواء في يوم واحد؛ وذلك بقتلهم كلهم!!

هل هذا كلام العقلاء!!!

ولو أن شخصاً كان من طلاب المرحلة الثانوية، وقد تحفز لدراسة الطب، وأخذته الأحلام أن يكون طبيباً متميزاً متفوقاً مبدعاً، فما هي أقل السنوات ليحقق هذا الشخص مراده؟

فإذا قال: هناك أسلوب أقصر؛ وهو أن يتخذ عيادة مباشرة دون دراسة ولا عمل ولا خبرة!!، فطريق الدراسة طويل وانتظار الخبرة ممل، وافتتاح العيادة هذا اليوم خير من افتتاحها بعد سنين عديدة!!

هناك طرق أقصر لكل شيء؛ في الأموال والنساء والمناصب..

لكنها على غير الصواب.. إنها تأتي بالشقاء في الدارين.

وإذا قلت هذا الحال سبيله بعيد؛ فأقول: ليس هناك سبيل أقصر، وليس هناك سبيل أصلح إلا هذا، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام].

وحذار أن تكون ممن يتبعون السبل لأن فيها خيارات كثيرة كلها سريعة وتبدو أنها مريحة، وفي الواقع سريعة لكنها غير مريحة لأنها ليست صحيحة.

حذار من ترك صراط الله المستقيم؛ لأنه طويل يحتاج إلى عزيمة وثبات..

واعلم أنك قد لا تحصل على هذا ولا ذاك، فتأمل -رحمني الله وإياك- كيف كان منهج النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم في تحقيق العدل والسعادة.

وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «**ولكنكم تستعجلون**»[1] .

---

(١) عن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: «شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، فقلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ قال: **كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه، فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد، ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون**»، أخرجه البخاري (٣٦١٢).

هذا والحمد لله رب العـالمين عـلى نعمـه العظيمـة علينـا وعـلى النـاس أجمعين.

وأسأل الله –تعالى– أن يجنبنا والمسلمين الفتن ما ظهر منهـا ومـا بطـن، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وكتبه
أبو إسلام
صالح بن طه عبد الواحد
غفر الله له ولوالديه
ولمن ساهم في هذا
الكتاب وللمسلمين أجمعين

الفهارس العامة

- فهرس الآيات
- فهرس الأحاديث والآثار
- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات

الآية	رقمها	الصفحة
سورة البقرة		
فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا	١٠	١٣٦
يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ	٩-١٢	١٩٣
وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا	١١-١٢	١٨٩
وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ	١٤	٩١
وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡ	١٢٠	٩١
وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ	١٢٦	٢٠٤
وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ	١٤٥	١٨١
إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾	١٥٦	٢١٤
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ	١٧٩	٢١١
وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ	١٨٠	١٨٠
وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ	١٨٦	١٣٤
وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ	١٩١	١٨٥
وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ	١٩٣	٢٧٤
وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾	١٩٤	٢٤٣
فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ	١٩٦	٢٠٣
وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ	٢٠٤-٢٠٦	١٩٣
وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾	٢٠٥	١٩٠
وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ	٢١٧	١٨٥

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ	٢١٩	٣٠٧
وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ	٢٢٠	١٨٩
فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ	٢٣٩	٢٠٤
حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟	٢٣٨-٢٣٩	٢٠٣

سورة آل عمران

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ	٧	٣٣، ٣٨، ٣٩
زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ	١٤	١٧
إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ	١٩	١٢٥
قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ	٣١	١٥٧، ٢٢٦
قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ	٣١	١٥٧
وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ	٨٥	١٢٦
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم	١٠٢	٥
وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ	١٤٤	١٢١
ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً	١٥٤	٢٠٥
أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا ۖ قُلْ	١٦٥	٢٤٨
إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ	١٩٢	٣٩، ١٠٠
لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ	١٩٦-١٩٧	٢٨٦

سورة النساء

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ	١	٥
وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾	٢٩	٢٧٧
وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ	٣٢	١٣٤
وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا	٣٥	٣٦، ٩٨، ٢٠١

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ .... ٥٩ .... ٢١٤، ٢٤٧

فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ .... ٥٩ .... ١٥٨

فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ .... ٦٥ .... ٧٥، ٢٢٦

مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ .... ٧٩ .... ٢٤٨

وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ .... ٨٣ .... ٢١٧

لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ .... ١١٤ .... ١٩٦

وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ .... ١١٥ .... ٧١، ١٤٧

وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ .... ١٢٨ .... ١٩٩

وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿١٤٦﴾ .... ١٤٦ .... ٦٠

سورة المائدة

ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ .... ٣ .... ٧٧، ١٠١، ٣٠٦

قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ .... ١٥-١٦ .... ١٠٥

وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ .... ٣٨ .... ٢١١

فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ .... ٤٤ .... ٤٦

وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ .... ٤٥ .... ٢١١

وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ .... ٤٩ .... ٣٠، ٢١٣

إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ .... ٤٩ .... ٢٠٠

وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٦٤﴾ .... ٦٤ .... ١٩٠

وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ .... ٦٦ .... ٢١٠، ٢٢١

يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ .... ٦٧ .... ٨٠، ٨١

قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ .... ٧٧ .... ٣١

لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ .... ٧٨-٧٩ .... ٤٤

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَـٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٩٠-٩١ .... ٣٠٨

قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ١٠٠ .... ٢٨٦

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ١٠٥ .... ٤٥

رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ١١٩ .... ١٢٥

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا ٩٥ .... ٣٦، ٩٨

سورة الأنعام

وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ١٩ .... ٨٣

مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَـٰبِ مِن شَيۡءٖ ٣٨ .... ٧٨

فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ ٤٤-٤٥ .... ٢٨٦

فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٤٨﴾ ٤٨ .... ٢٠٩

إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ ٥٧ .... ٣٥، ٩٧

فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٨١-٨٢ .... ٢٠٩

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ ٨٢ .... ٥٩

وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ ١٢٩ .... ٢٤٨

وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ١٥٣ ٧٦، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٨، ٣١٢

سورة الأعراف

قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ١٦-١٧ .... ١٦٩

قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَـٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ ٣٢ .... ٩٦

وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَـٰحِهَا ٥٦ .... ١٩٢

وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ٦٢ .... ١٣٠

إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٦٦ .... ١١٩

يَـٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَـٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٦٧-٦٨ .... ١١٩

وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ٦٨ ١٣٠

يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ ٧٩ ١٣٠

فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ ٨٥ ١٩٢

وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٨٦﴾ ٨٦ ١٩٢

يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ ٩٣ ١٣٠

وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ .... ٩٦ ١٩٥، ٢٢١

إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ ١٢٨ ٢٤٣

وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ ١٣٨ ١٦٥

ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ ١٤٢ ١٩٣

وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ ١٤٢ ١٩٢

وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ١٥٦–١٥٧ .... ١٥٧

قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ١٥٨ ٨٣

وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ١٥٨ ١٥٧

وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا ١٧٠ ١٩٦

سورة الأنفال

فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ .... ١ ١٩٢، ٢٠١

إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ ٢ ١٠٣

وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ ٢٥ ٤٨

وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ ٣٣ ٥١

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ٣٦ ١٧٠

نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ ٤٠ ٢٠٤

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن .... ٧٣ ٤٢، ٤٣

سورة التوبة

كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ ٨ .... ٩١

لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ٢٥ .... ١٧٧

هُوَ ٱلَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ ٣٣ .... ١٨١

أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا ٤٩ .... ١٠

وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ ٧٥-٧٦ .... ١١

وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ١٠٠ .... ٧٢

وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦ ١٢٤ .... ١٠٣

لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ١٢٨ .... ٢٢٦

سورة يونس

قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ ١٥ .... ٧٥

وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ ٤٠ .... ١٨٩

أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ ٦٢-٦٣ .... ٦٠

سورة هود

الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ١ .... ١٠٣

إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ٤٩ .... ١١٧

قَالُوا يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن ٥٣ .... ١١٩

إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ ٥٤-٥٦ .... ١٢٠

وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ ٥٨-٦٠ .... ١٢٠

إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ٨٨ .... ١٩٩

قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي ٨٨ .... ١٩٢

فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ١١٢ .... ١٤٥، ١٤٧، ١٥٧

فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ ١١٦-١١٧ .... ١٩٠

وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا ١١٧ .... ٤٣

وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ١٢٠ .... ١١٥

وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ١٢٠ .... ١١٦

وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ ١٢٣ .... ٢٠٤

سورة يوسف

فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ١٨ .... ١١٣

وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٢٣-٢٤ .... ١٠٧

قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ ٣٣ .... ١٤٤

إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ٤٠ .... ٩٧

إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ٦٠ .... ٩٧

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ٨٣-٨٧ .... ١٧

قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ١٠٨ .... ٨٢

سورة الرعد

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَآ ١١ .... ٢٤٢، ٣١٠

أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ ١٩ .... ١٦٥

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٢٨ .... ٦٠

وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ ٣٧ .... ١٨١

سورة إبراهيم

الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ١ .... ٧٥، ١٠٥

يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ٢٧ .... ٦١، ١٢٥

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي ٣٥-٣٧ .... ٢٠٤

سورة الحجر

إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾	٤٧	٢٧٠
وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾	٨٢	٢٠٣

سورة النحل

وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ	٩	١٤٨
وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾	٣٣	١٨
وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ	٤٤	٧٩
مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ	٩٧	٦٠، ١٦٦
ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾	١١٢	٥٠، ٢٠٥
إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾	١٢٨	٢٤٣

سورة الإسراء

إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ	٩	٧٥، ١٠٤
وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا	١٦	٤٧

سورة الكهف

قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا	١٠٤	١٧١

سورة طه

قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا	٧٢-٧٥	٦٣
فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ	١٢٣-١٢٤	٧٥
فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ	١٢٣-١٢٦	١٠٤

سورة الأنبياء

قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ	٦٨-٧١	١٠٨
وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ	٨٧-٨٨	١٤٢
وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ	١٠٥	١٢٧

وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا .... ٨٩-٩٠ .... ١٤٤

سورة الحج

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ .... ١١ .... ١١

إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ .... ٣٨ .... ٦٠

فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى .... ٤٦ .... ٢٣٠

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ .... ٧٧-٧٨ .... ١٢٦

سورة المؤمنون

إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم .... ٥٧-٦١ .... ١٦٣

وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ .... ٧١ .... ٣٠

وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ .... ٧٦ .... ٢٩٩

سورة النور

ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ .... ٢ .... ٢١٢

إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ .... ١١ .... ١١٤

وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ .... ٥٤ .... ٧٦

وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ .... ٥٤ .... ٢٢٦

وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ .... ٥٥ .... ١٢٧، ٢٠٩

فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ .... ٦٣ .... ١٠٢، ١٥٨، ١٦٢

سورة الفرقان

تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ .... ١ .... ٨٣

وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ .... ٢٠ .... ٢٠

وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ .... ٢٧-٢٩ .... ١٦٨

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً .... ٣٢-٣٣ .... ١٠٣

أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ ..... ٤٣-٤٤ ..... ٢٩

سورة الشعراء

وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ ..... ١٠-٦٨ ..... ١١٦

أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ ..... ٤١ ..... ٦٢

قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ ..... ٤٢ ..... ٦٢

فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ ..... ٤٤ ..... ٦٢

فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ..... ٤٥-٤٩ ..... ٦٣

لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا ..... ٥٠-٥١ ..... ١١٦

قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ ..... ٥٠-٥١ ..... ٦٣

وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ ..... ٦٩-١٠٤ ..... ١١٧

هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ ..... ٧٢-٧٣ ..... ١١٧

يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ..... ٨٨-٨٩ ..... ١٣٧

كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ ..... ١٠٥-١٢٢ ..... ١١٨

كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ..... ١٢٣-١٤٠ ..... ١١٩

سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ ..... ١٣٦ ..... ١١٩

إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ..... ١٧٤ ..... ١١٥

وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ ..... ١٩٢-١٩٥ ..... ١٠٣

سورة النمل

فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ..... ١٤ ..... ١٩٢

وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا ..... ٢٤ ..... ٢٨٣

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ ..... ٥٤-٥٥ ..... ١٦٥

سورة القصص

إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا	٤	١٩٠
لا تخف نجوت من القوم الظالمين ﴿٢٥﴾	٢٥	١٣١
وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى	٣١	٢٠٦
فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر	٤٠	١٩١
فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم	٥٠	٢٩، ١٦٨
وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم	٥٧	٢٠٥
لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين ﴿٧٦﴾ وابتغ فيما	٧٦–٧٧	١٣١
إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من	٧٦–٧٨	١٩١
إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من	٧٦–٧٩	١٤
ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين ﴿٧٧﴾	٧٧	١٩٠
وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير	٨٠	١٦٤
فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة	٨١	١٣١، ١٩١
تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في	٨٣	١٩٠
إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد	٨٥	١٨٥

سورة العنكبوت

ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة	١٠	٧
فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه	٢٤	١٠٨
بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم	٤٩	١٠٦
أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من	٦٧	٢٠٤

سورة الروم

ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس	٤١	١٩٥

وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ...... ٤٧ ...... ١٢٨

فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا ...... ٦٠ ...... ٤١

سورة لقمان

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ ...... ١٥ ...... ٧٠

سورة السجدة

كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا ...... ٢٠ ...... ٣٩، ١٠٠

سورة الأحزاب

ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ...... ٦ ...... ٣٧، ٩٨

وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا ...... ١٣ ...... ٦٢

لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن ...... ٢١ ...... ٣٠٦

وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ ...... ٢٢ ...... ٦١

فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ...... ٣٢ ...... ١٣٦

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ ...... ٣٦ ...... ٢٣٠

وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ ...... ٣٧ ...... ٨١

ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ ...... ٤١ ...... ٢٩٥

وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ...... ٤٧ ...... ٦١

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا ...... ٧٠-٧١ ...... ٥

وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ ...... ٦٢ ...... ٤٩

سورة سبأ

وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً ...... ١٨ ...... ٢٠٦

سورة فاطر

وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ ...... ١٩ ...... ١٦٥

إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ...... ٢٨ ...... ١٦٣

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ .... ٢٩ .... ١٠٤

سورة ص

يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ .... ٢٦ .... ٣٠، ٢١٣

وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ .... ٢٦ .... ١٦٨، ١٧٩

سورة الزمر

أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ .... ٩ .... ١٦٣

إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ (٣٠) .... ٣٠ .... ١٢١

سورة غافر

إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ .... ٥١ .... ١٢٧

وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ .... ٦٠ .... ١٣٤

سورة فصلت

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ .... ٣٠-٣٢ .... ١٤٦

وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ .... ٤٤ .... ١٠٤

وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ (٤١) لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ .... ٤١-٤٢ .... ٧٤، ١٠٣

قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ .... ٦ .... ١٤٧

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ .... ٣٠ .... ١٦٦

وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا .... ٣٣ .... ١٢٥، ٢٩٥

سورة الشورى

فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ .... ١٥ .... ٣٠

وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ .... ٣٠ .... ٤٧، ٢٤٨

لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ .... ٤٩-٥٠ .... ١٤٣

وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا .... ٥٢-٥٣ .... ١٠٥

سورة الزخرف

وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ٣٦–٣٨ .... ١٦٨

فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ ٤٣ .... ١٤٧

بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ ٥٨ .... ٩٧

سورة الجاثية

ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ ١٨–١٩ .... ١٤٧

أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ ٢٣ .... ٢٩، ١٣٨

سورة الأحقاف

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ ١٣–١٤ ١٤٦، ١٥٤، ١٦٧

فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ٣٥ .... ٤١، ٢١٧

سورة الفتح

لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ ٢٧ .... ٢٠٦

سورة الحجرات

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ٦ .... ١٧٩

وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ ٩ .... ٢١٩

وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ ٩–١٠ .... ١٩٦

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ١٠ .... ٦١، ١٩٢، ٢٠١

وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن ١٢ .... ١٥٥

سورة النجم

وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ٣–٤ .... ٧٤، ٢٢٥

سورة الحشر

وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ٧ .... ٧٥، ١٥٨

سورة المنافقون

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن .... ٩ .... ١٤

سورة التغابن

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا .... ١٤ .... ١٤

إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ (١٥) .... ١٥ .... ١١، ١٤

سورة القلم

وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ (١٠) هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ (١١) .... ١٠-١١ .... ١٥٥

فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ .... ٤٤-٤٥ .... ٢٨٦

سورة المدثر

مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمۡ نَكُ .... ٤٢-٤٥ .... ١٥٥

سورة البروج

قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ (٤) ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ (٥) إِذۡ .... ٤-١١ .... ٦٦

إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ .... ١٠ .... ٢٨

سورة الفجر

أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ (٧) ٱلَّتِي .... ٦-١٤ .... ١٩١

سورة قريش

لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ (١) إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ (٢) .... ١-٤ .... ٢٠٥

فهرس الأحاديث والآثار

الحديث/ الآثر	الصفحة
إن الله حييّ كريم، يستحيي إذا رفع الرجل إليه يديه	١٣٥
أبشروا بدنيا عريضة تأكل إيمانكم، فمن كان	٢٦٧
أبشري يا عائشة! أمّا الله فقد برّأكِ	١١٤
أبو بكر سيّدُنا أعتق سيِّدَنا	٦٧
اتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كُفيتم	١٦٠
اتقي الله واصبري	١٦
أتى مُطرّف بن عبد الله -زمان ابن الأشعث- ناس يدعونه إلى قتال الحجاج	٢٦٥
أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الإيمان	٧٧
إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تُكَفِّر اللسان	١٥٥
إذا التقى المسلمان بسيفيهما؛ فالقاتل والمقتول في النار	١٨٧
إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع	٥٤
إذا رأيت الله يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معاصيه فإنما ذلك له منه استدراج	٢٨٦
إذا رأيت قوماً يتناجون في دينهم بشيء دون العامة فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة	٨٢
إذا ظَهَرَ السُّوءُ في الأَرضِ أنزَلَ الله بأسَهُ بِأهلِ الأَرض	٤٤
إذا عطس أحدكم، فليحمد الله	١٠١
إذا عُملت الخطيئة في الأرض؛ كان من شهدها فكرهها	١٧١
إذا كان لك إمام يعمل بكتاب الله وسنة رسول الله	٢٧٥
إذا كانت الفتنة بين المسلمين؛ فاتخذ سيفاً من خشب	٢٥٩
اذهبوا بنا نُصلح بينهم	٢٠١
استقاموا أدّوا الفرائض	١٥١
استقاموا على أمر الله فعَمِلوا بطاعته واجتنبوا معصيته	١٥١

استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله حتى لَحِقوا بالله ١٥٢
استقاموا: أخلصوا العمل لله ١٥١
استقيموا ولن تُحصوا، واعلموا أنّ خير أعمالكم الصلاة ١٤٨
اسمعوا وأطيعوا؛ فإنما عليهم ما حُمِّلوا وعليكم ما حُمِّلتم ٢١٥
أصبح أمرائي يخيرونني أن أُقيم على ما أرغم أنفي ٢٧١
اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا ٩٩
اصبروا، فإنه لا يأتي زمانٌ إلا والذي بعدَهُ شرٌّ ٢١٨
إصلاح ذات البين؛ فإن فساد ذاتِ البين هي الحالقةُ ١٩٨
اعبدْ الله لا تُشرك به شيئاً ١٤٩
أعجز الناس من عجز عن الدعاء ١٣٥
أعطيت خمساً لم يُعطهُن أحد قبلي: نصرت بالرّعب مسيرة شهر ٨٣
افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة ٧١
أفضل العبادة الدعاء ١٣٥
أقل ما تغلبون عليه من الجهاد، الجهاد بأيديكم ٢٦٨
أكثر السلف على هذا التحذير، يرون أن القلوب ضعيفة ٨٨
ألا أُخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ١٩٧
ألا أدلك على تجارةٍ ١٩٧
ألا أدُلك على صدقةٍ يُحبُ الله موضِعَها ١٩٧
ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور ومكتوب بين عينيه ك ف ر ١٧٦
أَلا تُحَدِّثُونِي بِأَعَاجِيب مَا رأَيتم بأرضِ الحَبشةِ ٤٤
ألا تُشرك بالله شيئاً ١٥١
ألا لا يمنعن رجلاً هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه ٤٦
ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله ١٣٦ ١٥٣
الاستقامة كناية عن التمسك بأمر الله تعالى فعلاً وتركاً ١٤٥

الاستقامة: أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغَ روغان الثعالِب ١٥١
الاقتصاد في السنة خيرٌ من الاجتهاد في البدعة ١٦٠
الإيمان بِضعٌ وسبعون -أو بضع وستون- شعبة ٥٩
الدعاء هو العبادة ١٣٥
الدين النصيحة ١٩٤ ٢١٦
الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل ١٥٦
العجب ممن يزعم أن عيسى عليه السلام يرجع ويكذب بأن محمداً ﷺ ١٨٥
الفتنة حق وباطل يشتبهان، فمن عرف الحق؛ لم تضره الفتنة ٢٦٧
اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر؛ فاقتل هذه الدابة ١٤١
اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك ماضٍ فيّ حكمك ١٣٧
اللهم أهِلهُ علينا باليمن والإيمان والسلامة والإسلام ربي وربك الله ٢١٠
اللهم عليك بقريش ١٣٩
اللهم! استجب لسعدٍ إذا دعاك ١٣٩
اللهم! مَن ولي من أمر أمتي شيئاً فشقَّ عليهم، فاشقُق عليه ٢١٣
المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً ٦١
المرأة عورةٌ، فإذا خرجت استشرفها الشيطان ١٨
المسلم أخو المسلم ٦١
المسلم من سَلِمَ المسلمونَ من لسانه ويده ٢٠٧
المسلم من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أَمِنه الناس على دمائهم وأموالهم. ٢١٠
المفسدون بين الأحبة ٢٠٠
النُّجُومُ أَمَنَةٌ للسماء، فإذا ذهبت النجوم؛ أتى السماء ما توعد ٥١
أما بعد يا عائشة! فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا ١١٣
امح يا علي! رسول الله، اللهم إنك تعلم ٣٧
امح يا علي، اللهم إنك تعلم أني رسول الله، واكتب هذا ما صالح عليه ٩٩

أُمر بعبد من عباد الله أن يُضرب في قبره مائة جلدة ٤٦
أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله ١٢١
أملك عليك لسانك، وَلْيسعك بيتك، وابك على خطيئتك ١٥٤
إن الأمر بالمعروف والنهيَ عن المنكر حسن، وليس من السُّنة ٢٥١
إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حسن، وليس من السنة أن ترفع ٢٧١
إنّ الدجال يخرج، وإن معه ماءً وناراً، فأمّا الذي يراه الناس ماءً ١٧٥
إن الدنيا حلوة خَضرة، وإن الله مستخلفكم فيها ١٧
إنّ السعيد لَمَن جُنِّب الفتن، إن السعيد لمن جُنِّب الفتن ١٧٠
إن الشيطان قد أَيِسَ أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ١٧٠
إن الشيطان قد أيس أن يعبدهُ المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم ١٩٩
إن الفتنة تُعرض على القلوب، فأي قلب أُشربها نكتت فيه نكتة سوداء ٢٦٧
إن الفتنة لا تجيء حين تجيء لتهدي، ولكن لتقارع المؤمن عن نفسه ٢٦٤
إن الفتنة ليست تأتي تهدي الناس، ولكن إنّما تأتي تقارع المؤمن عن دينه ٢٦٤
إن الله تعالى يرفع بهذا الكتاب أقواماً، ويضع به آخرين ١٠٦
إن الله زوى لي الأرض -أي: ضم لي الأرض- **فرأيت مشارقها ومغاربها** ١٢٨
إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد خير قلوب العباد ٧٣
إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي ٢٦٢
إن المقسطين، عند الله، على منابر من نورٍ ٢١٩
إن المنافقين اليوم شرٌّ منهم على عهد النبي ﷺ ١٧٨
إنَّ النّاسَ إذا رأَوا الظَّالِمَ فَلَم يأخذوا على يديه؛ أوشَك أن يعُمّهم ٤٥
أن النبي ﷺ كان يصلي عند البيت؛ وأبو جهل وأصحاب له جلوس ١٣٨
إن الولدَ مبخلةٌ، مجبنةٌ، مجهلةٌ، محزنةٌ ١٤
إن بين يدي الساعة الهرج ٨
إن بين يدي الساعة أياماً يرفع فيها العلم، وينزل فيها الجهل ٥٥

إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم ٧
إنَّ ثلاثةً في بني إسرائيل: أبرصَ وأقرعَ، وأعمى، فأرادَ الله أن يبتليهم ١١
أن رجلاً كان يقوم على رأس الأمير سأله ٢٧٦
أن طارق بن سُويد الجُعفي سأل النبي ﷺ عن الخمر ٢٨٥
إن طال بكم عمرٌ قليل، فليوشك بالرجل أن يأتي قبر حميمه ٢٦٨
أن عثمان رضي الله عنه قال يوم حوصر: بم يستحلون قتلي ٢٧٥
إن في مال الرجل فتنة، وفي زوجته فتنة، وولده ١٤
إن قوماً يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ٩٥
إن كان لله خليفة في الأرض، فضرب ظهرك، وأخذ مالك ٢٥٦
إن لكل أمةٍ فتنة، وفتنة أمتي المال ١١
إنّ لله أهلينَ منَ الناسِ ١٠٦
إن مَثَلي وَمَثَلَ ما بعثني الله عز وجل به كمثل رجل أتى قومه ١٥٠
إنّ معاذ بن جبل أراد سفراً فقال: يا رسول الله أوصني ١٤٩
إن من الناس ناساً مفاتيح للخير، مغاليق للشر ١٩٨
إنا كنا أذل قوم –أي: قبل الإسلام– فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب ١٢٥
أنا لا أحمِلُ همَّ الإجابة ولكن أحملُ همّ الدعاء ١٣٤
انتسب رجلٌ على عهد رسول الله ﷺ ١٢٦
انتسب رجلان على عهد موسى عليه السلام فقال أحدهما: أنا ١٢٧
أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله ١٥٩
انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى آووهم المبيت إلى غار فدخلوه ١٤٢
إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة ٢٣٩ ٢٨٤
إنكم سترون بعدي أثرة وأموراً تنكرونها ٢٤٤
إنما أنا متبعٌ ولستُ بمبتدعٍ فإن استقمتُ فتابعوني ١٦٠
إنما كان النفاق على عهد النبي ﷺ، فأما اليوم ١٧٨

إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء، كحامل ١٥٦
إنما ينصرُ الله هذه الأمة بضعيفها بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم ٥٧
أنه قال لرجل يسأله عن القتال مع الحجّاج أو ابن الزبير ٢٧٤
إنه لم يكن نبيٌّ قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدُلَّ أمته على خير ما يعلمه لهم ١٠
إنها ستكون بعدي أَثَرة وأمور تُنكرونها........................ ١١٤، ٢١٥، ٢٢٣
إني أعلم أنك حجرٌ لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت ١٦١
إني إنما بكيت لأن نفسي إنما هي نفس واحدة ٦٨
إني لأعلم أي يوم نزلت هذه الآية؛ نزلت يوم عرفة في يوم ٧٧
أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق مُوفَّق ٢٢٠
أوصاني خليلي ﷺ بثلاث: **أن أسمع وأطيع، ولو لعبد حبشي** ٢٦١
أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبداً حبشياً، فإنه من يعش.......... ١٥٠، ١٥٩
أي بريرة! هل رأيت من شيء يريبك من عائشة ١١١
أي بني! أفي الفتنة تأمرني أن أكون رأساً ٢٦٢
أيكم سمع رسول الله ﷺ يذكر الفتن ١٧٢
أيما رجل قال لأخيه: يا كافر! فقد باء بها أحدهما ٨
بخ! ذلك مالٌ رابح، ذلك مالٌ رابح، وقد سمعتُ ما قلتَ ١٢٤
بدأ الإسلام غريباً، وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء........................ ١٨٤
بشر هذه الأمة بالسناء والدين والرفعة والنصر والتمكين في الأرض ١٢٨
تؤدُّون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم ٢١٥
تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة رسوله ١٥٠
تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله، وسنتي، ولن يتفرقا .... ٧٤، ١٠٥
تسمعُ وتُطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك............................ ٢١٦
تصلح بين الناس؛ فإنّها صدقة يُحب الله مُوضِعها ١٩٧
تعرض الأعمال -أي: أعمال العباد- **في كل خميس واثنين**........................ ٢٠٠

تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأي قلب أُشربها .... ١٣٦، ١٥٣
تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ١٢٩
تكون بين يدي الساعة فتنٌ كقطع الليل المظلم.............................. ٧
تلزم جماعة المسلمين وإمامهم ٢٣١
ثلاثة لا تسأل عنهم: رجلٌ فارق الجماعة وعصى إمامه ومات عاصياً ٢٣٢
ثم ركب ﷺ القصواء، حتى إذا استوت ٧٢
جاء ثلاثة رهطٍ إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ ١٥٩
جاء رجلٌ إلى الإمام مالك، فقال له: من أين أُحرم ١٦٢
حبذا موتاً على الإسلام، قبل الفتن... ٢٧٢
حجّ عمر، فلما كان بضجنان قال: لا إله إلا الله العليُّ العظيم ١٢٢
حسبي الله ونعم الوكيل ١١٧
خرج علينا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فرجونا أن يحدثنا حديثاً حسناً.................. ٢٦٣
خط لنا رسول الله ﷺ خطاً ثم قال: **هذا سبيل الله** ....١٤٩، ١٥٨
خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ٢١٦
خيارُ عبادِ الله الذين إذا رُؤوا ذُكِرَ الله ١٩٩
خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ٧٢
خيركم من تعلم القرآن وعلمه ١٠٦
دخلت على ابن عباس رضي الله عنهما فقلت له: أوصني ١٦١
دخلت على عثمان رضي الله عنه يوم الدار، فقلت: يا أمير المؤمنين، طابٌ أم ضرب ٢٧٤
دخلنا على حذيفة رضي الله عنه فقال: إنّي لأعرف رجلاً لا تضره الفتن شيئاً..................... ٢٦٢
دخلنا على عبادة بن الصامت -وهو مريض-، قلنا: أصلحك الله، حدث بحديث ٢٤٩
دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه، فكان فيما أخذ علينا،............................ ٢٢٧
ذكر الدجال عند رسول الله ﷺ، فقال: **لأنا لفتنة بعضكم**........................ ١٧٤
ذكر النبي ﷺ شيئاً، فقال: ذاك عند أوان ذهاب العلم ٥٥

ذكر أيوب السختياني القُرّاء الذين خرجوا مع ابن الأشعث ٢٦٥

رآني زُبيد مع العلاء بن عبد الكريم ونحن نضحك ٢٦٦

سأل أُناسٌ رسول الله ﷺ عن الكهان، فقال لهم ٢٨٥

سبعة يظلهم الله في ظله يومَ لا ظلّ إلا ظله .... ١٩، ١٦٧، ٢١٩

ستكون أَثَرة وأمور تُنكرونها، قالوا: يا رسول الله ٢٩٨

ستكون فتن، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي .... ١٠، ٢٤٠

ستلقون بعدي أَثَرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض .... ٢٢٥، ٢٩٨

سمع ابن عمر رضي الله عنهما رجلاً عطس فقال: الحمد لله والسلام على ١٦٢

سمعت سهل بن حُنيف يقول بصفّين: أيها الناس اتهموا ٢٦٩

سمعت عبد الله بن سلام يوم قُتل عثمان رضي الله عنه يقول: والله لا تُهريقوا مَحجماً ٢٧٥

سيأتي سنواتٌ خدَّاعاتٌ، يُصدقُ فيهن الكاذب، ويكذّب فيهنّ الصادق ٩٣

سيأتي على الناس سنواتٌ خَدَّاعات، يُصَدَّقُ فيها الكاذب .... ٩، ٢٧٧

سيكون بعدي سلطان فأعزُّوه؛ من التمس ذُلَّهُ ثغر ثغرة ٢٤٢

سَيَلِي أموركم بعدي رجال يطفئون السنة، ويعملون بالبدعة ٢٤٥

شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا ١٢٨

شهدنا مع رسول الله ﷺ حُنيناً، فقال لرجل ممن ٢٧٨

صِل بين الناس إذا تفاسدوا، وقرّب بينهم إذا تباعدوا ١٩٧

عثمان بن عفان رضي الله عنه قعد يوماً على المقاعد ١٦١

على المرءِ المسلم السَّمعُ والطاعةُ، فيما أحبّ وكره ٢١٤

على المرء المسلم الطاعة فيما أحب أو كره. إلا أن يؤمر بمعصية ٢٤٥

عليكم بالاستقامة والأثر وإياكم والتبدع ١٦٠

عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ما على الأرض من عبد على السبيل والسنة ذَكر الله ١٥٢

عينان لا تمسُّها النار أبداً: عينٌ بكت من خشية الله ٢٢٠

غلام المغيرة، فقال عمر رضي الله عنه: الحمد لله الذي لم يجعل ميتتي بيد رجل يدّعي ١٨٧

فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء ٢٠
فإن أُلبس عليكم؛ فاعلموا أن ربكم ليس بأعور ١٧٦
فإن تمت يا حذيفة وأنت عاضٌّ على جذل خير لك من أن تتبع ٢٥٦
فعلى كل مؤمن أن لا يتكلم في شيء من الدين إلا تبعاً لما جاء به الرسول ٢٣٠
فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين ٥٣
فلا أرى لك أن تخلع قميصاً قمصكه الله ٢٥٣
فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم ٢٥٦
قال لي عمر رضي الله عنه: لعلك تبقى حتى تدرك الفتنة، فاسمع وأطع ٢٧١
قام فينا رسول الله ﷺ يوماً فذكر أن أهل الكتاب قبلكم تفرقوا ١٨٠
قتلوه قتلهم الله ١٨٣
قد بيّن لنا في هذا القرآن كلّ علم وكل شيء ٧٨
قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك ٨٠
قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيُجعل فيها، فيجاء بالمنشار .. ٢٠، ٤١
قدم أبو ذر على عثمان من الشام، فقال: يا أمير المؤمنين ٢٦٠
قُلْ آمنتُ باللهِ ثم استقم ١٤٩
قل ربي الله ثم استقم ١٥٤ ١٦٦
قل ربيَ الله، ثم استقم ١٤٦
قوم يستنون بغير سنتي، ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكرُ ٨٧
كان أبو طلحة رضي الله عنه أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل ١٢٣
كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير .... ٩، ١٧٨
كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر .... ٨٤، ١٦٩
كان أولَ من أظهر إسلامه .... ٦٧، ١٢٤
كان برجل جراح فقتل نفسه، فقال الله: بدرني عبدي بنفسه ٢٧٨
كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج سفراً أقرع بين نسائه ١٠٨

كان رسول الله ﷺ إذا صلى همس، فقال: أفطنتم لذلك ١٧٧
كان رسول الله ﷺ يخطبنا إذ جاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران ١٥
كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء ١٨٥
كان فيهم أمانان نبي الله ﷺ والاستغفار، قال: فذهب نبي الله ﷺ وبقي الاستغفار ٥١
كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبُرَ قال للملك: إني قد كبرت .... ٢٦، ٦٤
كان منصور بن المعترم يختلف إلى زبيد فذكر أن أهل البيت يُقَتَّلون ٢٦٦
كانت امرأتان معهما ابناهُما، جاء الذئبُ فذهب بابن إحداهما، فقالت لصاحبتها ١٦
كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع ١٧٩
كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة ١٦٠
كل بدعة ضلالة، وإن رآها الناس حسنة ١٠١
كل سلامى من الناس عليه صدقةٌ كلَّ يوم تطلع فيه الشمسُ ١٩٨
كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راعٍ ومسؤول ٢١٤
كنت في جيش ابن الزبير، فتوفِّي ٢٥٩
كنت قد شغفني رأيٌ من رأي الخوارج فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد أن نحج ١٠٠
كنت مع عثمان رضي الله عنه في الدار، فقتل منا رجل ٢٧١
كنتُ مع عمر بن الخطاب بضجنان ١٢٢
كيف أنت وفتنةٌ أفضل الناس فيها كل غَنيٍّ خفي ٢٦٨
كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يربو فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير ١٥٣
كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ٢٩٥
لا إِلَهَ إِلّا الله، وَيْلٌ لِلعَرَبِ مِن شَرٍّ قَدْ اقْتَرَبَ، فُتِحَ ٤٣
لا ترجع القلوب على ما كانت عليه ٨٦
لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم ٨٢
لا تزالوا في بلاءٍ وفتنةٍ، ولا يزداد الأمر إلّا شدة، فإذا لم يلِ الوالي لله ٢٦٦
لا تسبّوا أمراءكم ولا تغشّوهم ولا تُبغضوهم، واتقوا الله ٢٤٥

لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي ١٥٦
لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون ١٢٩
لا ما أقاموا فيكم الصلاة، لا ما أقاموا فيكم الصلاة ٢١٦
لا يأتي عليكم زمانٌ إلّا الذي بعده شر منه ٢٥٤
لا يحل لمسلم أن يروِّعَ مسلماً ٢٠٨
لا يحل لمسلمٍ أن يهجر أخاه فوق ثلاثِ ليالٍ ٢٠٠
لا يدخل الجنة نمام ١٥٦
لا يستقيم قول وعمل إلا بموافقة السنة ١٦١
لأن يسألني ربي -عز وجل- يوم القيامة فيقول: يا مُطرّف ألا فعلت ٢٦٥
لأنا لفتنة بعضكم أخوف عندي من فتنة الدجال ١٧٥
لستُ تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملتُ ١٦٠
لستُ تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملتُ به ١٥١
لقد تركنا محمد ﷺ وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علماً ٨١
لقد نزلت وما نرى أحداً منّا يَقع بها، ثمَ خصَّتنا في إصابتنا خاصّة ٤٨
لقيت معبد الجهني بمكة بعد ابن الأشعث وهو جريح، وقد قاتل ٢٦٦
لما اجتمعوا على باب عثمان رضي الله عنه قيل له: لو خرجت في كتيبتك عسى إن رأوها رجعوا. ٢٧٦
لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رَحَّلَ لي بعيره، ثم حملني عليه ٢٣
لما جاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه هاهنا (البصرة ٢٥٩
لما كان يوم الدار، قيل لعثمان: ألا تقاتل؟ قال: قد عاهدتُ رسول الله ٢٦٠
لما وقعت فتنة عثمان رضي الله عنه قال رجل لأهله: أوثقوني بالحديد ٢٧٤
لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة ٢٥٩
لو أعطيتني جميع ما تملك، وجميع ما تملكه العرب على أن أرجع عن دين ٦٨
لو أن الناس إذا ابتلوا من قبل سلطانهم صبروا؛ ما لبثوا أن يفرج عنهم ٢٦٥
لو علمَ الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور، لجالدونا عليه بالسيوف.... ٦٠

لو كانت لي دعوة ما جعلتها إلا في السلطان ٢٤٧
لوددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة ٢٦٨
ليأتين على الناس زمان لا ينجو منه أحد؛ إلا الذي ٢٧٦
ليبلغن هذا الأمر -أي: هذا الدين- **ما بلغ الليل والنهار** ١٢٩
ليس الكذّابُ الذي يُصلح بين الناس، فيُنمي خيراً أو يقول خيراً ٢٠١
ما أحد من الناس تُدركه الفتنة، إلّا أنا أخافُها عليه ٢٦٢
ما اغبَرَت قدما عبدٍ في سبيل الله فتمسه النار ٢٢٠
ما أنا إلى طريق من طرقكم بأهدى مني بكل فتنة ٢٦٦
ما بعثَ الله من نبيٍّ، ولا استخلفَ من خليفةٍ إلا كانت له بطانتان ٢١٣
ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمرٌ أكبر من الدجال ١٧٦
ما تركت بعدي فتنة أضرَّ على الرجال من النساء ١٧ ٢٠
ما تركت بعدي فتنةً أضرَّ على الرجال من النساء ١٤٤
ما عُمِلَ شيءٌ أفضلَ مِنَ الصلاة، وصلاح ذات البين ١٩٨
ما عُهد إلينا في الإمارة عهداً، نأخذ به، إنما هو شيءٌ رأيته ٢٦٩
ما كان مُطرّف يصنع إذا هاج في الناس هيج ٢٦٤
ما من أميرٍ يلي أمور المسلمين ثم لا يجهدُ لهم وينصح ٢١٣
ما مِن رجلٍ يكونُ في قومٍ يعملُ فيهم بالمعاصي ٤٥
ما من عبدٍ يسترعيه الله رعيةً، يموتُ يومَ يموتُ ٢١٣
ما من قوم يُعمل فيهم بالمعاصي؛ هم أعز منهم وأمنع لا يُغيِّرون ٢٤٩
ما نقضَ قومٌ العهد قطُّ؛ إلا كان القتل بينهم، وما ظهرت فاحشة في قوم قَطُّ ٥٠
مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد ٦١
مثلي ومثل الأنبياء، كمثل رجل بنى داراً فأتمّها وأكملها إلا موضع لبنة ٧٨
مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه كل مؤمن: كاتب وغير كاتب ١٧٦
من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان .... ١٠١، ١٦١

من أَجَلَّ سلطان الله؛ أجله الله يوم القيامة ٢٤٦
من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ١٥٩
من أخذ شبراً من الأرض ظلماً طُوِّقه إلى سبع أرضين ١٤٠
من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يُبده علانية .... ٢١٧، ٢٤٦
من أصبحَ منكمُ آمناً في سربه، مُعافىً في جسده ٢٠٦
من أصغى بسمعه إلى صاحب بدعة وهو يعلم، خرج من عصمة الله ٨٨
من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله .... ٢١٤، ٢٤٧
من أفتى بفتيا غير ثبت فإنما إثمه على من أفتاه ٢٤٢
مِن الله الرسالة، وعلى رسول الله ﷺ البلاغ، ٨٠
من أهان سلطان الله أهانه الله ٢٤٦
من حمل علينا السلاح فليس منا ٢٠٧
من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة، ثم مات، مات ميتة جاهلية .... ٢٣١، ٢٧٩
من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حُجة له ٢٨١
من خلع يداً من طاعة، لقي الله يوم القيامة ٢١٥
مَن رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه ٢٣٨
من سَلَّ علينا السيف فليس منا ٢٠٨
من سلم المسلمون من لسانه ويده ٢٠٧
من سمع ببدعةٍ فلا يحكها لجلسائه، لا يلقها في قلوبهم ٨٨
من شرب الخمر فاجلدوه، فإن عاد الثانية فاجلدوه ٢١١
من شهدها فكرهها؛ كان كمن غاب عنها ١٧١
من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد ١٦٠
من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه ٢٧٧
من كان مستناً؛ فليستن بمن قد مات، فإن الحيّ لا تؤمَن عليه الفتنة ٧٣
من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات، فإن الحيّ لا تؤمن عليه الفتنة ١٥٢

من كره من أميره شيئاً فليصبر؛ فإنه من خرج من السلطان ٢٨٢
من لم يسأل الله غضب الله عليه ١٣٥
من نفّس عن مؤمن كربةً من كُرب الدنيا نفسّ الله عنه كُربة من كرب يوم القيامة ١٦٤
من يأتنا بخبر القوم -أي العدو- **اشترط له الرجعة** ٢٢٠
نُبّئتُ أن سعداً كان يقول: قد جاهدت إذ أنا أعرف الجهاد ٢٧٤
نعم؛ دعاةٌ على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها ٩٠
نهانا رسول الله ﷺ عن أمر كان لنا نافعاً، وطواعية الله ورسوله أنفع لنا ٢٨٧
هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ عشرة آلاف، فما حضرها منهم مائة ٢٦٣
هذا سبيل الله ٧٦
هذا سعيد بن المسيب رحمه الله رأى رجلاً يصلي بعد طلوع الفجر ١٦٢
هل من سائل يُعطى! هل من داع يُستجاب له ١٣٤
هلم أُبايعك؛ لأنك سيد العرب وابن سيدها ٢٨٠
هم من جلدتنا ويتكلمونَ بألسنتنا ٩٠
وأصحابي أمنةٌ لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون ٥٢
وأصل الدخن هو الكدورة واللون الذي يضرب إلى السواد ٨٦
والذي نفس محمد بيده! لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ٨٤
والذي نفسي بيده! لا تذهبُ الدنيا حتى يمرَّ الرجلُ على القبر ٨
والذي نفسي بيده؛ ليأتين على الناس زمان لا يدري القاتل ٨
والله لئن قتلتموه، لا تُصلوا جميعاً أبداً.. ٢٧٥
والله لَيُتِمَّنّ هذا الأمر، حتى يسير الراكبُ من صنعاء إلى حضرموت...................... ٢١٧
والله ما أحب أني في أهلي وولدي ومالي، معي عافية الدنيا ونعيمها ٢٥
والله ما أنا بالطريق إلى قرية من القرى، ولا إلى مصر من الأمصار ٢٦٧
وأنتم تُسألون عني فما أنتم قائلون... ٨١
وإنَّه من يعش منكم فيسرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي ٥٢

وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور ١٥٦
وإيّاكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة ٧٩
وجاء رجلٌ إلى الإمام مالك فقال له: من أين أُحرم ١٠١
وسيقوم فيها رجالٌ قلوبُ الشياطين في جُثمان إنس ٩٢
وسيقوم فيهم -أي الأئمة- **رجالٌ قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس** ٢٤٥
وسيقوم فيهم رجالٌ قلوب الشياطين في جثمان الإنس ٩٠
وقيل له ﵁ أي الفتن أشد؟ قال: أن تَعرِض على قلبك الخير ٢٦٧
وكان الحسن البصري يقول: إن الحجاج عذاب الله، فلا تدفعوا عذاب الله بأيديكم ٢٩٩
وكان شقيق إذا قيل له أشهدت صفين، قال: نعم وبئست صفون ٢٧٠
ولا تنازع الأمر أهله وإن رأيت أن لك ٢٢٨
ولكنكم تستعجلون ٣١٢
ولو كان محمد ﷺ كاتماً شيئاً مما أُنزل عليه لكتم هذه الآية ٨١
ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله الفِرية ٨١
يؤم القومَ أقرؤهم لكتاب الله ١٠٦
يا أبا أيوب! ألا أدلك على صدقة يحبها الله ورسوله؟ تصلح بين الناس إذا تباغضوا ١٩٧
يا أبا عبد الله ما تأمرنا إذا اقتتل المصلون ٢٦٣
يا أمير المؤمنين، أنا طوع يديك فمرني بما شئت، فقال له عثمان ٢٧١
يا أيها الناس! إياكم والغلوَّ في الدين؛ فإنه أهلك من كان قبلكم الغلوُّ في الدين ٣١
يا بلال! قُم فنادِ بالصلاة ٦٧
يا حذيفة تعلم كتاب الله واتبع ما فيه، ثلاث مرار ١٨٢
يا رسول الله! ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي ٢٨٣
يا رسول الله! إنّا كنّا بِشَرٍّ فجاء الله بخير ٢٤٤
يا عبادي لو أن ١٣٤
يا عبد الرحمن بن سمُرة! لا تسأل الإمارة؛ فإنك إن أعطيتها ٢٨٣

يا عثمان! إن الله مُقَمِّصُكَ قميصاً فإن أرادك المنافقون ٢٥٢
يا معشر العرب والله لئن لم تقوموا بها جاء به نبيكم.. ١٨٠
يا معشر المسلمين! من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه من أهل بيتي ١١٢
يا معشر المهاجرين، خمسٌ إذا ابتليتم بهنّ، وأعوذُ بالله أن تُدرِكُوهُنّ: لم تظهر ٤٩
يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه! لا تغتابوا المسلمين...................... ١٥٥
يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك... ١٣٧
يأتي على الناس زمان، يصبح الرجل بصيراً، ويمسي وما يبصر بشُفْره.................. ٢٦٧
يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة، ناصيته ورأسه بيده.................................... ١٨٧
يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق ورتل كما كنت تُرتل في دار الدنيا، فإن منزلتك ١٠٦
يكون أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء؛ كما يتجارى الكَلَبُ ١٧٩
يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي، ولا يستنون بسنتي.................................. ٢٢٦

فهرس الموضوعات

مقدمة المؤلف: ٥

الفصل الأول: أنواع الفتن وخطورتها: ٧

١ – فتنة التكفير، أي: أن يكفرَ المسلم أخاه المسلم: ٨

٢ – فتنة الهرج –أي: القتل–: ٨

٣– فتنة انقلاب الموازين: ٩

٤ – فتنة دعاة الضلالة: ٩

١ – فتنة المال: ١١

٢ – فتنة الأولاد: ١٤

٣– فتنة النساء: ١٧

٤ – فتنة الكفار لأهل الإسلام: ٢٠

الفصل الثاني: أسباب الفتن: ٢٩

السبب الأول: إتباع الهوى، وفسادُ القصد: ٢٩

السبب الثاني: الغلو في الدين بالإفراط أو التفريط: ٣١

السبب الثالث: غياب المنهج الصحيح واتباع المتشابهِ: ٣٣

السبب الرابع: الاستعجال وعدم الصبر: ٤١

السبب الخامس: عدم التعاون والنُّصرَة بين المسلمين: ٤٢

السبب السادس: غياب المُصْلِحِين: ٤٣

السبب السابع: عدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ٤٤

السبب الثامن: الفسوق والمعاصي والظُّلم: ٤٧

السبب التاسع: الكفر بأنعم الله -سبحانه- وعدم شكره:...................... ٥٠
السبب العاشر: ذهاب النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم: ٥١
السبب الحادي عشر: التحايل والتَّلاعب في المال والتِّجارة وغيرهما: ٥٤
السبب الثاني عشر: ذهاب العلم:... ٥٥
ما الذي جعلنا نصل إلى هذا الحال؟ ٥٦
الفصل الثالث: وسائل الثبات على الدين في زمن الفتن: ٥٩
الوسيلة الأولى: الإيمانُ الصادق:... ٥٩
الوسيلة الثانية: إتباع المنهج الصحيح (منهج الصحابة رضي الله عنهم). ٧٠
خصائص منهج الصحابة رضي الله عنهم:.. ٧٤
أولاً: أن مصدر تلقيه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ:. ٧٤
ثانياً: طريق هذا المنهج طريقٌ واحدٌ لا يتعدد، وصراطٌ مستقيمٌ ليس بأعوج:. ٧٦
ثالثاً: منهجٌ كاملٌ تامٌّ لا زيادةَ عليه، ولا نقصَ يعتريه:........................... ٧٧
رابعاً: منهج ظاهرٌ واضحٌ جلي لا لُبس فيه ولا غموض، باقٍ إلى قيام الساعة:. ٧٩
خامساً: منهج عام لكل زمان ومكان، ولكل أمة وجيل، بل للخلق كافة من الجن والإنس في كل عصر ومصر ووقت، وهو منهج سهل ميسر:. ٨٣
أولاً: حُذيفة بنُ اليمان رضي الله عنه: ٨٤
الأولى: البدع:.. ٨٧
الثانية: حصوننا مهددة من الداخل:. ٨٩
الثالثة: سنوات خدَّاعات:.. ٩٢
ثانياً: عبدالله بن مسعود رضي الله عنه:.. ٩٤
ثالثاً: عبدالله بن عباس رضي الله عنهما:. ٩٥
رابعاً: جابر بن عبدالله رضي الله عنه:. ١٠٠

خامساً: ابن عمر رضي الله عنه:. ١٠١

سادساً: الإمام مالك رحمه الله:.. ١٠١

سابعاً: سعيد بن المسيب رحمه الله:. ١٠٢

الوسيلة الثالثة: الإقبال على القرآن الكريم:. ١٠٣

لماذا كان القرآن مصدراً للتثبيت على الدين؟................................ ١٠٣

أولاً: لأن القرآن يزيدُ الإيمان:. ١٠٣

ثانياً: لأن القرآن يهدي صاحبه إلى أقوم الطرق في كل شيء:. ١٠٤

ثالثاً: لأن من تمسك بالقرآن وعمل بمقتضاه لا يضل في الدنيا أبداً ولا يشقى في الآخرة، ومن تركه وأعرض عنه عاش في الدنيا عيشة ضنكا، وحُشرُ يوم القيامة أعمى:. ١٠٤

رابعاً: لأن القرآن نورٌ أنزله الله على البشرية ليخرجهم من الظلمات إلى النور:. . ١٠٥

خامساً: لأن القرآن يجعل صاحبه من أهل الله،ويجعله من خير الناس:......... ١٠٦

سادساً: لأن القرآن خير العلوم والعلم يرفع صاحبه في الدنيا والآخرة:. ١٠٦

سابعاً: لأن في القرآن نبأ مَن قبلنا، وخبر من بعدنا، وحكم ما بيننا، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، ونوره المبين، وهو الذكر الحكيم، والصراط المستقيم، من قال بالقرآن صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أُجِرْ، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم:. ١٠٧

الوسيلة الرابعة: الإقبال على سيرة الأنبياء عليهم السلام عامةً، وعلى سيرة المصطفى ﷺ خاصة:. ١١٥

١-قصة موسى عليه السلام مع فرعون:. ١١٦

٢- قصة إبراهيم عليه السلام:. ١١٧

٣- قصة نوح عليه السلام:.. ١١٨

٤ - قصة هود عليه السلام:.. ١١٩

الوسيلة الخامسة: الإقبال على معرفة سِيَر الصالحين (من الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم): ١٢٠

الوسيلة السادسة: الاعتزازُ بالإسلام، والاعتقاد بأن المستقبل للإسلام:.......... ١٢٥

الوسيلة السابعة: قبول النصيحة من الناصحين الصادقين:.................. ١٣٠

الوسيلة الثامنة: الدعاء:... ١٣٣

١-الدعاء وفتنة القلوب: ١٣٦

٢- الدعاء وفتنة الظلم: ١٣٨

٣- الدعاء وفتنة الكربات: ١٤١

الوسيلة التاسعة: الاستقامة:. ١٤٥

• الآيات التي وردت في الاستقامة: ١٤٦

• الأحاديث الواردة في الاستقامة: ١٤٨

• الآثار الواردة في الاستقامة:.. ١٥١

الوسائل التي تعين على الاستقامة.. ١٥٣

الوسيلة الأولى: إصلاح القلب. ١٥٣

الوسيلة الثانية: إمساك اللسان عن الخوض في الباطل......................... ١٥٤

الوسيلة الثالثة: مصاحبة الصالحين ومجالستهم. ١٥٦

الوسيلة الرابعة: الإتباع وعدم الابتداع...................................... ١٥٧

الأدلة من كتاب الله. ١٥٧

الأدلة من السنة. ١٥٨

الأدلة من أقوال السلف ١٦٠
• أمثلة من سيرة السلف الصالح في ذم الابتداع والإنكار على المبتدعة، والحث على الاتباع والتمسك بالسنة ١٦١
الوسيلة الخامسة: العلم الشرعي (علم الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة). .. ١٦٣
ثمرات الاستقامة ١٦٥
موانعُ الاستقامة: ١٦٧
الوسيلة العاشرة: الحذَر: ١٧٠
حذارِ من تحريش الشيطان في الفِتَن ١٧٠
حذار أن تُكتَب مشاركاً في الفتنة ولو كنت غائباً ١٧١
حذار أن يختم على قلبك ١٧٢
حذار أن تكون من جند الدجال ١٧٤
حذار من العجب ١٧٦
حذار من المنافقين والمتسلِّقين وأهل الأغراض والمصالح الدنيئة ١٧٨
حذار من فتنة أجهزة الإعلام ١٧٨
حذار من الأهواء ١٧٩
حذار من التسرع في الفتاوى ١٨٢
حذار من الدعاة الى الفتنة ١٨٥
التحذير من سوء الختام ١٨٧
الفصل الرابع: فتنة المظاهرات والخروج على ولاة الأمر: ١٨٩

أولاً: معرفة المصلح من المفسد. ١٨٩

ومن الأمثلة على هلاك المفسدين: ١٩٠

الإصلاحُ عملُ الأنبياء: ١٩٩

ثانياً: معرفة قيمة نعمة الأمن للبلاد والعباد: ٢٠٣

أولاً: الأدلةُ من كتاب الله: ٢٠٥

ثانياً: نعمة الأمن في السنة المطهرة: ٢٠٦

السبب الأول: الإيمانُ الصادقُ والعملُ الصالحُ، والابتعادُ عن كلِّ مظاهر الشرك والمعاصي: ٢٠٩

السبب الثاني: تطبيقُ الحدود التي فيها ردعُ المقتدي، وكفُّ الظالم كما جاءت في الشريعة الإسلامية: ٢١٠

السبب الثالث: إعطاءُ الحقوقِ لأصحابها: ٢١٢

أولاً: حقوقُ الرعية على الراعي: ٢١٢

ثانياً: حقوق الراعي على رعيته: ٢١٤

السبب الرابع: الصبر وعدم الاستعجال والرجوعُ في الفتن والنوازل لأهل العلم:٢١٧

أولاً: بظلِّ عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله: ٢١٩

ثانياً: بمحبة الله: ٢١٩

ثالثاً: بالنجاة من النار: ٢٢٠

رابعاً: يبشرهم بالجنة: ٢٢٠

ثالثاً: معرفة حكم المظاهرات في الإسلام: ٢٢١

فتاوى العلماء في حكم المظاهرات: ٢٣٣

الردُّ الحاسم على مجيزي المظاهرات: ٢٤١

رابعاً: التفقه في كيفية تعامل الرعية مع الراعي: ٢٤٤

١ – طاعة السلطان في غير معصية وتوقيره وكيفية نصحه: ٢٤٤

٢- كلمةٌ حول الخروج على السلطان:.. ٢٤٨
٣- خطر تنحي الحاكم المسلم:.. ٢٥٢
٤- ماذا بعد تنحّي السلطان؟ ٢٥٣
٥- طعنٌ واتّهام!! ٢٥٧
الفصل الخامس: أقوال ومواقف للسلف الصالح في الفتن: ٢٥٩
الفصل السادس: حتى لا تنخدع: ٢٧٧
هل المقتول في المظاهرات شهيد؟!.....................................٢٧٧
نجاح المظاهرات؟ ٢٨٣
كلمة في المظاهرات والاحتجاجات والاعتصامات: ٣٠١
الرد على تساؤلات: ٣٠٤
فائدة: ٣٠٧
شبهة والجواب عليها:...٣٠٨
بين منهج الشرع ومنهج الناس وواقعهم: ٣٠٩
الرد على من يقول: «هذا طريق طويل»!! ٣١١
الفهارس العامة:..٣١٥
فهرس الآيات: ٣١٧
فهرس الأحاديث والآثار..٣٣٣
فهرس الموضوعات ٣٤٩